الجزء الثالث — المجلد الثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٥ — ١١ ذو القعدة سنة ١٣٧٤

جرير

— ٢ —

شعره

أظهر مزية في شعر جرير مزية الطبع ، يسهل عليك الشعور بها كما يسهل عليك الشعور بجمال الصور الجميلة أو الأصوات الحسنة . وقد يكون جرير أوضح مثال للشاعر المطبوع ، يرسل الشعر على سجيته سمحاً سهلاً كما يرسل الحمام سجعه لا يتكلف ولا يتصنع . وهذا النوع من الشعر يصدر عن القلب فيرد على كل قلب ، ويترجم عن النفس فتأنس به كل نفس ، يسهل على قائله وراويه ومنشده وسامعه . والشاعر المطبوع اذا تناول بعيداً أبرزه قريباً واضحاً ، واذا قصد الى معنى متداول جلاه بديعاً محبباً كأنه سبق إليه . يجعل السامع يشاركه في أحاسيسه وخوالجه من غير أن يحوجه إلى إدامة تبصر أو إطالة تفكر . وهكذا شعر جرير تروقك بساطته وانسجامه وسهولته وعذوبة جرسه

وجزالته ؛ وقد تأخذك وأنت تنشده نشوة لا تصيبها في شعر من ينقحون شعرهم ، يغوصون على المعاني ويحلقون في سماء الخيال ؛ فاذا رجعت الى نفسك تسائلها عن سر هذه النشوة ، وجدت أنها البساطة وعدم التصنع والطبع يتمثل عارياً عن التكلف والتمويه . أنت لا تقع في شعر جرير على معانٍ مخترعة أو فِكَر عميقة أو خيال واسع أو وصف متتالٍ . ولكنك تسمع ألحاناً منسجمة وتتبيّن حساً مرهفاً وطبعاً فياضاً وترى نفساً وثّابةً أشبه ما تكون بنفس الطفل تسرع في الرضا والغضب والحب والبغض ، تقدم اذا استدرجت وتحجم إذا خُوِّفت ، تستفزها كلمة وتطمئنها أخرى ؛ أضف إلى ذلك خفةً في الروح وصفاءً في الفطرة .

يتمثل طبع جرير بعذوبة ألفاظه وسهولة مآخذه والقوة على الاستمرار والإفصاح عن المعنى بأوضح السبل وعدم التقيد بتتالي المعنى تتالياً منطقياً ، فكل بيت وحدة تامة والأبيات التي يعالج بها غرضاً واحداً لا تربط بينها صلة واشجة ؛ بل هي أفكار متداعية أو لمحات مختلسة يمت بعضها الى بعض برحمٍ ولكن غير ماسة . ولعلّ ذلك ما عناه الفرزدق بقوله : (إني وإياه لنغترف من بحر واحد ؛ وتضطرب دلاؤه عند طول النهز[1]) . وقال المبرد : (الفرزدق يجيء بالبيت وأخيه ، وجرير يأتي بالبيت وابن عمه[2]) .

ولإرساله الشعر بلا تمهّل وعدم الأخذ بالتساوق يكثر من الالتفات في الضمائر فمن المفرد الى الجمع ومن المخاطب الى الغائب بل ربما نادى من يتغزّل بها بأسماء مختلفة في القصيدة الواحدة . قال : (الديوان ص ٥٩٤)

يا أم عمرو جزاكِ الله مغفرةً ردّي عليّ فؤادي كالذي كانا
بلى غريمكمُ من غير عسرتكم بالبذل بخلاً وبالإحسان حرمانا

---

(١) الأغاني ج ٨ ص ٨ .
(٢) الموشح للمرزباني ص ١٢١ .

يا أمَّ عثمان ان الحبَّ عن عرضٍ يصبي الحليم ويبكي العين أحيانا
ضنّتْ بموردةٍ كانت لنا شرعاً تشفي صدى مستهام القلب صديانا

وقد تعجبه اللفظة أو إعادتها فيكررها في البيت الواحد مرتين فيزيد اللفظ حلاوة والمعنى قوة ، قال : (ديوان جرير ص ١٣٣)

حي المنازل بالأجزاع غيَّرها مرُّ السنين وآبادٌ وآبادُ

وقال : (الديوان ص ١٥٢)

كم دون بابك من قومٍ نحاذرهم يا أمَّ عمروٍ وحدّادٍ وحدّادِ

وقال : (ص ١٩٨)

يا شبَّ ما زال في قيسٍ لآنفكم رغمٌ ورغمٌ وأوتارٌ وأوتارُ

وهو يعدُّ من أقل الشعراء صنعةً تقل في شعره أنواع البيان والبديع ، فاذا وردتْ كانت عن غير قصدٍ ولا تتبع .

ومزية العاطفة في شعره أعظم بكثير من مزية الخيال ، فهو مقتصد في خياله لا يحلق بأجنحته وقلما تجد له صورة تامة من صور الخيال ، ولكنك تشعر بعاطفته تتلظى في أكثر شعره ، من ذلك قوله : (ص ٣٩٦)

أهواكِ فوق هوى النفوس ولم يزل مذ بنتِ قلبي كالجناحِ الخافقِ

وقوله : (ص ٥٧٠) :

أخطا الربيع بلادهم فتيمنوا ولحبهم أحببتُ كلَّ يماني
صدع الظعائنُ يوم بنَّ فؤاده صدع الزجاجة ما لذاك تدانِ

ومعانيه مطروقة ولكن حسن التعبير عنها وبراعة التصرف بها يربقان عليها من السحر ما يجعلها تستهوي القلوب . ولعل هذه الخاصة من أعظم ما خص به الشعراء المطبوعون وفي طليعتهم جرير ، مثال ذلك قوله : (ص ٩٦)

يقول العاذلاتُ علاك شيبٌ أهذا الشيب يمنعني مراحي

وقوله : (ص ٤٥)

وقالتْ لا تضم كضم زيدٍ   وما ضمي وليس معي شبابي

ولكل ما تقدم من الخصائص التي مصدرها الطبع قالوا : «جرير يغرف من بحر» وهو نفسه يشعر بهذه الخاصة فيقول مفتخراً :

بني مالكٍ جاء القيون بمقرفٍ   الى سابقٍ يجري ولا يتكلفُ

أما أوزانه فلا يكاد يخرج عن البحور الطويلة التي اعتاد الجاهليون النظم منها كالطويل والبسيط والوافر والكامل ، وله مقدار يسير من الأراجيز يكثر فيها الغريب جرياً على عادة الرجاز . وهاك مثالاً على شعره المطبوع المنسجم قال : (ص ٥٠٣) :

سمعتُ حمامةً طربت بنجدٍ   فما هجت العشية يا حماما
مطوقةً ترنم فوق غصنٍ   إذا ما قلت مالَ بها استقاما
سقى الله البشامَ وكلَّ أرضٍ   من الغورين أنبتت البشاما

وقال : (ص ٥١٢)

متى كان الخيام بذي طلوحٍ   سقيتِ الغيث أيتها الخيامُ
أقولُ لصحبتي لما ارتحلنا   ودمعُ العين منهمرٌ سجامُ
تمرُّون الديار ولم تعوجوا   كلامكمُ عليَّ إذنْ حرامُ
أقيموا إنما يومٌ كيومٍ   ولكنَّ الرفيقَ له ذمامُ
بنفسي مَن تجنبه عزيزٌ   عليَّ ومن زيارته لِمامُ
ومن أُمسي وأُصبح لا أراه   ويطرقني إذا هجع النيامُ
أتنسى إذ تودعنا سليمى   بفرع بشامةٍ سقيَ البشامُ

ومن شعره ما يظهر عليه الإحكام والمتانة وشدة الأسر والجزالة حتى يكون أشبه بشعر الحطيئة . من ذلك قوله : (ص ٢١٤)

ونبئتُ تيماً قد هجوني ليذكروا   فهذا الذي لا يشتهون من الذكرِ
لقوا وابلاً فيه الصواعق ترتمي   أواذِيُّه ترمي الجناحين بالصخر

وقوله : (ص ١٤٢)

إذا ذكرت نفسي تيماً تذكرت   أموراً تنسيني الضغائن والحقدا
فكيف تقول السيف يحمل نصله   إذا فارق السيفُ الحاملَ والغمدا
شكونا إلى سعدي جوىً وصبابةً   وما كل ما في النفس تخبِرُهُ سعدى

وقوله : (ص ٤٦٣)

تمنى رجالٌ من تميم لي الرَّدى   وما ذاد عن أحسابهم ذائدٌ مثلي
كأنهمُ لا يعلمون مواطني   وقد علموا اني أنا السابق المبلي
ولو شاء قومي كان حلمي فيهمُ   وكان على جهال أعدائهم جهلي

وقوله : (ص ٢٣٣)

ياأهل جزرة إني قد نصبتُ لكم   بالمنجنيق ولما يرسل الحجرُ

ومن العناصر التي أثرت في شعر جرير أو نفضت عليه ألواناً خاصةً : البداوة الماثلة بساطتها في كل شعره حتى لتجد منه عبق الشيح والقيصوم وتحس لفحات الهواجر ونفحات العشايا وتراه ينتزع تشبيهاته واستعاراته وإشاراته من البادية وأجوائها ، بل ترى روح البادية شائعة في كل ما يقول ، وأخلاق البداة متمثلة فيه كالعصبية للقبيلة ، والتمدح بالقوة والبأس والكرم ، وازدراء الصناعة والزراعة فاذا هجا الفرزدقَ لقبه بالقين (والقين الحدّاد ويطلق على كل صانع) (ص ٥٥٨) :

هو القين وابن القين لا قين مثله   لفطح المساحي أو لجدل الأداهمِ

وقال يهجو البعيث بالنسج : (ص ٥٤٤)

فتؤخذ من عند البعيث ضريبةٌ   ويترك نساجاً بدارين مسلما

وقال يهجو بني حنيفة بالزراعة : (ص ٦٠٠)

أبناء نخلٍ وحيطانٍ ومزرعةٍ سيوفهم خشبٌ فيها مساحيها

ولبداوته لا يكاد يصف في شعره غير الفلوات والأغوار والأنجاد والقيعان والأباطح والإبل ، وكثيراً ما يذكر أسماء الأمكنة بنجد مثل اليمامة ورهبى والوريعة وسلمانين وفليج وكثير غيرها .

والى هذه البداوة ترى أثر الإسلام والقرآن واضحاً جلياً في شعره ، يفخر بالإسلام ويعظم شأنه ويستعمل الألفاظ والمصطلحات الإسلامية كبعض أسماء الله الحسنى وأسماء الأنبياء والرسل والكتب المنزلة والملائكة والإيمان والكفر والشرك والنفاق والجنة والنار والمساجد والمنابر والدعاء والمعاد والتوكل والتسبيح والقضاء والقدر وليلة القدر والمفصل والمثاني ويوم القيامة وإبليس والأعور الدجال وأشباهها . من قوله : (ص ١٧)

دعا الحجاجُ مثل دعاء نوحٍ فأسمعَ ذا المعارجِ فاستجابا
ولو لم يرضَ ربك لم ينزلْ مع النصر الملائكةَ الغضابا

وقوله : (ص ٦٣) :

لقد حلت بينك إن إمامٌ أقام الحدَّ واتبع الكتابا

وقوله : (ص ٧٩)

له حوض النبي وساقياه ومن ورث النبوة والكتابا

وقوله : (ص ٩١)

ولقد كسرتَ سنان كلِّ منافقٍ ولقد منعتَ حقائب الحُجّاجِ

وقوله : (ص ٩٨)

ثقي باللهِ ليس له شريكٌ ومن عند الخليفةِ بالنجاحِ

وقوله : (ص ١٢٦)

ولقد حكمتَ فكان حكمكَ مقنعاً وخلقتَ زينَ منابرٍ ومساجدِ

وقوله : (ص ١٣٦)

وتدعو اللهَ مجتهداً ليرضى ... وتذكر في رعيتك المعادا
وأنت ابن الخضارم من قريشٍ ... همُ نصروا النبوّةَ والجهادا

وقوله : (ص ١٤٩)

وإنْ أهل الضلالة خالفوكم ... أصابهمُ كما لقيتْ ثمودُ

وقوله : (ص ١٥٩)

اللهُ أعطاك توفيقاً وعافيةً ... فزاد ذو العرش في سلطانكم مددا
مثبتٌ بكتابِ اللهِ مجتهدٌ ... في طاعةِ اللهِ تلقى أمره رشدا
أُعطيتَ من جنةِ الفردوس مرتفقاً ... من فاز يومئذٍ فيها فقد خلدا

وقوله : (ص ٢٧٥)

نال الخلافةَ إذ كانت له قدراً ... كما أتى ربه موسى على قدرِ

وقوله : (ص ٢٠٣)

دعت المصور دعوةً مسموعةً ... ومع الدعاء تضرّعٌ وحذارُ

وقوله : (ص ٢٧٩)

فما أحصنته بالسعودِ لمالكٍ ... ولا ولدته أمه ليلةَ القـدرِ

وقوله : (ص ٣٢٤)

قومٌ لهم خصَّ إبراهيم دعوته ... إذ يرفع البيتَ سوراً فوق تأسيسِ
نحن الذين ضربنا الناسَ عن عرضٍ ... حتى استقاموا وهم أتباعُ إبليسِ

وقوله : (ص ٤٢٣)

قبِّح البراجم شر الخلق كلهم ... أخزاهمُ رب جبريلٍ وميكالِ

وقوله : (ص ٤٥٧)

لنا الفضلُ في الدنيا وأنفكَ راغمٌ ونحن لكم يوم القيامة أفضلُ

وقوله : (ص ٤٧١)

ياضبُّ إنَّ هوى القيون أضلكم كضلالِ شيعةِ أعورِ الدجالِ

وقوله : (ص ٤٧٤)

نعليك جزيةَ معشرٍ لم يشهدوا لله أنّ محمداً لرسولُ

وقوله : (ص ٥٦٧)

لحى اللهُ الفرزدقَ حين يمسي مضيعاً للمفصل والمثاني

وقد يستعير بعض معاني القرآن وألفاظه ، ويشير الى بعض قصصه وحوادثه فيمثل الشاعر العربي الإسلامي الذي ولد في الإسلام ووعى القرآن، ولم يشهد الجاهلية ، فاقتبس من بيان القرآن من ذلك قوله : (ص ٣٥)

كونوا كيوسف لما جاء إخوته واستعرفوا قال ما في اليوم تثريبُ
الله فضله والله وفقه توفيق يوسف إذ وصاه يعقوب

وقوله : (ص ١٥٣)

من يهده الله يهتد لا مضلَّ له ومن أضلَّ فما يهديه من هادِ
لاقوا بعوثَ أمير المؤمنين لهم كالريح إذ بعثت نحساً على عادِ
فيهم ملائكة الرحمن مالهمُ سوى التوكل والتسبيح من زاد
أنصار حقٍّ على بلقٍ مسوّمةٍ أمداد ربك كانوا خيرَ أمداد

وقوله : (ص ٤٦٤)

ضللتَ ضلالَ السامريِّ وقومه دعاهم فظلوا عاكفين على عجلِ

وقوله : (ص ٥٠٦)

وحبل الله تعصمكم قواه فلا تخشى لعروته انفصاما

وقوله : (ص ٥٠٧)

أمير المؤمنين على صراطٍ إذا اعوجّ الموارد مستقيمِ

وقوله : (ص ٥٧٦)

يُعطى كتابَ حسابه بشماله وكتابنا بأكفنا الأيمانِ

ومن آثار الإسلام في شعره أنه لم يذكر الخمر إلا على سبيل الهجاء والتقبيح ، ولعل جريراً من أكثر الشعراء الإسلاميين تأثراً بالإسلام والقرآن لأنه كان ديّناً تقياً ولا يفوقه بالتأثر بالقرآن إلا الفرزدق لأنه كان يحفظه .

وللعصر الذي عاش فيه جرير ولحوادثه أثر غير ضئيل في شعره ، فلقد كان عصراً مفعماً بأعظم الحوادث ، قام في الحجاز عبد الله بن الزبير فبايعه بالخلافة أهل الحجاز وكثير من أهل العراق ؛ وثار بالعراق المختار الثقفي . فرمى عبد الملك بن مروان الحجاز بالحجاج فقضى على ابن الزبير ، ثم ولاه العراق فأخمد النوائر ، واستقر الأمر لبني أمية بعد فتن عديدة ؛ فوجهوا هممهم نحو الفتوح وبخاصة في عهد الوليد بن عبد الملك فقد بلغت جيوشهم الهند في الشرق وفتحت الأندلس في الغرب ودحروا الروم في آسية الصغرى وتغلغلوا فيها . ثم كانت ثورة ابن المهلب في أيام يزيد بن عبد الملك وما الى ذلك من الأحداث في الداخل والخارج مع الحوادث اليومية العامة . ولكلٍ منها أثر في شعر جرير يشير اليها بمناسبات شتى وبخاصة في المدح ، ولعل جريراً من أكثر شعراء عصره إشارةً إلى الفتوح الأموية ومدح الخلفاء والأمراء والعمال والقواد بها ، والشواهد على ذلك من شعره غير قليلة ، نورد منها ما يدل بوضوح على تأثره بحوادث عصره ، وما يصح أن يكون وثيقةً على تلك الحوادث من ذلك قوله يمدح الحجاج من قصيدة : (ص ١٨)

كأنك قد رأيت مقدّماتٍ بصينِ أستانَ قد رفعوا القبابا

وذلك أن الحجاج كتب الى محمد بن القاسم الثقفي الذي فتح له السند والى قتيبة بن مسلم الباهلي وهو على خراسان : أيكما سبق الى الصين فهو والٍ على صاحبه ٠

وقوله يمدح مسلمة بن عبد الملك بالفتوح : (ص ١٠٤)

مَسلم جرار الجيوش الى العدى ... كما قاد أصحابَ السفينة نوحُ

وقوله في معاوية بن هشام (ص ١٥٥)

حتى أتتك ملوكُ الرومِ صاغرةً ... مقرَّنين بأغلالٍ وأصفادِ
يومٌ أذلَّ رقابَ الروم وقعته ... بشرى لمن كان في غورٍ وأنجاد

وقوله في معاوية أيضاً : (ص ١٨٣)

وجدوا معاوية المبارك عزمه ... صلبَ القناة عن المحارم مِذْوَدا
يلقى العدوَّ على الثغور جيادُهُ ... أبدأن ثم ثنين فيها عُوَّدا
أما العدو فقد أبحتَ ديارَهم ... وتركتَ أمنعَ كلّ حصنٍ مُبْلَندا [1]
فتح الإلهُ على يديك برغمهم ... وملأتَ أرضهمُ حريقاً موقدا
ولقد أبحتَ من العُقاب [2] منازلاً ... ترجو بذلك أن تنالَ الفرقدا
لما رأتكَ على العقاب ملوكهم ... ألقوا سلاحهمُ وخرّوا سجدا
ما إن نزلتَ بمشركين بربهم ... إلا تركتَ عظيمهم مستعبَدا
كان ابنُ سيسن طاغياً فرددته ... رخوَ الأخادع في الكبول مقيدا

وقال يمدح الوليد بن عبد الملك بسعة الفتوح : (ص ٣٨٤)

وأدتْ اليك الهند ما في حصونها ... ومن أرض صين أُستان تجبى الطرائفُ
وأرضُ هرقلٍ قدقهرت وداهراً [3] ... وتسعى لكم من آل كسرى النواصف

---

(١) المُبْلَند : المستوي بالأرض اللاصق بها .
(٢) العُقاب : قلعة في بلاد الروم فتحها معاوية بن هشام .
(٣) داهر : ملك الديبل قصبة السند (تاج العروس) .

وقال يمدح عبد العزيز بن الوليد : (ص ٤٣٤)

وللترك من عبد العزيز وقيعةٌ ... وللروم يومٌ ما تتم حوامله

وقال يشير الى ثورة ابن الأشعث وابن المهلب : (ص ١٥٤)

لاقى بنو الأشعث الكندي إذ نكثوا ... وابن المهلب حرباً ذات عِصوادِ (١)

وقال أيضاً : (ص ٢١٩)

آل المهلبِ فرّطوا في دينهم ... وطغوا كما فعلتْ ثمودُ فبادوا

وقال في حبس عمر بن هبيرة : (ص ٣٨١)

أبا حفصٍ مخافة كلِّ ظلمٍ ... عليك وكيف يهجع من يخافُ

وأدعو الله فيك وأن يجلّي ... عمايةً ما يزايلها انكشافُ

وقال في عمر بن عبد العزيز حين منع المكس : (ص ٤١٥)

ولقد نفعتَ بما منعتَ تحرجاً ... مكسَ العشور على جسورِ الساحلِ

وقال يمدح الوليد بن عبد الملك ويشير الى بنائه الجامع الأموي بدمشق : (ص ٤٩٢)

إن الوليد خليفةٌ لخليفةٍ ... رفع البناء على البناء الأعظمِ

فعلا بناؤكمُ الذي شرّفتمُ ... ولكم أباطحُ كلِّ وادٍ مفعمِ

إن الكنيسة كان هدمُ بنائها ... قسراً فكان هزيمةً للأخرم (٢)

وقال يشير الى حوادث مروان بن الحكم : (ص ٥١١)

قد جربتْ مصر والضحاك أنهمُ ... قومٌ إذا حاربوا في حربهم قُحُمُ

هلا سألت بهم مصر التي نكثتْ ... أو راهطاً يوم يحمي الراية البُهَمُ (٣)

---

(١) العصواد : الجلبة والاختلاط في ضرب أو خصومة .
(٢) الأخرم : ملك الروم .
(٣) البُهَم : جمع بُهمة وهو الشجاع الذي يستبهم على اقرانه مأتاه .

أما مذهبه السياسي فقد كان أموياً صرفاً لم ينصر ابن الزبير بيده ولا بلسانه ، فلما تمّ الأمر لعبد الملك بن مروان وفد عليه ومدحه ونال من ابن الزبير وأخيه مصعب وأثنى على سياسة الشاميين كما سيأتي في فصل المدح .

وللبلدان التي كان يقصدها في سبيل المدح أثر ضئيل في شعره لا يتجاوز في غالب الأحيان تسمية الأمكنة الى الإلماع الى بعض صفاتها ، ولكنه كان يسهب في وصف الفلوات التي كان يقطعها الى الحواضر ، لما ركب في طبعه من البداوة .

وللكتابة وأدواتها أثر في شعره يدل على أنه لم يكن أمياً بالرغم من بداوته من ذلك قوله : (ص ٣٨٦)

كأنه بعد تحنان الرياح به رقٌّ تبينُ فيه اللامُ والألفُ

وقوله : (ص ٤٨٨)

حي الديار كوحي الكاف والميم ما حظك اليوم منها غير تسليم

وفي هذه القصيدة يقول : (ص ٤٨٩)

تقضي القضاة على تيم وإن رغمت فاكتب قضاءك واطبعْ بالخواتيم

ويقول من أخرى : (ص ٣٩٦)

تحت المناطق أمتانٌ مصلبةٌ مثل الدوا مسها الأنقاسُ والليقُ

ويقول : (ص ٤٩٨)

كأنّ أخا اليهود يخط وحياً بكاف في منازلها ولام

وجرير على بداوته وعصبيته العربية لا يخلو شعره من أثر — ولو ضئيل — للفرس مباشرةً أو بالواسطة ، فقد مدحهم ببضعة أبيات من شعره ونوّه بمفاخرهم ، وظنهم من أولاد اسحق فدعاهم بأبناء عمه وذكر أنه كان فيهم نبوة وملك . وقد أعجبته سحن دهاقينهم وهيئاتهم وحسن ألبستهم وتريثهم واختيالهم في مشيهم

فشبه بهم ثيران الوحش ، كما استعمل عدداً من الكلمات الفارسية في شعره ، ولذلك كان الموالي يحبونه ويتحفونه بهداياهم ؛ قال يشبه ثيران الرصافة بالمرازبة : (ص ١٤٧)

بها الثيران تحسب حين تضحي   مرازبةً لها بهراةَ عيدُ

المرازبة جمع مَرْزُبان وهو الرئيس من الفرس .

وقال : (ص ٥٨٧)

يمشي بها البقرُ الموشيُّ أكرُعُهُ   مشيَ الهرابذِ حجوا بيعةَ الزُّونِ

الهرابذ : أصحاب بيوت النار ، والزُّون : الصنم .

وقال : (ص ٢٥٢)

يمشي بها كل موشّى بربارْ   موشّمُ الأكرع فيها جأرْ
يهز رَوْقيه كهز الإسوارْ

الإسوار من أساورة الفرس وهو الرامي أو الفارس .

وقال : (ص ٣١٧)

إن الفرزدق والبعيث وأمه   وأبا البعيثِ لشر ما إستارِ

الإستار : أربعة وهو معرب جهار بالفارسية .

وقال : (ص ٤٠٥)

وبنا يدافع كل أمر عظيمةٍ   لبست كنزوك في ثياب الكُرَّقِ
لا خير في غضب الفرزدق بعدما   سلخوا عجانك سلخ جلد الرُّوذق
سبعون والوصفاء مهر بناتنا   إذ مهر جعثن مثل حر البيذق

الكُرَّق : هو الكُرَّج فارسي معرَّب وهي لعبة يلعب بها المخنثون . والرُّوذق : الحمل وأصله بالفارسية روذه . والبيذق : الصغير من الغلمان .

وقال : (ص ٤٨٢)

لبست سلاحي والفرزدق لعبةٌ   عليه وشاحا كُرَّجٍ وجلاجلُه

وقال : (ص ٤٣٥)

كاد يجيبُ الخبث تلقى يمينه طبَرْزين بين مقضباً للمفاصلِ

والطبرزين فارسي وتفسيره فأس السرج .

وقال : (ص ٤٦٦)

رُفع المطيُّ بما وسمتُ مُجاشعاً والزَّنْبَرِيُّ يعوم ذو الأجلالِ

الزنبري : ضرب من السفن .

وقال من قصيدةٍ يفخر بأبناء إسماعيل وإسحق ظاناً أن الفرس من أبناء إسحق :
(ص ٢٤٢)

وأبناء إسحق الليوث إذا ارتدوا حمائلَ موتٍ لابسينَ السَّنَوَّرا [1]
فيوماً سرابيل الحديد عليهمُ ويوماً ترى خزّاً وعَصْباً منيَّرا
إذا افتخروا عدوا الصبهبذ [2] منهمُ وكسرى وآل الهُرْمُزان وقيصرا
ترى منهمُ مستبصرين على الهدى وذا التاج يضحي مَرْزَباناً [3] مسوَّرا
أغر شبيهاً بالفنيق إذا ارتدى على القبطريِّ الفارسيِّ المزررا
وكان كتابٌ فيهمُ ونبوةٌ وكانوا بإصطخرَ الملوكَ وتُسْتَرا
أبونا أبو إسحق يجمع بيننا أبٌ كان مهدياً نبياً مطهرا
أبونا خليلُ اللهِ واللهُ ربنا رضينا بما أعطى الإلهُ وقدَّرا

(يتبع) خليل مردم بك

(١) السَّنَوَّر : الدروع والسلاح (معرب) .
(٢) الصبهبذ : فارسي معرب ومعناه القائد والأمير وهو علم لملوك طبرستان .
(٣) المرزبان : الرئيس من الفرس .

اللغة العربية في أفغانستان

يرجع في الغالب تأثير لغة على لغة ثانية الى عوامل دينية أو ثقافية ، ومن اللغات التي كان لها تأثيرها الكبير على غيرها من اللغات هي اللغة اللاتينية واللغة السانسكريتية واللغة الصينية واللغة اليونانية القديمة واللغة العربية .

ونجد أن اللغة العربية واللاتينية كانتا من أكثر اللغات تأثيراً في غيرهما من اللغات .

ويحسن أن نلم باديء بدء بصورة موجزة بأثر اللغة اللاتينية في اللغات الغربية ، ثم ننتقل الى بيان أثر اللغة العربية في اللغات الشرقية .

فاللغة اللاتينية ولا شك لعبت دوراً هاماً في الحياة الثقافية للأمم الأوروبية . وأصبح من المسلم به لدى علماء الغرب ما يلي :

١ — تولدت من اللغة اللاتينية اللغات التالية وهي الفرنسية والإسبانية والايطالية والبورتغالية والرومانية والريتية وثلث الانجليزية .

٢ — ثم دخلت كلمات كثيرة من أصل لاتيني الى سائر لغات أوروبا بعوامل سياسية ودينية وعلمية .

٣ — أصبحت اللغة اللاتينية لغة علمية في أوروبا كلها واستعملت في كل المعاهد العلمية حتى قبل (١٥٠) سنة .

٤ — أصبحت اللغة اللاتينية لغة الدين المسيحي وبقيت لغة دينية للدين المسيحي الكاثوليكي حتى اليوم .

٥ — كانت لغة سياسية حتى حلت محلها اللغة الفرنسية في القرون المتأخرة أي منذ ٣٠٠ سنة .

٦ — كانت اللاتينية اللغة الرسمية في بعض الممالك كمملكة المجر التي اتخذتها لغة رسمية وأعلنت بها كل قوانينها وأوامرها حتى عام ١٨٦٧ م .

٧ — كانت لغة أدب لفئة من الناس لا يمتون الى اللاتينية بنسب ، وإن آخر شاعر معروف نظم باللاتينية هو البابا ليو الثالث عشر والذي توفي عام ١٩٠٣م .

٨ — كان النحو اللاتيني وصرفه أساساً لتدريس الصرف والنحو في اللغات الغربية حتى ان معظم الاصطلاحات — إن لم تكن كلها — مأخوذة عن اللاتينية .

هذا ما كان من أثر اللغة اللاتينية في اللغات الأوروبية ؛ فما هو أثر اللغة العربية في اللغات الشرقية ؟

١ — إن اللغة العربية الفصحى حفظت وحدتها رغماً عن اللهجات الدارجة واللغات العامية ، وليس بالإمكان أن تنقسم لغة الضاد الى لغات فرعية وليست المالطية إلا استثناء صنعياً أرادته السياسة الانجليزية .

٢ — أثرت اللغة العربية في سائر لغات الأمم الإسلامية تأثيراً عميقاً كاللغة الفارسية والأردية والباشتوية والخ ... حتى انها أثرت في اللغة اليوغوسلافية في بوسنا سراي المسلمة .

وإن النقطة الدقيقة في هذا التأثير ، هي أن اللغة العربية في ترتيبها ذات شكل لا يشبه شكل سائر اللغات المذكورة لأن العربية لغة سامية في حين ان التركية لغة ملزقة أرالانائية . واللغات الفارسية والباشتو والاردية الخ ... لغات آرية . فكان في دخول ألفاظ اللغة اللاتينية الى لغات كاللغات الجرمانية والسلافية أمر هيّن لأن تركيب تلك اللغات مثل تركيب اللغة اللاتينية بينما احتاج دخول كلمات عربية لى لغات تخالفها في ترتيبها مقدرة عظيمة .

٣ — إن اللغة العربية كانت لغة العلم والبحث في مشرق البلدان الاسلامية ومغربها .

٤ — اللغة العربية هي لغة دينية أكثر من اللغة اللاتينية لأن اللاتينية

خصت بالقساوسة بينما العربية بقيت لغة دين لعامة الناس في البلدان الاسلامية باستثناء تركية الحديثة .

٥ — كانت اللغة العربية لغة سياسية لدرجة قوية وذات مكانة دولية سياسية لا سيما في القرون الوسطى حيث كانت اللغة العربية لغة السياسة في المشرق .

٦ — كانت اللغة العربية لغة رسمية وبقيت أيضاً حتى اليوم . فلا ننسى أن لغة المحاكم الشرعية الاسلامية كانت العربية وقد سعى السلطان عبد الحميد العثماني الثاني (١٨٧٦ — ١٩٠٩) إلى أن يجعلها لغة رسمية في الامبراطورية العثمانية كلها ، هذا وتوجد حركة في الباكستان الآن تسعى لاتخاذ العربية لغة رسمية فيها .

٨ — لم يكن صرف اللغة التركية والفارسية والأردو والباشتوية ونحوها إلا تقليداً لصرف اللغة العربية ونحوها لدرجة كبيرة .

وسنذكر الآن أثر اللغة العربيه في بلاد الأفغان .

انتشرت اللغة العربية وآدابها مع انتشار الدين الاسلامي المبين ، رغم جهل الأمراء والسلاطين اللغة العربية ، وتجنبهم تعلمها ، حتى أن يعقوب بن الليث الصفار أمر بترجمة المدائح العربية التي قرئت في الجامع الى اللغة الفارسية لجهله العربية . ولكن مع ذلك ظهر شعراء وعلماء في أفغانستان أحسنوا في الشعر والنثر العربي . ومنهم أبو الحسن شهيد بن حسين البلخي الفيلسوف [1] .

وبشار بن برد الذي ولد عام ٩٥ هـ/٧١٣ م في طخارستان وتوفي في بغداد عام ١٦٧ هـ و ٧٨٣ م وهو شاعر مشهور اشتهر بأهاجيه للخليفة المنصور العباسي [2] .

وأبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي المعروف بالأخفش وهو نحوي كبير

(١) محمد كريم خان نزيهي تاريخ ادبيات افغانستان كابول ١٣١٤ هـ ش/١٩٣٣ م ١٣٥٢ هـ ق ص ٢٠١ .

(٢) نزيهي ص ٢٠٧ .

وكتب (بحر الخبب) [١] وتوفي في عام ٢١٠ هـ/ ٨٢٥ م ثم ابورجا قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريق بن عبد الله البغلاني الذي ولد عام ١٤٨ هـ ق / ٧٦٥ م وكان عالماً في علم الحديث . وأبو معشر بن محمد بن عمر البلخي الذي كتب أكثر من (٤٠) كتاباً [٢] في علم الحديث [٣] وتوفي عام ٢٧٢ هـ ق /٨٨٥ م وأبو حنيفة النعمان بن ثابت مؤسس المذهب الحنفي ، كان من أصل أفغاني لأن جده أسر عند فتح مدينة كابول ونقل الى الكوفة وشرح مذهبه أفغاني آخر هو أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي في كتابه الفقه الأكبر [٤] .

وكانت قرب بلخ العائلة البرمكية أيضاً ولها تأثير مهم في الآداب العربية كما هو معروف . ويقال ان أبا عثمان عمرو بن عبيد (بن باب) الذي أسس الطائفة المعتزلية بالاشتراك مع أبي حذيفة واصل بن عطاء الذي ولد عام ٤٠ هـ ق/ ٦٦٠ م وتوفي عام ١٤٢ هـ ق/ ٧٥٩ م هو من أصل أفغاني [٥] . أما أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي الذي أسس الطائفة الكعبية وهي قسم من المعتزلة فهو بلخي بدون شك وتوفي عام ٣٢٨ هـ ق/ ٨٤٣ م في بلخ .

أما في هراة فقد ظهر أدباء وشعراء وفلاسفة أيضاً وبينهم أبو الفضل محمد ابن أبي جعفر المنذري الذي توفي في عام ٣٢٩ هـ ق / ٩٤٠ م [٦] وأحسن في

---

(١) هو الأخفش الأوسط ، وقد زاد في العروض بحر (الخبب) وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر فأصبحت ستة عشر ، وفي الأعلام للزركلي أنه توفي في عام ٢١٥ هـ - ٨٣٠ م . « المجلة »

(٢) بروكلمان تاريخ الأدبيات العربية ذيل الجلد ١ ص ٢٨٤ .

(٣) كان أولاً من أصحاب الحديث ، ثم صار عالماً بأحكام النجوم والتاريخ . « المجلة »

(٤) شرانيير : تاريخ اللاهوت الاسلامي ، في مجلة العلوم الشرقية الألمانية جلد ٥٢ ص ٥٢٩ .

(٥) ولد عام (٨٠) هـ ، وتوفي عام (١٤٤) هـ (٦٩٩ - ٧٦١ م) وكانت جده من سبي فارس. « المجلة »

(٦) الصحيح أنه توفي عام (٣١٧ هـ - ٩٢٩ م) كما في الأعلام نقلا عن المقريزي ، ووفيات الأعيان . « المجلة »

في علوم الآداب وله شعر في الشطرنج [١] . وأبو أسامة وأبو سهيل [٢] وهما لغويان وأبو ذر عبد الله بن احمد ويظن كثير [٣] أنه مؤلف كتاب المستدرك على الصحيحين ويظن بروكلمان [٤] أن مؤلفه هو محمد بن عبد الله بن (محمد) [٥] الحاكم النيسابوري بن البيع . وأبو زيد احمد بن سهل البلخي ولد في شامبستان بقرب بلخ وكان أبوه معلماً وتوفي في بلخ وتعلم في العراق عند الكندي وأحسن اليه أمير بلخ عبد الله بن سهل بن هاشم المروزي وكتب في عام ٣٠٩ ﻫ ق / ٩٢١ م كتابه الجغرافي المشهور كتاب الأشكال أو صور الأقاليم وتوفي في عام ٣٢٢ ﻫ ق / ٩٣٤ م وبهذا الكتاب سلسلة من نشرات علماء جغرافية العرب المشهورين وبين كتبه الصغار كتاب (فضائل بلخ) . وأبو المظفر محمد بن آدم الهروي وهو نحوي وأديب ، وأبو الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري الهروي [٦] وكتابه كتاب مفاخر المقالة وهو معلم للأزهري . ومنصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري الهروي [٧] ولد في ٢٨٢ ﻫ ق / ٨٩٥ م في هراة وأسره بعض الأعراب عند رجوعه من الحج الى بيت الله . واستفاد من الأسر وتعمق درس اللغة العربية حيث أصبح معلماً مشهوراً ومؤلفاً بعد رجوعه من الأسر الى هراة ومن آثاره القاموس المشهور (تهذيب اللغة) ، ومحمد يوسف الهروي وهو عالم في علم الحديث وتلميذه أبو عبيد احمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

(١) من كتبه « نظم الجمان » و « الفاخر » و « الشامل » كلها في علوم العربية . « المجلة »

(٢) لعله : سهل بن هارون أبو عمرو وهو فارسي الأصل . « المجلة »

(٣) تزيبي ص ٢٠٨ .

(٤) ب ج ١ ص ١٦٦ وذيل ١ ص ٢٧٦ .

(٥) هو ابن حمدويه الضبي . « المجلة »

(٦) قد تقدم ذكره قبل أسطر . « المجلة »

(٧) ب ج ١ ص ١٢٩ وذيل ١ ص ١٩٧ — تزيبي ص ٢٠٨ .

الهروي الذي توفي في عام ٤٠١ هـ ق/١٠١٠ م وله (كتاب الغريبين في القرآن والحديث) وكتب غيره[1]، وأبو الحسن علي بن محمد الهروي[2] وهو لغوي ونحوي وخطاط مشهور .

أما في العصر الـ ٦ الهجري (الـ ١٢ الميلادي) فقد فتح الغزنويون أفغانستان وأصبحت اللغة الفارسية لغة الشعراء والأدباء والعلماء ولكن الكثيرين منهم ظلوا يؤلفون بالعربية ومنهم شهاب الدين أديب صابر بن أديب اسماعيل الترمذي وأمير امام رشيد الدين سعد الملك محمد بن محمد بن عبد الجليل عمر المسمى رشيد الدين الوطواط وهو بلخي وأكبر شهرته في شعره الفارسي . وقد ألف أيضاً ديواناً عربياً و ١٥ كتاباً بالعربية وترجم مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الأصل العربي الى اللغة الفارسية وعنوان الترجمة هو (مطلوب كل طالب) وتوفي في عام ٥٧٨ هـ ق/١١٨٣ م .

وأبو الفضل محمد بن حسين البيهقي عاش ٣٩ سنة في حاشية ملوك غزنة وخصوصاً عند محمود الغزنوي وكتب تاريخ الغزنويين المشهور وتوفي في عام ٤٧٠ هـ ق/١٠٧٧ م وألف أشعاراً ومؤلفات عربية أيضاً[3] ثم الصوفي المشهور أبو اسحاق بن أبي علي عثمان الجلاني الهجويري صاحب كتاب (كشف المحجوب) وكتاب (البيان) توفي في ٤٦٥ هـ ق/١٠٧٢ م وله مؤلفات عربية أيضاً[4] .

والقاضي حميد الدين أبو بكر عمر بن محمود البلخي نشر مؤلفات في الفقه باللغة العربية واستعمل أولاً السجع المأخوذ من الأدب العربي في الأدب الفارسي .

---

(١) ب ج ١ ص ١٣١ وذيل ج ١ ص ٢٠٠ .

(٢) لم نجد (الهروي) بهذا الاسم الا الملا علي القاري المشهور وهو علي بن محمد سلطان الهروي ولد في هراة وسكن مكة الى أن توفي عام (١٠١٤ هـ - ١٦٠٦ م) .
« المجلة »

(٣) دائرة المعارف الإسلامية الجزء الأول عمود ٦١٦ .

(٤) تزيجي ص ٢٢٢ ودائرة المعارف الإسلامية ج ١ ع ٩٦٦ .

أما شيخ الاسلام الإمام أبو اسماعيل عبد الله بن أبي منصور محمد بن أبي معاذ علي الخزرجي الأنصاري الهروي فقد ولد في عام ٣٩٦ هـ ق/١٠٠٥ م قرب هراة وتوفي في هراة عام ٤٨١ هـ ق/١٠٨٨ م وهو من أشهر مؤلفي التصوف نثراً شعراً ونثراً عربياً وفارسياً وكتابه الأشهر هو كتاب (منازل السائرين) الذي نقل وطبع مراراً وتكراراً وهو نظريات ومقامات التصوف وكتاب (ذم اللام) وهو كتاب فلسفي والكتابان باللغة العربية[1].

وابن سينا والبيروني وهما من أكبر مؤلفي العرب ولا لزوم لتعريفهما للقراء، فهما أكبر من أن يعرفا فالبيروني عاش في مدينة غزاة عند محمود الغزنوي وكتب هناك أشهر آثاره، وصلات ابن سينا بالسلطان محمود معروفة.

ثم تذكر أبا الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيّب الباخرزي وهو عالم في الحديث والفقه والعلوم الأدبية قتل عام ٤٦٧ هـ ق/١٠٧٥ م وألف ديواناً عربياً وكتاب (دمية القصر وعصرة أهل العصر) ترجم فيه ٢٢٥ شاعراً عربياً حياةً وشعراً[2].

ومحمد بن علي بن محمد المعروف بأبي سهل ولد في هراة عام ٣٧٢ هـ ق/٩٨٢ م وتوفي في القاهرة عام ٤٣٣ هـ ق/١٠٤٢ م وهو كبير في علم الحديث[3].

ثم آدم بن أحمد بن أسد الهروي المعروف بأبي سعد الذي درس أولاً في بلخ ثم حجّ وأسس مدرسة في بغداد وتوفي عام ٥٣٦ هـ ق/١١٤٢ م وكان عند تدريسه في بلخ معلماً لرشيد الدين الوطوط ودرس الأدبيات والحديث وألف

(١) ب ج ١ ص ٤٣٣ وذيل ١ ص ٧٧٣.

(٢) تزيهي ص ٢٣٧.

(٣) هو لغوي، كان مؤذناً بمصر وتوفي فيها، له «شرح فصيح ثعلب — ط» و «مختصره» و «أسماء الأسد» و «أسماء السيف» (الأعلام: عن بغية الوعاة ٨٣ والكتبخانة ٤ : ١٦٧). «المجلة»

(كتاب الاصراف في أدب القضا وغوامض الحكومات) [١] أما أبو المظفر محمد ابن آدم بن كمال الهروي الذي توفي في عام ٤١٤ هـ ق/١٠٢٣ م فقد ألف شرحاً لديوان الحماسة وشرحاً آخر لديوان أبي الطيب المتنبي وغيره [٢]، وأبو نصر احمد بن حسين الباخرزي المتوفى عام ٤٣٥ هـ ق /١٠٤٤ م، وأبو ذر الهروي المتوفى عام ٤٣٤ هـ ق/١٠٤٣ م، واحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الفقيه المتوفى عام ٤٩٣ هـ ق/١١٠٠م، وعبادى الهروي الفقيه الشافعي المتوفى عام ٤٥٨ هـ ق/١٠٦٦ م، وأبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المتوفى عام ٤٨٨ هـ ق/١٠٩٥ م في بلخ وقد ألف (كتاب قبول الأخبار ومعرفة الرجال) و (تحفة الوزراء) و (كتاب المقالات) [٣]. وأبو يعقوب اسحاق بن أحمد اسحاق، ويعقوب القراب المتوفى عام ٤٩١ هـ ق/١٠٩٨ م في هراة كتب (فضائل الرمي في سبيل الله) [٤]. وأبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الذي ولد في بغشور بين هراة ومروالروز المتوفى عام ٥١٠ هـ ق/١١١٦ م في مروالروز وكتب (كتاب مصابيح السنة) وثلاثة كتب غيره [٥].

وما زالت الفعالية المخترعة في أزمنة المغول في العصر السابع الهجري أي في العصر الثالث عشر الميلادي. أما العناية بالعربية فكانت قليلة في زمان التيموريين أي في العصر الثامن الهجري أو العصر الـ ١٤ الميلادي حيث ظهر عمر بن اسحاق الغزنوي الدولتآبادي المتوفى عام ٧٧٣ هـ ق ١٣٧١ م وكتب (شرح المغني) وهو فقيه [٦]. وعلي شهاب الدين الحسيني الحداني الأمير الكبير الصديق للسلطان قطب الدين وهو الصوفي المشهور والذي ولد عام ٧١٤ هـ ق/١٣١٤ م

(١) ب ١ ص ٤٠٣ وتزيهي ص ٢٢٧.
(٢) تزيهي ص ٢٢٨.
(٣) ب ج ١ ص ٣٦٣ و ب ذيل ج ١ ص ٦١٩.
(٤) ب ذيل ج ١ ص ٦١٩.
(٥) ب ج ١ ص ٤٦٣ و ٣٦٤ و ب ذيل ج ١ ص ٦٢٠.
(٦) ب ج ٢ ص ٢٢٠.

في همذان والمتوفى عام ٧٨٦ هـ ق ١٣٨٣ م في تيراه في ياغستان ودفن في ختلان في بدخشان وهو صاحب كتب عربية كثيرة[١] ، وعلي بن محمد الجرجاني السيد الشريف ألف كتباً عربية كثيرة تقرب من (٤٤) كتاباً عاش وتعلم في هراة من سنة ٧٦٦ هـ ق/١٣٦٥ م الى ٧٧٠ هـ ق/١٣٦٨ م[٢] ، ثم نشطت العربية في أفغانستان مجدداً في العصر التاسع الهجري (الـ ١٥ الميلادي) والعصر العاشر الهجري (الـ ١٦ الميلادي) وكان أكبر المعنيين بها الشاعر عبد الرحمن بن احمد الجامي النقشبندي قوام الدين وقد ألف كثيراً بالعربية علاوة على ما ألفه من الكتب المتعددة باللغة الفارسية وله اثنا عشر كتاباً ترجم منها الى العربية كتابه الشهير (نفحات الأنس)[٣] وتوفي عام ٨٩٨ هـ ق/١٤٩٢ م في هراة ، ثم نذكر الفلك شاهروخ بن تيمور الذي حكم هراة من ٨٥٢ هـ ق/١٨٤٨ م الى ٨٥٣ هـ ق/١٤٤٩ م وألف آثاراً كثيرة في علم الفلك باللغة العربية ، ونور الدين أبا القاضي بن أحمد البلخي الذي ألف كتابين في علم الفلك (المدخل في علم النجوم) وغيره[٤] ، ثم زين الدين بن علي بن احمد المعبري المليباري الصوفي المولود في كوشان عام ٨٧٢ هـ ق/١٤٦٧ م والمتوفى في فنان ٩٢٨ هـ ق/١٥٢٢ م وكتب بالعربيــة (هدايات الأذكياء الى طريق الأولياء)[٥] وله شرح كتبه ابنه عبد العزيز وعنوان الشرح (مسلك الأذكياء) وكتب عبد الباقي بن محمد حاجي صدر الدين الصيراني في قندهار في عام ٩٥٠ هـ ق/١٥٤٣ م الكتاب اللغوي (رسالة في تمام المشترك)[٦] .

(١) ب ج ٢ ص ٢٢١ وذيل ج ٢ ص ٣١١ .
(٢) ب ج ٢ ص ٣٠٥ وذيل ج ٢ ص ٢١٦ و ٢١٧ .
(٣) براون تاريخ ادبيات الفرس ٣ ص ٥٠٧ وما بعدها وبروكلمان ح ص ٢٠٧ .
(٤) ب ج ٢ ص ٢١٢ وذيل ج ٢ ص ٢٩٨ .
(٥) ب ج ٢ ص ٢٢١ .
(٦) ب ج ٢ ص ٢١١ .

وكتب شرف الدين القاضي بن حسين المدراغي الغزنوي الذي توفي عام ٨٥٤ هـ ق/١٤٥٩ م (النتف الحسان في الفتاوى) [١] وكتب معين الدين بن شرف الدين حاجي محمد الفراحي الهروي المسكين الذي توفي في هراة عام ٩٠٧/١٥٠١ (بحر الدرر) [٢]، وكمال الدين حسين بن علي البيهقي الكاشفي الواعظ عاش في هراة حيث توفي عام ٩١٠ هـ ق/ ١٥٠٥ وكان شاعراً فارسياً معروفاً [٣] وكتب بالعربية (لوائح القمر) وابنه فخر الدين علي بن حسين الواعظ الكاشفي الهروي المولي الصافي كتب الكتاب الصوفي المشهور (رشحات عين الحياة) [٤]، ونظم عبد المعين بن أحمد بن البكاء البلخي الحنفي في عام ٩٧٢ هـ ق / ١٥٦٤ م ديوان شعر بعنوان (غواشي الأسواق في معاني العشاق) [٥] وكان عصام الدين ابراهيم بن محمد بن عربشاه الاسفرائيني المتوفى عام ٩٤٤ هـ ق / ١٥٣٧ م قد قضى الشطر الأول من عمره مدرساً في مدرسة شاهروج موسا في هراة وكتب (ميزان الأدب في العلوم الثلاثة الصرف والنحو والبلاغة في لسان العرب) و (رسالة في علم المجاز) وكتباً غيرهما كثيرة [٦].

وكتب محمد بن يوسف اللبيب الهروي في عام ٩٢٤ هـ ق/١٥١٨ م كتاباً طبياً عنوانه (بحر الجواهر في تحقيق المصطلحات الطبية من العربية واللاتينية واليونانية). وكان كتاباً مشهوراً ثم كتب كتباً عديدة غيره [٧]، ومحمد رحيم

(١) ب ج ٢ ص ٢٧٠ .
(٢) ب ج ٢ ص ٢٧٨ .
(٣) براون ج ٣ ص ٤٤١ و ٥٠٣ .
(٤) ب ج ٢ ص ٢٨٦ و ٢٨٧ .
(٥) ب ج ٢ ص ٥٧٠ .
(٦) ب ج ٢ ص ٤١٠ و ٤١١ وذيل ج ٢ ص ٥٧١ ،
(٧) ب ذيل ج ٢ ص ٥٩٢ .

ابن الحاج محمد الهروي كتب (أنيس المستوحشين) وهذا في العصر الـ ١١ الهجري (الـ ١٧ الميلادي) ، أما في العصر الـ ١٣ الهجرى (الـ ١٩ الميلادي) فنذكر صاحبزاده محمد عمر ميال المحمدي الذي ألف كتاب (برهان الأصول) و (لائق السماع في تحقيق الجمعة) ، وملا أحمد الله البشاوري صاحب (تحفة الإخوان في التفرقة بين الكفر والايمان) وملا دوست محمد بن ملا أمين الكابلي الذي كتب في عام ١٢٩١ هـ ق / ١٨٧١ م (تحفة الاخلاء في عصمة الأنبياء) [1] .

هذا وإن من أهم الشخصيات التي بشرت بالوحدة الاسلامية ونفخت روح الوحدة العربية وتعدتها الى (الوحدة الشرقية) السيد جمال الدين الأفغاني وليس من اللزوم أن نعرفه لقراء هذه المجلة وهو هو وثم عالم أفغاني شرح مؤخراً تطوره الروحي نحو العروبة [2] .

وفي تدريس الأفغانيين اليوم للعربية شاهد على عنايتهم بها وتوجد مدارس كثيرة في أفغانستان تدرس العربية مستقلة أو بالاشتراك مع الديانة وفي المدارس الثانوية العصرية أصبح تدريس العربية إجبارياً . ولمعلمي اللغة العربية الأفغانيين معرفة جيدة بالعربية ومثلنا على ذلك زميلنا العزيز الذي يدرس العربية في مدرستنا (النجاة) الثانوية وهو القاضي عبد الطاهر السامي الذي درس العربية بالأزهر فهو يتكلم العربية بسهولة واتقان مبعثها حب العربية .

وأهم المدارس التي تدرس العربية في الأفغان هي دار العلوم العربية ثم المدارس التي تدرس فيها الديانة على الطراز القديم وبينها دار العلوم في كابول ويدرس فيها (١٣٠) طالباً ، وفخر المدارس في هراة يدرس فيها (٢٢٠) طالباً . ونجم المدارس في حده وهي قرب جلال آباد ويدرس فيها (٥٠) طالباً .

(١) ب ذيل ج ٢ ص ٨٤٩ .

(٢) سيد أحمد شاه خان هاشمي (سيد جمال الدين ومفكورة اتحاد اسلامي) في مجلة العرفان كابول عام ١٩٥٤ م/١٣٧٣ هـ ش ثم بركلمان ذيل ج ٣ ص ٣١١ وما يليها .

ومدرسة الاصدية في مزار الشريف وتضم (١٠٠) طالب ، ومدرسة ظاهر شاهي في ميمنة وفيها (٣٠) طالباً ، ومدرسة تخارستان في كندز وتحوي على ستين طالباً ونور المدارس في غزنة وتضم ثلاثمائة طالب والمدرسة المحمدية في قندهار وفيها ستون طالباً وغيرها في المدن الصغيرة والقرى وهذه المدارس تحت إدارة وزارة المعارف الأفغانية وأكثرها نظامية لا سيما مدارس التدريس المسلكي أي التدريس الصناعي وإدارة هذه المدارس موحدة ورئيسها الآن الدكتور محمد حيدر ومعاونه الأستاذ محمد هاشم المجددي الذى درس سنوات كثيرة في الجامع الأزهر الشريف ويجيد العربية بطرز كامل وهو من عائلة لها مقامها وان عمه السيد هاشم المجددي أسس مدرسة نور المدارس المذكورة وأخوه السيد محمد صادق المجددي كان سفيراً للافغانستان في مصر وهو ملم بالثقافة العربيـة . أما فخر التدريس العربي في أفغانستان الحديثة فهي دار الفنون العربية في بغمان بقرب كابول وتضم (٢٠٠) طالب في القسم الثانوي و (١٠٠) طالب في القسم الجامعي . وان التدريس العصري لهو الغالب اليوم وهناك أساتذة يدرّسون على الطراز القديم وتستخدم الحكومة الأفغانية ثلاثة مدرسين من بلدان العرب اثنان من العراق وهما السيد عبد الجبار ومحمد الطيبي وواحد من مصر وهو الاستاذ خياط وهم يدرّسون على الطراز الجديد ويتكلمون مع التلامذة بالعربية ويدرسون كتباً عصرية وجرائد . ويجيد أكثرية أساتذة هذه المدرسة اللغة العربية . وتعجبني سهولة تكلمهم بها وعبارة المتعلمين والتلفظ الكامل ، والطلبة الأفغانيون يلفظون أحرف الضاد والعين والهمزة بوضوح ويصعب على المرء أن يعرفهم أفغاناً حين يتكلمون العربية إلا بتلفظهم الخاص للألف الممدودة فقط . وترى أن أولئك التلامذة لا تعادل فرحتهم فرحة لمعرفتهم العربية .

ويوجد مسرحان في كابول ما زالا تحت تأثير الأدب الفرنسي ووحيه ولكن السيد رشيد اللطيفي وهو مدير سابق وكان يشتغل في السفارة الأفغانية في مصر (القاهرة) استوحى من المسرح المصري العصري فنه وترجم روايات عربية عديدة وأكثر ما ترجمه للأستاذ توفيق الحكيم وهكذا دخل المسرح المصري على المسرح الأفغاني وأخذ يغزوه ٠

وجمهرة الناس تطرب اليوم للفن المنبعث عن الأدب العربي : وتستسيغه أكثر من الأدب الفرنسي ويعود ذلك لجهود الأستاذ رشيد ولتآليفه وشخصيته المحبوبة ٠

وهكذا نجد أفغانستان تحتل مكاناً ممتازاً في البلدان المسلمة غير العربية من حيث الآداب منذ أقدم العصور حتى اليوم ٠٠٠٠

كارل شتولز

كتاب الجليس والأنيس

للمعافى بن زكرياء النهرواني

تمهيد

قبل أكثر من سبعين سنة أي في سنة ١٨٨١ م نشر وليام رايت (William Wright) كتاب الكامل للمبرد في كمبريج ، ومن ذاك التاريخ أظهر الاختصاصيون اهتمامهم بهذا الكتاب ، ورغماً عما كان لهذا الكتاب من قيمة كبيرة في أوربا كان له قيمة أكبر في العالم الاسلامي القديم ، وكان يُعدّ المبرد صاحب مدرسة البصرة في عهده كما كان زميله في ذلك الوقت ثعلب صاحب مدرسة الكوفة ، إن هذا الكتاب يُعدّ بدون مبالغة من أهمّ الكتب الأدبية التي أُخرجت في القرن الثالث الهجري . وقد ظهر بعض الأدباء الذين أخذوا على عاتقهم انتقاد هذا الكتاب ومن جملتهم كان القاضي أبو الفرج المعافى بن زكرياء بن يحيى بن حميد بن حماد بن داوود الطرارا الجريري النهرواني[1] ، لقد توفي المبرد في سنة ٢٨٥ وأما المعافى فقد ولد سنة ٣٠٥ وتوفي سنة ٣٩٠ وهذا يعني أن المعافى توفي بعد مائة سنة تقريباً من وفاة مؤلف الكامل .

ولد المعافى في إحدى قرى كورة النهروان وكان لمدة ما نائباً لقاضي باب الطاق الواقعة شرق مدينة بغداد ، وكان منذ طفولته يميل الى الشرع الإسلامي وتفقه به وأصبح فقيهاً كبيراً يشار اليه بالبنان .

---

(١) انظر بروكلمان (C. Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur) الطبعة الثانية ١ : ١٩٥ وتكملته ١ : ٣١٢ .

وكان يدعى الجريري نسبةً الى أبي جعفر محمد بن جرير الطبري مؤسس المذهب الجريري ، ومما يجب ذكره أن زميله في ذاك الوقت ابن النديم أتى على ذكره في كتاب الفهرست في فصل مذهب الطبري وأتباعه [1] ، ويعدد ابن النديم ثمانية عشر مؤلفاً للمعافى ، ويضيف أن المعافى نفسه ذكر له أنه صنّف أكثر من خمسين مؤلفاً في الفقه والأصول والنحو وغيرها ، ومن بين الكتب التي عدّدها ابن النديم ما هو في اللغة وما هو في التفسير ، وينتهي الى امتداح كتاب الجليس الذي أتحدّث عنه .

إن العنوان الكامل لهذا الكتاب القديم الفني الذي نعنى بنشره هو «كتاب الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي» والكتاب مقسم الى مائة مجلس يُقرأ مجلس منها في كل اجتماع ، وكثيراً ما يبدأ المجلس بحديث نبوي تليه شروح لغوية وتفسيرات معنوية يُستخدم فيها بعض القصص التاريخي النافع أو الحكايات المسلّية أو القطع الشعرية .

نسخ المخطوطة ووصف النسخة الأصلية

وقبل أن نتحدث عن مادة الكتاب نحاول أن نتعرّف ، بإيجاز ، الى النسخ المختلفة للمخطوطة ثم الى مصادر الكتاب .

لقد كان للأستاذ ريتر (Hellmut Ritter) الفضل في أنه دلّني على المخطوطة الأصلية ، أعني نسخة سراي احمد ٣/٢٣٢١ في استانبول ، ولم يذكر الأستاذ بروكلمان هذه النسخة في كتابه تاريخ الأدب العربي وإنما وصفها الأستاذ ريتر في Oriens ٢ : ٢٧٩ — ٢٨٢ ، وهي في ٢٥١ ورقة ومكتوبة بخط نسخي جميل وهي المخطوطة الوحيدة التي تقدّم لنا النص الكامل للكتاب ، وتاريخ نسخها يعود الى ٢٩ شوال من سنة ٦٢٩ .

(١) راجع كتاب الفهرست لابن النديم ١ : ٢٣٦ .

وأما النسخ الأخرى التي عرفتها لهذا الكتاب فليست كاملة وإنما تتضمن بعض الأجزاء أو المجالس ، ومن بينها نسخ أهميتها ترجع الى قدمها .

وأما نسخة سراي أحمد ، التي ستكون أساساً في نشر الكتاب ، فقوبلت على نسخ أخرى مقابلة كاملة من أولها الى آخرها ، ويشير الى ذلك تاريخ المقابلة الوارد في آخر الكتاب وهو ١٠ جمادى الآخرة من سنة ٦٨٤ أعني بعد ٥٥ سنة من كتابة المخطوطة ، وقد قام بالمقابلة عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن احمد بن الصابوني الشيباني السلامي الفُوَطي [١] الذي ظلّ قيّم المكتبة المستنصرية ببغداد حتى وفاته .

وعلى النسخة ختم السلطان بايزيد الثاني ابن محمد الفاتح .

وهناك أشياء كثيرة مما يمكن أن نقوله في وصف هذه المخطوطة ، وسنذكره في مقدمة الطبعة ، كما أننا سنتحقق ، عن طريق كتاب المعافى نفسه ، من كل الذي كتبه عنه مترجموه وما كتبه ابن النديم بوجه خاص .

شيوخ المعافى

وقد كان للمعافى عدد من الشيوخ ، وكتب التراجم تذكر أشهرهم ، كالبغوي ويحيى بن محمد بن صاعد من المحدثين ، ونفطويه اللغوي الكوفي ، وهناك عدد آخر من شيوخه أقلّ شهرة من هؤلاء ، غير أننا يجب أن نضيف الى هذه الأسماء أسماء أخرى يطلعنا عليها كتاب الجليس نفسه ، فاذا استعرضنا المجالس العشرة الأولى مثلاً وجدنا أكثر من أربعين شيخاً يروي عنهم المعافى ، ومن بين هؤلاء الأربعين لا تحتلّ الأسماء السابقة المكان الأول وإنما تحتلّ مكاناً ثانوياً .

(١) بروكلمان تكملة ٢٢ : ٢٠ .

والشيخ الذي يتردد اسمه في أكثر المرات هو اللغوي الكوفي ابن الأنباري ، ثم اللغوي البصري ابن دريد ، ويليهما الحسين الكوكبي وهو غير ذي شهرة واسعة (١) ، ثم الصولي ، ثم زكرياء والد المعافى الذي نعرفه بابنه (٢) .

وكذلك نجد من شيوخ المعافى أبا جعفر أعني الطبري شيخ المذهب الجريري ، ويظهر أن المعافى اتصل به منذ طفولته لأن الطبري مات سنة ٣١٠ والمعافى ولد سنة ٣٠٣ أو ٣٠٥ ، وبين الحين والحين يذكر المعافى تفسير الطبري تحت اسم «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (ق ١٣ (و)) .

الشعراء الذين استشهد بشعرهم

إن الشعراء الذين ذكرهم المعافى في هذه المجالس العشرة الأولى واستمد منهم شواهده على تفسيراته اللغوية يبلغون سبعين شاعراً ، وهم موزعون على كل العصور : العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام والعصر الأموي والعباسي ، وأكثر من ذكرهم الأعشى وامرؤ القيس وحاتم الطائي وجرير وذو الرمة وأبو العتاهية وابن الرومي ، ولا يسمي المعافى الشاعر الذي يستشهد باسمه في أغلب الأحيان وإنما يكتفي باستعمال الجملة المعروفة «وقال الشاعر» ...

ويبدو من استعراض أسماء هؤلاء الشعراء السبعين أنه لا يفضل شاعراً من عصر على شاعر من عصر آخر وأنه يستخدم شعراء العصور المختلفة على السواء في الاستشهاد .

ويبدو المعافى من خلال هذه المجالس شاعراً ولكنه ليس بالشاعر الفحل ، والأبيات التي هنا أكثر عدداً من الأبيات التي تطلعنا عليها كتب التراجم .

(١) بروكلمان تكملة ٣ : ١٣١٥ .

(٢) نسخة استانبول ق ١٤ (ظ) و ١٧ (و) و ٦٨ (و) و ١٤٦ (ظ) و ٢١١ (و) و ٢٤١ (و) وغيره .

مؤلفات المعافى

ومن خلال الاشارات المقتضبة في هذه المجالس نستطيع أن نضيف جديداً الى قائمة المصنفات التي ذكرها ابن النديم والتي أشرنا اليها في مطلع هذه المقالة .

إن المعافى يشير الى طائفة من كتبه الفقهية بتعابير أو بجمل عامة كقوله « فيما ألّفنا من كتب الفقه » . مثال ذلك أنه يتحدث عن المصلّي خلال الصلاة هل يجب أن يقطع صلاته إذا سئل فقال « القول في هذا النحو مستقصى فيما ألّفناه من كتبنا في الفقه » (ق ٦ (و) من نسخة استانبول) ، وفي موضع آخر يضع المعافى أمامنا التعبير التالي : « من كتبنا في فرائض المواريث » (ق ١٨ (و)) .

أما عن كتبه في المسائل النحوية واللغوية فالمعافى يشير الى شرحه مختصر أبي عمر الجرمي[1] (الفهرست يسميه خطأً « شرح كتاب الحزمي ») ، كما يشير الى « رسالة مفردة مستقصاة » في تصريف فعل شَكَرَ متعدّياً الى المفعول (شكره) أو متعدياً بحرف الجر (شكر له) .

إن هذه الكتب التي تحدّثنا عنها هي الكتب التي صنّفها المعافى ، غير أننا نلمح من خلال دراسة كتاب الجليس أن هنالك مجموعة كتب كان ينوي أن يصنفها في التفسير بوجه خاص ، ولما كان المعافى مسنّاً حين صنف كتاب الجليس - إذ كان بلغ الثانين - فنحن نرجح أنه لم يستطع أن يكتب هذه الكتب التي بشر بها أو تحدث عنها .

وهو لا يحدد أسماء هذه الكتب التي بشر بها وإنما يتحدث عنها بتعابير عامة كقوله « كتبنا في القرآن » (ق ٦ (ظ)) و « في علوم القرآن »

(١) ق ١٣ (و) وانظر معجم البلدان لياقوت نشر وستنفلد (Wuestenfeld) ١ : ٨٩٤ .

(ق ٧ (و) و ٧ (ظ)) و «في علوم تنزيل القرآن وتأويله» (ق ١٣ (و))، إلا أن هنالك مؤلفاً يشير اليه دائماً ويذكر اسمه الواضح هو «البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز» (ق ٣ (ظ) و ٤ (ظ) و ١٣ (و) و ٢١ (ظ))، ومن الممكن أن نفترض أن أكثر مؤلفاته القرآنية التي يتحدث عنها بالصيغ العامة المبهمة هي نفس كتاب البيان الموجز .

والمعافى يتكلم عن كتابين في القراءات ويتحدث عنها بلفظ «في القراءات» أو «في علل القراءات وتفصيل وجودها» (ق ٤ (ظ))، ويبدو مقبولاً أنهما لم يكتبا كذلك، بينما يظن أنه كتب كتاباً «في القراءات وعلوم القرآن على الشرح والبيان» (ق ٢٣ (و))، إن ابن النديم لا يتحدث إلا عن «كتاب في تأويل القرآن» .

مادة الكتاب

لكي نتعرف الى مادة الكتاب يجب أن نتوقف عند مقدمته، وهي مقدمة ذات أهمية بالغة لأن المؤلف يعرّفنا فيها بهدف الكتاب ويصوّر لنا هيكله المجمل :

«فلاح لي أن أنشئ كتاباً أضمنه أنواعاً من الجد الذي يستفاد ويعتمد عليه ومن الهزل في أثنائه ما يسرّ استماعه ويستراح اليه، فإنّ اختلاف الأنواع يسهّل النظر فيها وينشّط الوقوف عليها ويوفر الاستمتاع بها، وأن أضمنه علوماً غزيرة وآداباً كثيرة وأجعله مجالس موزعة على الأيام والليالي ولم أشترط فيه مبلغاً من العدد محصوراً ولا قدراً من المجالس محظوراً» .

ومن الغريب أننا نجد نفس الأفكار ونفس التعابير عند المبرد الذي يقول في مطلع الباب ٤٦ من كتاب الكامل[1] :

---

(١) الكامل ص ٤٠٩ نشر رايت (Wright) .

« نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئاً لتكون فيه استراحة للقارئ وانتقال ينفي الملل لحسن موقع الاستطراف ونخلط ما فيه من الجد بشيء يسير من الهزل ليستريح اليه القلب وتسكن اليه النفس » .

ومن مقارنة هذين النصّين نلاحظ أن المؤلفين معاً يجعلان شرط كتابهما الاستراحة والاستطراف وتجنّب الملل والإتعاب .

ويمضي المعافى في المقدمة فيذكر لنا أسماء مؤلفات مماثلة لكتابه فيعدد كتاب « الجواهر » و « زاد المسافر » و « الزهرة » و « أنس الوحدة » ، وتعجبه هذه الأسماء وتروقه على أنها عناوين كتب بينما لا يروقه ولا يعجبه عنوان كتاب المبرد : الكامل ، فهو بعد أن يتدح بعض فضائله ينقده بعنف ويذكر أنه لا يجد فيه شيئاً من الكمال ويقول عنه أنه لا يستحق العنوان الذي أعطاه إياه المبرد .

ثم ينقد المعافى بشكل أكثر اعتدالاً الصولي الذي روى عنه بعض الأحاديث ويتكلم عن كتابه « الأنواع » الذي لا نعرف عنه إلا اسمه الذي ورد في خزانة الأدب [1] ، ويقول عنه إن هذا الكتاب حسن التقسيم ولكنه لا يعالج موضوعه معالجةً عميقة ، ثم يتكلم عن كتاب آخر للصولي مجهول تماماً واسمه كتاب « النوادر » .

ثم يعود الى ذكر كتابه فيقول عنه :

« وضمنته كثيراً من محاسن الكلام وجواهره ومُلحه ونوادره وذكرت فيه أصولاً من العلم أتبعتها بشرح ما يتشعب منها ويتصل بها بحسب ما يحضر في الحال ، مما يؤمن معه الملال ، ومن وقف على ما أتيت به من هذا علم أن كتابنا أحق بأن يوصف بالكمال » .

---

(١) خزانة الأدب ٣ : ٥٣ .

ويوجه هذا اللوم الى « كامل » المبرد لنقص الأسانيد فيه ، وليس المعافى وحده هو الذي لاحظ على المبرد حذف الأسانيد ، وإنما هناك آخرون اتجهوا الى نفس الملاحظة كما نجد عند ياقوت في « إرشاد الأريب » حيث تطالعنا كلمة لنفطويه : « ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد من المبرد وابي العباس ابن الفرات » [١] .

ويجب القول بأن المعافى يذكر كل خبر بإسناده ويذكر تاريخ الإسناد أحياناً ، ومن النظر في هذه التواريخ نلاحظ أنها تمتد بين سنة ٣١٤ — ٣٢٩ ، وإذن فالمعافى استمد مواد كتابه مما حفظه أو تعلمه وهو صغير بين سن التاسعة وسن الرابعة والعشرين .

وسيكون من محاولتنا أن ندرس كتاب الجليس وأن نعرف الى أي حد كان المعافى أميناً على هذا المنهج الذي تحدث عنه في المقدمة ، وليس في وسعنا أن نحلل الكتاب كله ولذلك سنكتفي بالنظر في مجلس واحد ، دون تعيين ، وليكن المجلس الرابع .

المجلس الرابع

يبدأ المجلس برواية حديث عن عائشة :

« حدثنا أحمد بن اسحق بن بهلول إملاء في يوم الاثنين لخمس ليال بقين من شعبان سنة ست عشرة وثلثمائة قال حدثنا أبي عن أبيه عن أبي شيبة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من الشعر حكما وإن أصدق بيت تكلمت به العرب قول الشاعر : ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ » .

(١) ارشاد الأريب نشر مارجوليوث (Margoliouth) ٧ : ١٣٨ .

ثم يأخذ المعافى بالشرح فيذكر اسم الشاعر والشطر الثاني من البيت والبيت الذي يليه :

« قال القاضي أبو الفرج (يعني المعافى) : هذا البيت الذي حكاه النبي صلى الله عليه وسلم عن قائله من الشعراء هو لبيد بن ربيعة افتتح به كلمة فقال في أولها :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

وبعده :

وكلُّ أُناسٍ سوف تدخل بينهم دُوَيهيَةٌ تصفرُّ منها الأناملُ » .

ثم يروى عن عثمان أنه « لما سمع قوله : وكل نعيم لا محالة زائلُ ، قال : كذب ، نعيم أهل الجنة لا يزول » .

ويعلق على رأي عثمان بقوله : « وهذا القول من عثمان يدلّ على أن مذهب القوم في العموم هو جارٍ في لغتهم على الشمول عند تجرّده واستغراق الجنس بإطلاق لفظه » .

ويقف عند كلمة « دويهية » الواردة في بيت لبيد فيقول : « وأما قول لبيد في البيت الآخر دويهية على التصغير ، فمن الناس من يقول : هو تصغيرٌ معناه التكبير ، وجعله مثبتو الأضداد في اللغة من الأضداد ، وقال بعضهم : بل هو على تصغيره وإنما أريد به أنه إذا كان التصغير منه يبلغ هذا المبلغ ويؤثر هذا الأثر فتكبيره أعظم وأبلغ » .

وهذا التناقض بين شكل الكلمة « تصغير » ومعناها « تكبير » يدعو المعافى الى الاهتمام بالمسألة وإبداء رأيه الخاص في صيغ التصغير ودلالتها فيقول :

« ولي في هذا مذهب استخرجته بنظري وما علمتُ أحداً سبقني اليه ولا تقدّمني فيه ولكن الله الذي يؤتي الحكمة من يشاء نبهني اليه ، وهو أن الاسم المصغّر إنما قصد به الدلالة على صغر ذاته وقلة أجزائه <١> وتعلّقه بجزء

يسير في نفسه ؛ فأما الصغير في ذاته وقلة أجزائه فكالحُجَيرة الصغيرة التي ليست حُجرة كبيرة ، وأما المتعلق بشيء يسير فكقولك : أتيتك قُبَيْلَ العصر أو بُعَيْدَ الفجر ، فبُني <على> أن المتقدم من الزمان في قولك قُبَيْلَ يسيرٌ قليلٌ والمتأخر منه في قولك بُعَيْدَ قصيرٌ ليس بطويل ، ونحو هذا قُدَيْدِيمَة ووُرَيِّئَة في قُدّامَ ووراءَ يجري الأمر فيه من جهة الأمكنة مجراه فيما قدّمناه من باب الأزمنة كما قال الشاعر :

قديديمةُ التجريبِ والحِلْم أنني أرى غَفَلاتِ العيشِ قبلَ التجاربِ

فظنّ من قال : إن التصغير في هذا الباب تكبير لما رأى ، أن القصد من قائله الإشعار بأمر عظيم وخطب كبير جسيم ، ولو تأمل هذا الظانّ الأمر في هذا لبان له أن الصغير على صغره ، فانه نتج كبيراً أو أدى اليه عظيماً في نفعه أو ضرره ، وكل واحد من الأمرين على حقيقته في نفسه وخصوصيته في جنسه ، فالدويهية ههنا صغيرة جرّت أمراً كبيراً » .

ويستمرّ المعافى على هذه الفكرة الأخيرة بقوله : « كما قال :

رُبَّ كبيرٍ هاجه صغيرُ وفي البحورِ تغرَقُ البحورُ

وقول القائل من المُحْدَثين :

لا تحقرنّ شُبَيْبًا كم جرَّ أمراً شُبيبُ

ثم يمضي المعافى فينقل لنا أن بعض الذين استمعوا الى رأيه هذا انتقدوه فيورد الانتقاد ويردّ عليه ويقول :

« وكان بعض من يتعاطى الأدب ويدأب في طلب المعاني واستنباط لطيفها سمع مني معنى ما ذكرته في هذا الفصل بعد أن طعن على من قدّمتُ الحكاية عنه في هذا الباب وقال : كيف يكون الصغير كبيراً ؟ وإذا جاز هذا جاء منه أن يصح قول من قال : الداء هو الدواء ، والسقم هو الشفاء ، وهذا مما عبرت عن معناه بلفظي دون لفظ المتكلم به ، لأنني لم أصمد لحفظه ولأنه كان

غير بليغ في نفسه ولا مستقيم في ترتيبه ، فحكيت معناه بلفظٍ لم آلُ في إيضاحه وتهذيبه . وقال هذا القائل : إن الذي اجتبيته في هذا غير مخالف للقول الثاني الذي قدّمت حكايته عن قائله . فكان من جوابي لهذا القائل أنْ قلتُ له : إن الفرق بين قولي وقول من رغبت عن قوله ونسبتني الى موافقته أن هذا الذي حكيت قوله يزعم أن الصغير المذكور اذا جرّ الى ضرر فكبيره أبلغ في الضرر منه ، وأنا ذهبت الى أن هذا الصغير يؤثر تأثيراً كبيراً من حيث كان جنسه يؤثر نفعاً أو ضرّاً بكيفيته دون كميته ، وضربت لهذا المخاطب مثلاً قرّبتُ به هذا الفصل عليه لما بعد عنه إدراكه إذ كان الفرق بين هذين القولين لطيفاً جدّاً وكان بينهما من بعض الوجوه تناسب وشبه وتقارب ، فقلت له لمّا كان من الأشياء ما يكون عند قليل أجزائه منفعة جسيمة أو مضرّة عظيمة كالدرياق والسم بولغ في العبارة عن المنافع بها لاشتهار هذا المعنى لقول الحباب بن المنذر : أنا جُذَيلها المحكّك وعُذَيقها المرجّب ، وفي الاخبار عن الجنس الضارّ قول لبيد :

دويهية تصفرّ منها الأنامل» .

ويلخص رأيه ورأي معارضيه بقوله :

« وجملة الفصل بين قولي وقول من خالفته وتوهمت أني وافقته أنه عنى بالكمية وعنيت بالكيفيه ، وقد يكون من الأشياء ما يؤثر قليله وينتفي تأثيره عن كبيره ، كالجرورا والحُباب والصُرَد والقيرْقيس والبَعوض من الجنس الواحد ، وكنوع من الحيات ذوات الأجسام اللطيفة وعظيم ضررها وقصور الحية الكبيرة المسماة الحُفّاث في ذلك عنها وإن كانت أعظم خلقاً وأشنع منظراً ، وقد قال أهل العلم بصناعة الطب إن السقمونيا يُنتفع بتناول مقدار منه يسير ذكروه ويقاربه في النفع والضرّ ما قاربه من الأجزاء في المبلغ والقدر ، وإنه اذا بلغ من الكثرة مقداراً متفاوتاً لم يضرر كبير ضرر ولم يظهر في

أخذه ما يظهر بتناول قليله من الأثر في نفع ولا ضرر . ولقد حدثني بعض متفقهي القضاة أن قوماً دسّوا شيئاً كثيراً من السقمونيا في بعض المطاعم الحلوة لرجل كانوا يعاشرونه وكان معروفاً بكثرة الأكل وإنه أكل جميعه وانصرف عنهم ، فندموا على ما كان منهم وأشفقوا على هذا الرجل وعملوا على الفحص عن أمره واستعلام خبره ، فجاءهم يتأوه ويقول لهم : أيّ شيء أطعمتموني ؟ فقد عرض لي قولنج برّح بي . وأما قول هذا الخاطب لي : كيف يكون الداءُ دواءً والسقمُ شفاءً ؟ فإن هذا قد يوجد معنىً ويُستعمل لفظاً ، وقد ظهر لعامة الناس وخاصتهم أن الداء المسمى خماراً العارض عن الشراب المسكر يشفي منه شرب شيء مما تولّد الخمار عنه » .

ثم يتابع المعافى في هذا الطريق فيستشهد بطائفةٍ من الشعر ، ويذكر بعض حكايات ، ويورد طائفةً من الأقوال الشائعة عند العرب كقولهم : رُبَّ محنة حدثتْ عن لحظة ، وربَّ حربٍ جُنيتْ من لفظة ، والقليل الى القليل كثير ، والذَّوْد الى الذود إبل ، وقد يملأ القطر الإناء فينفعم ، وغيره . ويكون في بعض ما يقوله : « واستقصاء هذا الباب وما يضاهيه وينشعب منه يطول ولا يليق بهذا المجلس الزيادة عليه » .

ولا ينسى المعافى وهو يردّد بعض الأبيات من شعر أبي نواس والأعشى أن يذكر بعض أبياتٍ من نظمه :

« وكنت في الحداثة أنشأت كلمة مسمطة على نحو قصيدة مُدْرِك الشيباني في عمرو النصراني ، فكان مما ذكرته في كلمتي هذه عند صفة عين إنسان نعتُّه ونسبت الكلمة به :

سُقْمٌ أرى أحسنَ عينٍ تطرِفُ ... تقوَى به وللقلوب تُضعِفُ
كالسمّ في الأفعى يَقِي ويحتِفُ ... تحيا به وللنفوس تُتلِفُ

ثم قلت :

دواء من أقصده بسُقمهِ تكراره نحو مرامي سَهمهِ
كالأفعوان يُشتفى من سمّهِ بشرب درياق كريه طعمهِ

وقلت أيضاً من كلمة :

وشفائي بسُقم مقلة ظبي قدَّ قلبي منه بأحسن قَدّ
سقمُها لي شفاء دائي إذا جا دَتْ ودائي إذا تصدَّت لصدّ

وأنا أستغفر الله من مساكنة ما يشغل عن عبادته » .

وفي نهاية المجلس يحرص المعافى على أن يذكر بعض الحكايات والقصص المسلية التي يختلط فيها النثر بالشعر والطرافة بالتأثير ، فمن ذلك الحكاية التالية :

« حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو معاذ خلف بن أحمد المؤدب عن ابن اسحق الزيادي قال حدثني رجل من العرب قال : كان بيننا وبين قوم حربٌ فلقونا فهزمناهم ، فاذا فتىً منهم قد صبر لنا فجعل لا يحمل على ناحيةٍ من عسكرنا إلا كشفها وهزمها ، ثم احتولناه بأرماحنا فأشفقنا عليه فعرضنا عليه الأمان فقال :

أذُلُّ الحياةِ وذُلُّ المماتِ وكُلاًّ أراه طعاماً وَبيلا
فإنْ كان لا بدَّ من واحدٍ فسيري الى الموتِ سَيْراً جميلا

ثم حملنا عليه فقتلناه فإذا هي امرأة »[1] .

* * *

لقد تحدَّثنا عن المجلس الرابع الذي بدأ برواية الحديث وتفسيره وانتهى الى شعر وقصص وحكاياتٍ مسلّية ، والملاحظ أن المؤلف يضيع نظام البحث كما نفهمه الآن ويحكمه الاستطراد ، فتفسير كلمة في بيت من الشعر يدعوه الى الاستشهاد ببيت جديد أو الى ذكر الأبيات المماثلة وهكذا .

(١) انظر الأغاني (بولاق ١٢٨٥) ٤ : ٩٢ .

إننا لا نستطيع أن ننكر أن الأفكار تتوالد أحياناً الأولى من الأخرى بطريق سببي أعني أن فكرةً تسبب فكرة . وفي دراسة مثل هذه الكتب الأدبية القديمة يجب أن ندع جانباً الطريقة الأوربية المعاصرة التي تجعل الموضوع مركزاً تدور حوله الحوادث أو فكرة محدّدة تتركز حولها الأفكار الثانوية الأخرى ، ذلك لأننا هنا أمام تآليف من نوع آخر ، وفي كتاب أدبي مثل كتاب الجليس يستطيع القارئ أن يجد كلّ الأشياء الممكنة مصفوفة بعضها الى جانب بعض لا على طريقة التركيز والترابط الفكري .

ويستحق أن نلاحظ أن الحكايات الصغيرة التي يوردها المعافى في خلال المجلس أو في نهايته تُستخدم لناحيتين : لتطويل بعض المجالس القصيرة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لإنهاء المجلس بأثر نفسيّ طيب بعد المناقشات اللغوية المتعبة ، وبصورة عامة نستطيع ـ بالمقارنة مع كتاب الكامل ـ أن نقول أن كتاب الجليس مرتب باتجاه أكثر قاعدية وقسوة من كتاب الكامل .

ولا يبدو المعافى تابعاً لمدرسة لغوية معينة فهو يتنقل بين مدرسة البصرة وبين مدرسة الكوفة .

وكتاب المعافى نافع في الدراسات التاريخية لأن أكثر القصص والشعر في هذا الكتاب تعود الى العصر الأموي وهو عصر ليس غنياً بالمصادر القديمة ، وفي هذه الناحية التاريخية يظهر الحجاج بن يوسف هو الشخصية التي يهتمّ بها المعافى ، ولكن يجب القول هنا أنه في كتاب الجليس ليست الحوادث التاريخية الواقعية ولا التأريخ الواقعي المحض هو الذي نجده فيه ، وإنما نجد معلومات تاريخية ، والمسألة هي : الى أيّ حدّ نستطيع أن نعتبر هذه المعلومات التاريخية وقائع معينة متطابقة مع الحقيقة ؟ (١) .

(١) انظر H. Ritter في Oriens ٢ : ٢٧٩ و ٢٨٠ و J. Sauvaget . Introduction à l'histoire de l'Orient Musulman ص ٣٩ — ٤٢ .

لقد وصفنا كتاب الجليس في أول المقال بأنه كتاب أدب غني قديم ، وأظن أن هذا التعريف يجعلنا نعتقد بأن هذه الأوصاف ليست مبالغة . والغريب أن كتاب المعافى لا يذكر إلا قليلاً ويحكم النادر في كتب الأدب العربي بينما هو لا يقلّ عن كتاب الكامل للمبرد حجماً وفائدةً وطرافةً ، وأخيراً نجد قصص كتاب المعافى مذكورة غالباً في « مصارع العشاق » للسراج [1] ، ويُذكر المعافى عالماً بالشعر ونحوياً في « تأريخ دمشق » لابن عساكر [2] ، ويجري ذكره في « تأريخ بغداد » للخطيب البغدادي [3] ، وفي كتب التأريخ المؤلفة على أساس السنين وفي كتب التراجم وكتب الأنساب .

والمعافى أحد رجال المذهب الجريري ، وذلك يفسر لنا لِمَ أُهمل ، فكأنه انطفأ مع انطفاء المذهب ، وليس هو وحده الذي أُهمل بل أُهملت معه مؤلفاته الفقهية وبقية كتبه الأدبيــة .

الدكتور ألبرت ديتريش

---

(١) مصارع العشاق للسراج (طبعة استانبول ١٣٠١) ص ٣١٠ و ٣١٤ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٧ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٩ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٩ وغيرها .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٤ : ٢٠ و ٤٤١ و ٥ : ٦٥ و ٢٤١ وغيرها .

(٣) تأريخ بغداد للخطيب ٨ : ٢٤٩ و ١٣ : ٢٣٠ وغيرها .

فهرست مؤلفات

محيي الدين ابن عربي

(٥٦٠ — ٦٣٨ هـ)

بقلم

عُني بتحقيقه

كوركيس عوّاد

— ٥ —

١٣٧ — شجرة الوجود والبحر المورود [١] .

١٣٨ — شجون المشجون وفتون المفتون [٢] .

١٣٩ — شرح تائية ابن الفارض في التصوف [٣] .

١٤٠ — شرح حديث قدسي ومسائل [٤] .

١٤١ — شرح حزب البحر [٥] .

(١) دار الكتب ١ : ٣١٩ ولعله كتاب « شجرة الكون » المطبوع في بولاق سنة ١٢٩٢ هـ في ٢٢ ص . ومنه نسخة خطية في الأزهر ٣ : ٥٨٧ .

(٢) الأوقاف ببغداد ٩٧٤٣ — ٩٧٤٥ دار الكتب ١ : ٣٢٠ (نسختان) الظاهرية (زيات . ص ٦٢) الفهرس التمهيدي ص ١٣٥ عمر الواعظ (فهرس سباط ٦٥٨) برلين ٢٩٣٣ .

(٣) كشف الظنون ٢ : ٨٦ قال : انه قدر خمس كراريس .

(٤) مكتبة المشهد الرضوي ٥ : ١٠٦ الرقم ٥٧٠ .

(٥) عقود الجوهر . ص ٣٤ .

١٤٢ – شرح حكم الولاية [١] .

١٤٣ – شرح خلع النعلين [٢] .

١٤٤ – شرح رسالة الاستخارة [٣] .

١٤٥ – شرح روحية الشيخ علي الكردي [٤] .

١٤٦ – شرح مقامات العارفين في الاخلاص الى درجة مراتب اليقين [٥] .

١٤٧ – شرح منظومة الحروف التي مطلعها : « الحمد للنور المبين الهادي » [٦] .

١٤٨ – شعب الايمان [٧] .

١٤٩ – شفاء الغليل وبرء العليل [٨] . في المواعظ .

١٥٠ – شق الجيب ورفع حجاب الريب في إظهار أسرار الغيب [٩] .

١٥١ – شمائل النبي [١٠] .

١٥٢ – شمس الطريقة في بيان الشريعة والحقيقة [١١] .

١٥٣ – شموس الفكر المنقذة من كلمات الجبر والقدر [١٢] .

---

(١) عقود الجوهر . ص ٣٤ .
(٢) كشف الظنون ٣ : ١٧٢ ؛ ٤ : ٣٧ .
(٣) عقود الجوهر . ص ٣٤ .
(٤) دار الكتب ١ : ٣٢٢ .
(٥) الأوقاف ببغداد ١٠٠٩٢ (١) .
(٦) عقود الجوهر . ص ٣٤ .
(٧) كشف الظنون ٤ : ٤٩ .
(٨) عقود الجوهر . ص ٣٤ .
(٩) دار الكتب ١ : ٣٢٧ (٣ نسخ) . وقد طبع ضمن « مجموعة الرسائل الالهية » لابن عربي (مطبعة السعادة – القاهرة ١٣٢٥ هـ) . وهو خامس ما في المجموعة .
(١٠) عقود الجوهر . ص ٣٤ .
(١١) الأزهر ٣ : ٥٩٨ دار الكتب ١ : ٣٢٧ .
(١٢) كشف الظنون ٤ : ٨٠ .

١٥٤ — الشواهد [١]

١٥٥ — الصحف الناموسية والسجف الناووسية [٢] .

١٥٦ — الصلاة الأكبرية [٣] .

١٥٧ — الصلاة الفيضية [٤] .

١٥٨ — صلوات محي الدين ابن عربي [٥] .

١٥٩ — صيحة البوم بحوادث الروم [٦] .

١٦٠ — صيغة الصلاة [٧] .

١٦١ — الطب الروحاني في العالم الانساني [٨] :

١٦٢ — الطريقة [٩] .

١٦٣ — العبادلة [١٠] .

(١) دار الكتب ١ : ٣٥٤ ولي الدين ١٨٣٢ (٢) فاتح ٥٣٧٦ أسعد ١٣٢٣ برلين ٢٩٣٤ .

(٢) دار الكتب ١ : ٣٢٧ .

(٣) برلين ٣٦٤٤ (٢) . وقد طُبعت في القاهرة سنة ١٣٠٣ و ١٣١٠ هـ . وفي دار الكتب المصرية (١ : ٣٢٣) : « شرح صلاة محي الدين بن عربي لعبد الغني النابلسي (٣ نسخ) ، ولمؤلف مجهول ، ولمحمد بن عمر بن عبد الجليل البغدادي . وفي الظاهرية (حبيب زيات : ص ٦٢) شرح لها للشيخ أبي عصبة .

(٤) قولة ١ : ٢٤٩ .

(٥) دار الكتب ١ : ٣٢٩ (نسختان مختلفتان) .

(٦) برلين ٢٧٤٣ باريس ٢٦٦٩ (١) .

(٧) في دار الكتب (١ : ٣٠٨) : رسالة في شرحها ، لعبد الغني النابلسي .

(٨) برنستن ٩٣٤ .

(٩) Krafft ٤٩٥ .

(١٠) المتحف العراقي ١٩٨٩ (١) (نبذة منه) برلين ٢٩٧٩ ياتنا ٢ : ٤١١ الأزهر ٣ : ٦١٨ دار الكتب ١ : ٣٤٧ . (العبادلة طائفة من الأولياء عدتهم مئة ، تسمّوا بعبد الله) .

١٦٤ – العجالة في التوجّه الأتمّ [١] .

١٦٥ – العروش [٢] .

١٦٦ – عِظة الألباب وذخيرة الاكتساب [٣] .

١٦٧ – عقائد الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي [٤] .

١٦٨ – العقد المنظوم والسرّ المختوم [٥] .

١٦٩ – علوم الحقائق وحكم الدقائق [٦] .

١٧٠ – العلوم من عقائد علماء الرسوم [٧] .

١٧١ – علوم المواهب [٨] .

١٧٢ – عين الأعيان [٩] .

١٧٣ – العين والنظر في خصوصية الخلق والبشر [١٠] .

١٧٤ – عيون المسائل [١١] .

١٧٥ – الغرباء (رسالة) [١٢] .

---

(١) الأزهر ٣ : ٦٠٢ ؛ برلين ٢٩٤٦ .

(٢) عقود الجوهر . ص ٣٥ .

(٣) دار الكتب ١ : ٣٤٥ (نسختان) الفهرس التمهيدي . ص ١٣٩ الظاهرية تصوف : ٣٤٨ المجلس الملي (طهران) ٦٦٣ غوطا ٣ : ١٦ باريس ١٣٤٤ .

(٤) كشف الظنون ٤ : ٢١٥ .

(٥) كشف الظنون ٤ : ٢٣٥ .

(٦) عقود الجوهر . ص ٣٥ .

(٧) اسكوريال ٤١٧ (٢) .

(٨) عمومية ٣٧٥٠ .

(٩) المتحف العراقي ٥٩٧ (١) وهي بخط المؤلف .

(١٠) كشف الظنون ٤ : ٢٨٤ .

(١١) دار الكتب ١ : ٣٣٣ .

(١٢) دار الكتب ١ : ٢٠٣ .

١٧٦ — الغنى في المشاهدات [١] .

١٧٧ — الغوامض والعواصم [٢] .

١٧٨ — الغوثية [٣] .

١٧٩ — فائدة [٤] .

١٨٠ — الفتوحات المدنية [٥] .

١٨١ — الفتوحات المصرية [٦] .

١٨٢ — الفرق الست الباطلة وذكر عددها [٧] .

١٨٣ — فضائل مشيخة عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي [٨] .

١٨٤ — الفناء في المشاهدة [٩] .

١٨٥ — فهرست مؤلفات محيي الدين ابن عربي [١٠] .

١٨٦ — قاعدة في معرفة التوحيد [١١] .

---

(١) ياتنا ٢ : ٣٤٣ .

(٢) كشف الظنون ٥ : ١٢٨ .

(٣) الأزهر ٣ : ٥٧٥ الفهرس التمهيدي . ص ١٣١ الاسكندرية : تصوف ، ص ٣٤ غوطا Pers ٥ (٧) المتحف البريطاني ٧٥٤ (٥) اسكوريال ٢ : ٤١٧ (٢) برمنكهام ٦٧٨ [رسالة الغوث]

(٤) غوطا ١٢٧٨ .

(٥) عقود الجوهر . ص ٣٥ .

(٦) عقود الجوهر . ص ٣٥ .

(٧) المكتب الهندي ٦٥٧ (٥) قال وهي : الرافضة ، الخارجية ، الجبرية ، القدرية ، الجهمية ، المرجئة .

(٨) نفح الطيب ١ : ٤٠٤ .

(٩) طبع ضمن « مجموعة الرسائل » لابن عربي (حيدراباد ١٣٦٣ هـ : ٩ ص) وهو أول ما في المجموعة . ومنه نسخ خطية في : برلين ٢٩٤٥ فينة ١٩١٠ (٧) تذكرة النوادر ٣٦٩ المتحف البريطاني ٨٨٦ (١٧) جون ريلندز ١٠٦ (٩) .

(١٠) وهو هذا الذي ننشره في نسخة من خزائننا .

(١١) دار الكتب ١ : ٣٤٠ .

١٨٧ — قبس الأنوار وبهجة الأسرار (١) .

١٨٨ — القربة وفك الغربة (٢) .

١٨٩ — قصيدة في مناسك الحج (٣) .

١٩٠ — القطب والامامين والمدلجين (٤) .

١٩١ — القطب والنقباء (٥) .

١٩٢ — القول النفيس في تفليس إبليس (٦) .

١٩٣ — كتاب الكتب (٧) .

١٩٤ — كتاب النفس (٨) .

١٩٥ — كتاب المعاريج (٩) .

١٩٦ — كشف الأسرار وهتك الأستار : وهو تفسير القرآن في عشرين مجلداً (١٠) .

(١) ليدن ١٢٢٠ .

(٢) طبع ضمن « مجموع الرسائل الإلهية » لابن عربي (القاهرة ١٣٢٥ هـ) ، كما طبع ضمن « مجموعة الرسائل » لابن عربي (حيدراباد ١٣٦٣ : ٩ ص) وهو سابع مافي المجموعة . ومنه نسخ خطية في : دار الكتب ١ : ٣٤٠ و ٣٦٢ المجلس الملي (طهران) ٥٩٤ (٢) تذكرة النوادر ٣٧٢ برلين ٢٩١٠ المتحف البريطاني ٨٨٦ (١٩) باتنا ٢ : ٣٤٣ جون ريلندز ١٠٦ (٢٧) .

(٣) الجزائر ١٦٢ .

(٤) عقود الجوهر . ص ٣٦ .

(٥) الأزهر ٣ : ٥٦٨ دار الكتب ١ : ٣١١ برلين ٢٩٦٤ فينة ١٩١٠ (٥) .

(٦) طبع في القاهرة سنة ١٢٧٧ هـ في ٢٨ ص .

(٧) تذكرة النوادر ٣٥٧ .

(٨) كشف الظنون ٥ : ١٦٥ ؛

(٩) عقود الجوهر . ص ٣٦ .

(١٠) عقود الجوهر . ص ٣٦ . ولا نعلم ما علاقة هذا التفسير بالتفسير الذي وصفه المؤلف نفسه في الرقم ٦ من فهرسته .

١٩٧ — الكشف الإلهي لقلب ابن عربي [١] .

١٩٨ — كشف الران (منظومة في الزايرجة) [٢] .

١٩٩ — كشف سر الوعد وبيان علامة الوَجْد [٣] .

٢٠٠ — كشف الغطاء لاخوان الصفاء [٤] .

٢٠١ — الكشف الكلي والعلم الاني في علم الحروف [٥] .

٢٠٢ — كشف الكنوز [٦] .

٢٠٣ — الكلام في قوله تعالى : لا تدركه الأبصار [٧] :

٢٠٤ — الكنز المطلسم من السر المعظم [٨] في علم الحروف .

٢٠٥ — كوكب الفجر في شرح حزب البحر [٩] .

٢٠٦ — كون الله سبق قبل أن فتق ورتق [١٠] .

٢٠٧ — كيمياء السعادة لأهل الارادة [١١] .

٢٠٨ — لغة الأرواح [١٢] .

---

(١) عقود الجوهر . ص ٣٥ .

(٢) لها شرح ، لشارح مجهول ، في برنستن ٩٤٩ ؛ وشرح آخر لعلي بن سليمان السالمي المالكي ؟ في الاسكندرية (حروف ١٤) .

(٣) المتحف العراقي ٥٩٧ (١١) وهي بخط المؤلف .

(٤) عقود الجوهر ص ٣٥ .

(٥) كشف الظنون ٥ : ٢١٣ .

(٦) عقود الجوهر . ص ٣٦ .

(٧) تذكرة النوادر ٣٥١ .

(٨) الظاهرية (حبيب زيات . ص ٤٩) .

(٩) برنستن ١٩٤٦ .

(١٠) ولي الدين ١٨٢٠ ليدن ٢٠٣٩ بدليان (اكسفرد) ١ : ١٥٨ .

(١١) برلين ٢٩٣٦ باريس ١٣٤٣ (١) برمنكهام ٦٧٣ دار الكتب ١ : ٣٥٠ (نسختان) وعنوانه فيها « كيمياء السعادة وبلوغ الارادة في كلمتي الشهادة »

(١٢) المتحف البريطاني ٢٣ .

٢٠٩ — اللُّمَع الأُفقية (١) .

٢١٠ — اللمعة النورانية (٢) .

٢١١ — لواعج الأسرار ولوائح الأنوار (٣) .

٢١٢ - ما أتى به الوراد (٤) .

٢١٣ — ما لا يُعوَّل عليه من أحوال الفقراء والمتصوفين (٥) .

٢١٤ — ماهية القلب (٦) .

٢١٥ — مائة حديث وحديث قدسية (٧) .

٢١٦ — المباحث الحلبية (٨) .

٢١٧ — متابعة القلب في حضرة القرب (٩) .

٢١٨ — المدخل الى علم الحروف (١٠) .

٢١٩ — المدخل الى معرفة مأخذ النظر في الأسماء والكنايات الإلهية الواقعة في الكتاب العزيز والسنّة (١١) .

٢٢٠ — المدخل الى المقصد (١٢) .

---

(١) غوطا ٩١٤ (٢) .
(٢) عقود الجوهر . ص ٣٦ .
(٣) كشف الظنون ٥ : ٣٣٩ .
(٤) آصفية : تصوف ٥١ .
(٥) دار الكتب ١ : ٣٠٩ .
(٦) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٤) .
(٧) دار الكتب ١ : ١٤٢ .
(٨) دار الكتب ١ : ٣٠٩ .
(٩) عقود الجوهر . ص ٣٧ .
(١٠) كشف الظنون ٥ : ٤٧٢ .
(١١) برلين ٢٩٦٣ المتحف البريطاني ٦٢٧ (١٨) المكتب الهندي ٦٥٨ أيسالة ٣٩٣ (٣) .
(١٢) كشف الظنون ٥ : ٤٧٣ .

٢٢١ — مرآة العارفين فيما يتميز بين العابدين (١) .

٢٢٢ — مرآة العاشقين ومشكاة الصادقين (٢) .

٢٢٣ — مرآة المعاني لإدراك العالم الإنساني (٣) .

٢٢٤ — مراتب التقوى (٤) .

٢٢٥ — مراتب علوم الوهب (٥) .

٢٢٦ — المسائل (٦) .

٢٢٧ — المشارع (٧) .

٢٢٨ — المشرقات المدنية في الفتوحات الإلهية (٨) .

٢٢٩ — مشكاة المعقول المقتبسة من نور المنقول (٩) .

٢٣٠ — المضاددة في علم الظاهر والباطن (١٠) .

٢٣١ — مظهرة عرائس المخبآت باللسان العربي (١١) .

٢٣٢ — معارج الألباب في كشف الأوتاد والأقطاب (١٢) .

٢٣٣ — المعارج القدسية (١٣) .

(١) باتنا ٢ : ٤١٠ .
(٢) عقود الجوهر . ص ٣٧ .
(٣) غوطا ١٢٦٥ : — ١٢٦٦ ليدن ١٢٠٥ باريس ١٦٩٩ (٣) اسكوريال ٢ : ٧٠٧ (٢) .
(٤) كشف الظنون ٥ : ٤٨٦ .
(٥) باتنا ١ : ١٣٤٣ برلين ٢٩٤٦ المتحف البريطاني ٨٨٦ (١٨) جون ريلندز ١٠٦ (١٥) .
(٦) تذكرة النوادر ٣٥٨ .
(٧) كشف الظنون ٥ : ٥٤٥ .
(٨) عقود الجوهر ٣٧ .
(٩) جون ريلندز ١٠٦ (١٧) وفي كشف الظنون (٥ : ٥٦٠) : مشكاة العقول .
(١٠) برلين ٢٩٥٥ .
(١١) في برنستن (الرقم ١٩٤٧) شرح لها : لأحمد الجوهري الخالدي (١١٣٢ — ١١٨٧ هـ) .
(١٢) عقود الجوهر . ص ٣٧ .
(١٣) عقود الجوهر . ص ٣٧ .

٢٣٤ — معرفة أسرار تكبيرات الصلاة [١] .

٢٣٥ — معرفة رجال الغيب [٢] .

٢٣٦ — المعرفة في المسائل الاعتقادية [٣] ، وهي مسائل كلامية .

٢٣٧ — المبشرات [٤] ، وهي قصيدة في بيان أحوال العباد .

٢٣٨ — المعوّل على المؤوّل عليه [٥] .

٢٣٩ — مغناطيس القلوب ومفتاح الغيوب [٦] :

٢٤٠ — مفاتيح مغاليق العلوم في السرّ المكتوم [٧] .

٢٤١ — المفادات التفسيرية القطبية [٨] .

٢٤٢ — مفتاح الباب المقفل لفهم الكتاب المنزل [٩] .

٢٤٣ — مفتاح الجفر الجامع [١٠] .

٢٤٤ — مفتاح الحجة وايضاح المحجة [١١] .

٢٤٥ — مفتاح دار الحقيقة (الباء) [١٢] .

---

(١) تذكرة النوادر ٣٦٨ .

(٢) جون ريلندز ٣٦٩ (٤) .

(٣) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٢٠) .

(٤) دار الكتب ١ : ٣٦٠ برلين ٢٩٨٦ باريس ٣١٧١ (٣) المتحف البريطاني ١٥٢٧ (٢) اسكوريال ٢ : ٤١٧ (١) . وقد شرحها الشيخ عثمان عبد المنان ، وطبع الشرح في الآستانة سنة ١٣٠٦ هـ بعنوان « مأوى الرغائب في مجد النصائح » .

(٥) عمومية ٣٧٥٠ .

(٦) دار الكتب ١ : ٣٦١ .

(٧) عقود الجوهر . ص ٣٦ .

(٨) عقود الجوهر . ص ٣٦ .

(٩) الاسكندرية ٢١١٨ د الفهرس التمهيدي ٥ : ١ .

(١٠) برلين ٤٢١٣ باريس ٢٦٦٩ (١٤) (?) المتحف البريطاني Or. ١٠٨٨٧ [= الجفر الجامع] .

(١١) عقود الجوهر . ص ٣٧ .

(١٢) برلين ٢٩٧٢ باريس ١٣٣٩ .

٢٤٦ — مفتاح المقاصد ومصباح المراصد [١] .

٢٤٧ — المقامات السنية المخصوصة بالسادة الصوفية [٢] .

٢٤٨ — المقدار في نزول الجبار [٣] .

٢٤٩ — المقصد الأسمى في اشارات ما وقع في القرآن بلسان الشريعة والحقيقة من الكنايات والأسماء [٤] .

٢٥٠ — المقنع في الكيمياء [٥] .

٢٥١ — المكاتبات [٦] .

٢٥٢ — منتخب من أسرار الفتوحات المكية [٧] .

٢٥٣ — منزل القطب ومقامه وحاله [٨] .

٢٥٤ — منزل المنازل [٩] .

٢٥٥ — منشأ الخليقة [١٠] .

٢٥٦ — منهاج التراجم [١١] .

٢٥٧ — منهاج العارف والمتقي ومعراج السالك والمرتقي [١٢] .

---

(١) جامع الباشا بالموصل (مخطوطات الموصل . ص ٧٠ الرقم ١ ٣) .
(٢) عقود الجوهر . ص ٣٧ .
(٣) المتحف العراقي ٥٩٧ (٦) وهي بخط المؤلف
(٤) جون ريلندز ١٠٦ (٢٢) .
(٥) عقود الجوهر . ص ٣٧ .
(٦) عقود الجوهر . ص ٣٧ .
(٧) دار الكتب ١ : ٣٦٤ .
(٨) تذكرة النوادر ٣٥٤ .
(٩) عقود الجوهر . ص ٣٧ .
(١٠) خزانة الامام الأعظم ببغداد .
(١١) دار الكتب ١ : ٣٦٥ (نسختان) .
(١٢) برلين ٢٩٨٤ — ٢٩٨٥ .

٢٥٨ — الموازنة (١) .

٢٥٩ — منافع الأسماء الحسنى (٢) .

٢٦٠ — مولد الجسماني والروحاني (٣) .

٢٦١ — مولد النبي (٤) .

٢٦٢ — نتيجة الحق (٥) .

٢٦٣ — نثير البياض في روضة الرياض (٦) .

٢٦٤ — النجاة من أسرار الصفات (٧) .

٢٦٥ — نزهة الأرواح (٨) .

٢٦٦ — نزهة الحق (٩) .

٢٦٧ — نزهة الأكوان في معرفة الانسان (١٠) .

٢٦٨ — نسبة الخرقة (١١) .

٢٦٩ — نسبة الحق (١٢) .

---

(١) برلين ٢٩٣٩ .

(٢) عقود الجوهر ص ٣٧ .

(٣) كشف الظنون ٦ : ٢٧٠ .

(٤) ماتنا ٢ : ٤٠٧ .

(٥) دار الكتب ١ : ٣٦٨ (٥ نسخ) . ولعل هذا الكتاب هو الذي سيجيء ذكره في الرقم ٢٦٩ .

(٦) المتحف العراقي ٥٩٧ (٧) وهي بخط المؤلف .

(٧) عقود الجوهر . ص ٣٨ .

(٨) عقود الجوهر . ص ٣٨ .

(٩) عقود الجوهر . ص ٣٨ .

(١٠) عقود الجوهر . ص ٣٨ .

(١١) برلين ٢٩٨١ - ٢٩٨٢ المكتب الهندي ٦٥٧ (٣) بروسه (Haraccizade) تصوف ٥٣ (٢) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٣٦) [وسالة في سلسلة نسب الخرقة الصوفية] .

(١٢) دار الكتب ١ : ٣٧٠ المتحف البريطاني ٨٨٦ (١٥) ماتنا ٢ : ٣٤٣ جون ريلندز ١٠٦ (٨) .

٢٧٠ — النصائح القدسية[1] .

٢٧١ — نغمات الأفلاك [أو السر المكتوم][2] .

٢٧٢ — نفث الأوان من روح الأكوان[3] .

٢٧٣ — نفح الروح (رسالة)[4] .

٢٧٤ — النقباء[5] .

٢٧٥ — نقش فصوص الحكم[6]: اختصره مؤلفه من كتاب «فصوص الحكم» .

٢٧٦ — وصف تجلّي الذات[7] .

٢٧٧ — وصية حكمية[8] .

٢٧٨ — الوعاء المختوم على السرّ المكتوم[9] .

٢٧٩ — اليقين (رسالة)[10] .

— انتهى —

(١) عقود الجوهر . ص ٣٨ . ولعله « الوصايا القدسية » المذكور أيضاً في عقود الجوهر . ص ٣٨ .

(٢) الاسكندرية : حروف ١٩ .

(٣) الاسكندرية : تصوف ٥٠ .

(٤) الأوقاف ببغداد ٩٧٢٤ (١) خزانة الإمام الأعظم ببغداد .

(٥) آصفية : تصوف ٥٠ .

(٦) تذكرة النوادر ٣٦٣ .

(٧) برلين ٢٩٢٩ — ٢٩٣٠ .

(٨) الأزهر ٣ : ٦٥١ (نسختان) كامل النزي (فهرس سباط ٦٥٧) مصطفى طلس (فهرس سباط ٦٥٧) تذكرة النوادر ٣٦٢ برلين ٣٩٩٥ برمنكهام ٦٨١ . وقد طبعت في المطبعة الميرية بمكة .

(٩) المتحف العراقي ١٧٨٥ الخزانة القادرية ببغداد دار الكتب ١ : ٣٧٦ (٣ نسخ) الاسكندرية : تصوف ٥١ .

(١٠) الأزهر ٣ : ٦٥٢ جون ريلندز ١٠٦ (٢٩) .

تعقيب

بعد أن فرغنا من تحقيق هذه الرسالة ونُشر قسمها الأول في هـذه المجلة (٢٩ [١٩٥٤] ص ٣٤٥ وما بعدها) ، كتب الينا صديقنا الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد ، أنّ المستشرق الاسباني اسين بلاثيوس (Asin Plalacios) ، عُني بابن عربي عنايةً كبرى ، فنشر دراساتٍ مختلفةً ، ذكرنا إحداها وفاتنا التنويه بسائرها . وهذا ما بعث به الينا من عناوينَ تلك الدراسات :

١ – La Psicologia del extasis en dos grandes misticos musulmanes (Algazel y Mohidin Abenarabi) en « Cultura Espanõla » pp. 209 — 235 ; Madrid 1906.

٢ – El mistico murciano Abenarabi.

نُشر في أربعة أقسام ، في مجلة مجمع مدريد . Boletin de la Real Academia de la Historia ، يُرمز الى هذه المجلة بالأحرف (B R A H) .

وهذه الأقسام الأربعة هي :

I. Autobiografia cronologica (BRAH , Vol. L XXXVII ; Madrid 1925 ; pp. 96 — 173).

II. Noticias Autobiograficas de su « Risalat al - Cods » (Vol. L XXXVII ; pp. 512 — 611).

III. Caracteres generales de su sistema. (Vol. LXXXVIII ; 1926, pp. 582 – 537).

IV. Su teologia y sistema del cosmos. (Vol. XCII ; 1928, pp. 654 - 751).

٣ – El Islam cristianizado. Estudio del « Sufismo » a traves de las obras de Abenarabi de Murcia. (Madrid, 1931).

وقد نُقل هذا الكتاب الى الفرنسية فيما بعد بعنوان :

L'Islam Christianisé ; caractères de la spiritualité d'Ibn Arabi. (Traduction del Padre Barea).

٤ – De la Mystique d'Abenarabi. Les états, les demeures et lès charismes. (Toulouse, 1931).

★ ★ ★

وذكر لنا صديقنا الأستاذ الدكتور مصطفى جواد ، أنّ ترجمةً قصيرة لابن عربي ، وردت في « المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد » لابن الدبيثي ، انتقاه الذهبي (الجزء الأول . بغداد ١٩٥١ ؛ ص ١٠٢ الرقم ١٩٨) .

★ ★ ★

كما أننا عثرنا أيضاً على ترجمة ابن عربي ، في مصادر أخرى مختلفة ، نذكرها فيما يأتي إتماماً للبحث :

١ — أرسلان (الأمير شكيب) : الحُلَل السُّندسية في الأخبار والآثار الأندلسية (٣ [القاهرة ١٩٣٩] ص ٥١٤ — ٥٢٨) .

٢ — براون : تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي الى السعدي (نقله الى العربية الدكتور ابراهيم امين الشواربي ، القاهرة ١٩٥٤ ؛ ص ٦٣٣ — ٦٣٧) . وهذا البحث يُرى في أصل الكتاب بالانكليزية :

Browne (E. G.). Literary History of Persia. (Vol.2, Cambridge 1928 ; P. 497 - 501).

٣ — مبارك (الدكتور زكي) : مكانة ابن عربي في الأدب والتصوف (التصوف الاسلامي ١ [القاهرة ١٩٣٨] ص ١٦٠ — ٢١٠ ، ٢٣٢ — ٢٣٤) .

٤ — Asin Palacios: Mohidin, in « Homenaje a Menéndez y Pelayo » (Madrid, 1899 ; II, 217 - 256).

٥ — Hartmann (R.), Kleinere Schriften des Ibn al-Arabi, ed. H. S. Nyberg. (Der Islam. XIII, 1932 ; p. 132 - 134).

٦ — Huart (Cl.), A History of Arabic Literature. (London, 1903 ; p. 277 -278).

٧ — Nicholson (Reynold A.), A Literary History of the Arabs. (London, 1923 ;p. 399 - 404).

٨ — — Muhyi al-Din ibn al-Arabi, (Encyclopaedia of Religion and Ethics. Vol. VIII, p. 907 - 909).

٩ — Ibn Arabi. (Encyclopadia Britannica. 14 th ed., Vol. 12 ; p. 32).

★ ★ ★

ولسنا ندّعي فيما ذكرنا في صدر «المقال»، ثم في هذا «التعقيب» من دراسات عن ابن عربي، أننا أحطنا بذكر كلّ ما ظهر منها. فلعله يقوم غداً مَن يستدرك على ذلك. وما لا بدّ من الإشارة اليه، أن هذا الرجل قد اهتمّ بكتبه وآرائه جمهرةٌ كبيرة من الباحثين فأشبعوها درساً ونقداً وتمحيصاً. وما نشروه من ذلك لمشتّت في غير لغةٍ، ولا سيما في العربية والاسبانية والانكليزية والألمانية والفرنسية.

(بغداد) كوركيس عواد



مقدمة المرزوقي

لشرحه لحماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

— ٥ —

قال (وجزالة اللفظ واستقامته) .

كثر في كلام أئمة النقد وصناعة الانشاء والشعر ذكر وصف الجزالة في محاسن الألفاظ وقد عدّها المؤلف في محاسن المعاني أيضاً إذ قال [1] « فطلبوا المعاني المعجبة من خواص أماكنها وانتزعوها جزلةً عذبة » .

ولم أرَ منهم من أفصح عن مقومات هذا الوصف وشرائط حصولها وأنا أبذل مبلغ جهد الفكر في الكشف عن مفاد هذا الوصف وأقدم ما هو منه وصف للفظ ثم أتبعه بما هو منه وصف للمعنى على سبيل الاستطراد وإكمالاً للفائدة .

فأما الجزالة فهي وصف للفظ مأخوذ من صفات الناس إذ الجزالة في الإنسان هي جودة رأيه وكمال عقله ، فبها يكون كامل الانسانية ـ وهي في اللفظ عرّفها ابن مكرم في لسان العرب فقال : « الكلام الجزل : القويُّ الشديد ، واللفظ الجزل خلاف الركيك » .

وظاهر أن مرجع هذا الى معنى اللفظ المركب أو المفرد لا الى مبناه وصورته فليست الجزالة تنافر الحروف ولا تنافر الكلمات ولا غرابة الكلمة .

(١) صفحة ٨٦ من النشرة .

فلنتطلب حقيقة الجزالة عند أيمة النقد ونتقصها من آثار كلامهم ونتعرفها من تعرف ضدها الذي يقابلونها به فابن رشيق في العمدة ذكر الجزالة وعطفها على الفخامة عطفاً يظهر منه أنه أراد به التفسير قال[١] «منهم قوم يذهبون الى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار:

إذا ما غضبنا غضبةً مُضريّةً هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

وقال[٢]: «وشبّه قومٌ أبا نواس بالنابغة لما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة» ووصف عبد القاهر الجزالة فقال[٣]: «من البراعة والجزالة وشبههما مما ينبئ عن شرف النظم».

وقال[٤] عند ذكر النظم «أن تقتفي في نظم الكلم آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس». وذكر ابن شرف القيرواني في رسالة الانتقاد[٥] «الجزالة فقال عند ذكر لبيد «شعره ينطق بلسان الجزالة عن جنان الاصالة، فلا تسمع إلا كلاماً فصيحاً، ومعنى مبيناً صريحاً» [٦].

وقال في ابن هاني الأندلسي: «إلا أنه اذا ظهرت معانيه في جزالة مبانيه رمى عن منجنيق، يؤثّر في النيق» [٧] فجعل الجزالة وصفاً للمباني أي الألفاظ. وقال ابن الأثير في المثل السائر في المقالة الأولى في الصناعة اللفظية [٨]: «قد جاءت لفظة واحدة في آية وفي بيت فجاءت في القرآن جزلةً متينة وفي

(١) صفحة ٨٠ من طبعة أمين هندية بمصر.
(٢) صفحة ٨٥ من تلك الطبعة.
(٣) صفحة ٤٦ من كتاب دلائل الإعجاز طبع مطبعة المنار.
(٤) صفحة ٣٩ من الكتاب المذكور.
(٥) طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٣١ في مجموعة رسائل البلغاء.
(٦) صفحة ٢٤٤ من مجموعة رسائل البلغاء نشر الأستاذ محمد كرد علي طبع البابي بمصر سنة ١٣٣١.
(٧) صفحة ٢٥١ من مجموعة الرسائل المذكورة.
(٨) صفحة ٨٨ طبع بولاق سنة ١٢٨٢.

الشعر ركيكة ضعيفة فأثر التركيب في هذين الوصفين الضدين أما الآية فقوله تعالى : «ان ذالكم كان يؤذي النبي» وأما البيت فقول أبي الطيب :

تلذُّ له المروءةُ وهي تؤذي ... ومن يعشقْ يلذّ له الغرامُ

وقال أبو البقاء العكبري في كلياته «الجزالة إذا أطلقت على اللفظ يراد بها نقيض الرقة» اﻫ . وقلتُ قد رأيتهم يقابلون الجزالة مرةً بالرقة ومرةً بالركاكة ومرةً بالضعف ومرةً بالكراهة فتحصل لنا من معنى الجزالة أنها كون الألفاظ التي يأتي بها البليغ الكاتب أو الشاعر ألفاظاً متعارفة في استعمال الأدباء والبلغاء سالمةً من ركاكة المعنى ومن أثر ضعف التفكير ومن التكلف ومما هو مستكره في السمع عند النطق بالكلمة أو بالكلام فهذه الجزالة صفة مدح وقد مثلوا للركاكة بقول بعضهم :

يا عتْبَ سيدتي أما لكِ دينُ ... حتى متى قلبي لديكِ رهينُ

فأنا الصبورُ لكل ما حملتني ... وأنا الشقي البائسُ المسكينُ

وفيه ركاكة من جهات منها كون المعنى أجوف دائراً بين جميع العامة وكون جل الألفاظ مرذولاً وذكر البائس والمسكين بعد الشقي وفي الشقي ما يغني عنها . ومن الركاكة قول الخوارزمي يخاطب بديع الزمان الهمذاني :

وإذا فرضتُ الشعر في ميدانه ... لا شك أنك يا أخي تنشقُ(١)

فقوله في ميدانه لا موقع له وقوله يا أخي لا مقام له لأن الكلام في مقام مناظرة ومشادة .

وإذا قابلوا الجزالة بالرقة فإنما يريدون بها نسج الكلام على منوال القدماء في الشدة والقوة كقول أشجع :

وعلى عدوّك يا ابنَ عم محمدٍ ... رَصَدان ضوءُ الشمس والإظلامُ

فاذا تنبه رُعتَه وإذا غفا ... سلّتْ عليه سيوفَك الاحلامُ

(١) مناظرته مع بديع الزمان المثبتة في رسائل البديع طبع الجوايب بالاستانه .

ويريدون بالرقة نسجه على منوال المحدثين في اللين والظرف وأظهر مثال جمع هذين الوصفين قول جميل :

ألا أيها النُّوَّام ويحكم هبوا   أسائلكم هل يقتل الرجلَ الحُبُّ

قال بعض أئمة الأدب «هذا البيت أوله اعرابي في شملته وآخره مخنث من مخنثي العقيق يتفكك» .

ألا ترى ان قوله ويحكم من كلمات التعجب وهي جزلة فلو قال أفديكم لاعتاض عن الجزالة بالرقة . وقد تقال الجزالة في هذا الإطلاق على الكلام الذي يصدر في أغراض تناسبها الشدة كالرثاء والحماسة وتقال الرقة على كلام في أغراض يناسبها اللين واللطافة كالنسيب والزهريات والملح . والجزالة في هذا كله من صفات الألفاظ باعتبار المعاني ويظهر تصرف البليغ في صناعتها بالخصوص في صوغه المعاني التي يصوغها في نفسه من مجاز واستعارة وتمثيل وتشبيه وكناية وأنواع البديع . وأما المعاني الوضعية فتأتي بطبع سياق الكلام وتأتي الألفاظ تبعاً للمعاني .

وأما استقامة اللفظ فهي وصف نسبي يعرض للفظ في حين انتظامه في الكلام فان للألفاظ معاني موضوعة لها ولها معان كثر استعمالها فيها ولها معان يستعملها المتكلم فيها على وجه المجاز أو الاستعارة أو الكناية أو نحو ذلك فاستقامة اللفظ هي وفاؤه بالمراد الذي استعمله فيه البليغ دون خطأ ولا تقصير ولا غموض . فمن الاستقامة السلامة من التعقيد المعنوي أو السلامة من الخطأ في استعمال اللفظ إما لقصور في معرفة اللغة وإما لغفلة كاستعمال اللفظ الدال على الأعم في حين إرادة الأخص . وفي بعض هذا المقصد ألفت الكتب المنبهة على أخطاء الخاصة مثل درة الغواص للحريري وقد أشار المؤلف الى هذا بقوله الآتي «وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال . وقوله : وهذا في مفرداته وجملته مراعى» .

(والإصابة في الوصف) المراد بالوصف معناه المصدري وهو التصوير والايضاح قال تعالى « وتصف ألسنتهم الكذب » وليس المراد ما يرادف الصفة من نحو النعت والحال لأن ذلك أخص من المقصود هنا . فإصابة الوصف هي أن يصور المتكلم ما أراد التعبير عنه من المعنى تصويراً مطابقاً لما عليه الشيء الموصوف في الخارج والواقع من غير انعكاس ولا انتقاض ، وضد إصابة الوصف الخطأ فيه كلاً وهو الغلط أو بعضاً وهو العيب أي عيب النقص في التوصيف . والشاعر أكثر تعرضاً لهذا من الكاتب لأن الشاعر يكثر منه تخيل المعاني عن غير مشاهدة فربما أخطأ في تخيله أشياء لم يعتد الإحاطة بصفاتها أو خفي عنه بعض ما يدق من مشاهدته إياها . وقد عُدَّ بشار بن برد من أعجوبات الشعراء إذ كان مع عماه لا يكاد يخطئ في الأوصاف الدقيقة وحسبك بيته المشهور :

كأنَّ مُثارَ النقعِ فوقَ رؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكبه

(ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال وشوارد الأبيات) أي ان ما استوفى من النثر والشعر هذه الأسباب الثلاثة فيه توجد الأمثال السائرة والأبيات الشاردة فكثرت في المآثر الأدبية في الجاهليين والمولدين فالأمثال موجودة في الشعر بأن يكون المصراع أو جزء منه سار مثلاً كقول أبي أخزم الطائي « شنشنة أعرفها من أخزم » وقبله :

إنَّ بَنِيَّ رَمَّلُوني بالدَّمِ من يلقَ أبطالَ الرجالِ يُكلَم

وقول بشر بن أبي حازم « أحقُّ الخيل بالركض المعارُ » من أبيات انظرها في مجمع الأمثال في باب الحاء . وأما ما كان بيتاً كاملاً يتمثل به الأدباء فذلك لا يسمى مثلاً وإنما يسمى تمثلاً . ومعنى السائرة الفاشية بين أهل اللسان تشبيه الفشو بالتنقل في أمكنة كثيرة بجامع تكرر عروضه للحواس وهو السير وفي الكشاف : « ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلاً للتسيير ولا جديراً بالتداول

والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير» . وأراد بالغرابة أنه قول زائد على المعتاد لخصائص فيه دقيق المعاني وخفة اللفظ مع وفرة المعنى .

وأما شوارد الأبيات فهي الأبيات البالغة مبلغاً من صحة المعنى وجزالة اللفظ وإصابة المعنى المفاد منها وأطلق المؤلف عليها وصف الشوارد لعزة هذا النوع فشبهه بالوحش الشارد في حال كونه مطلوباً مرغوباً فيه لقانصه فتلك الرغبة هي المقصود للمؤلف فاستعار لها الشوارد لهذه المناسبة تمثيلاً للحالة . وإنما جعل المؤلف قوام سوائر الأمثال وشوارد الأبيات هو اجتماع هذه الأسباب الثلاثة دون سبب مقاربة التشبيه ومناسبة الاستعارة لأن كثيراً من الأمثال والأبيات خلو من التشبيه والاستعارة كمثل «لأمرما جدع قصير أنفه» وبيت امرئ القيس

« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » البيت .

وقوله سوائر وشوارد جمع سائر وشارد لأن المثل والبيت مذكران فجمعه على وزن فواعل إما على تأويل المثل والبيت بمعنى الكلمة وإما على وجه الشذوذ كما قالوا فوارس وعواذل .

(والمقاربة في التشبيه) عطف على قوله والإصابة في الوصف . المقاربة القرب الشديد لأن صيغة المفاعلة فيه للمبالغة إذ ليس المراد قرب كل من طرفي التشبيه من الآخر في الوصف فان التشبيه إلحاق ناقص بكامل في وصف ، وأما مايسمى بالتشابه كالذي في قول الصابي :

تشابهَ دمعي إذ جرى ومدامتي فمن مثل ما في الكاس عيني تسكبُ

فذلك غلو في التشبيه يقرب من التشبيه المقلوب كما في قول محمد بن وهيب :

وبدا الصباح كأنّ غرته وجهُ الخليفة حين يمتدحُ

قال قدامة في نقد الشعر «فأحسن التشبيه ما أوقع بين شيئين حتى يدنى بها الى حال الاتحاد اهـ» . وشدة القرب هي قوة وجه الشبه في المشبه بحيث يستغني

المشبه عن ذكر وجه الشبه - وليس المراد بالمقاربة تمام المماثلة بين المشبه والمشبه به في جميع الصفات بل قوة المشابهة في وجه الشبه ولذلك كان من محاسن التشبيه الاستدراك فيه باستثناء ما لا مشابهة فيه من صفات المشبه به لكون المشبه أعلى من ذلك كما قال المعري :

تنازع فيك الشبه بحر وديمة   ولستُ الى ما يزعمون بمائلِ
إذا قيل بحرٌ فهو ملحٌ مكدرٌ   وأنت غير الجودِ حلوُ الشمائل
ولستَ بغيث فوك للدرّ معدن   ولم يلف درٌّ في العيون الهواطل

والمراد بالتشبيه في كلام المؤلف ما كان بأداة شبه أو كان تشبيها بليغا لأنه عند المحققين من نوع التشبيه لا من الاستعارة . وأما الاستعارة فسيخصها بالذكر .

(والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن) قال الجاحظ [1] : « أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحداً . ا ه » .

والالتحام مطاوع لَحَم الثوب يلحمه اذا نسج لحمته بضم اللام وبفتحه وهي ما يثني به الحائك نسج الثوب فيجعله أعلى فوق السَّدَى الذي هو أسفل النسج وفي الحديث الولاء لُحمة كلُحمة الثوب كذا في رواية فالالتحام أن تكون الكلمات بعد نظمها كالشيء الواحد وأجزاء النظم كلماته .

والالتئام مطاوع لأمه اذا جعله متلائم الأجزاء أي متناسبا موافقا بأن تكون كلمات النظم متناسبة بحيث لا يكون في النطق بها بعد اجتماعها ما يثقل على اللسان فان الكلمة قد تكون في ذاتها غير ثقيلة فاذا ضمت الى غيرها لم تتلاءما وثقلتا على اللسان فلا يستطيع تخفيفه ومثاله المشهور في بحث الفصاحة قولُ مَن لا يُعرف « وليس قربَ قبرِ حربٍ قبرُ . » وقول أبي تمام :

(١) انظر المقدمة ص ١٧١ جزء أول .

« كريمٌ متى أمدحه أمدحه والورى معي » البيت . وانما قلت فلا يستطيع تخفيفه احترازاً من نحو قول البحتري : « أأفاق صبٌّ من هوًى فأفيقا » . فان اجتماع الهمزتين ثقيل يمكن التخلص من ثقله بتسهيل احدى الهمزتين .

وقوله « على تخير من لذيذ الوزن » على فيه بمعنى مع وأراد بالوزن وزن الشعر وهو ما يسمى بالبحر في اصطلاح العروضيين وما فيه من أعاريض وضروب . وقد بين المؤلف فيما يأتي من كلامه هذا القيد بقوله « وإنما قلنا على تخير من لذيذ الوزن لأن لذيذه يطرّب الطبعُ لايقاعه ويمازجه بصفائه كما يطرّب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه » . وكأنَّ المؤلف يشير الى أمرين : أحدهما مزية الشعر العربي باشتراط العرب الوزن فيه بحيث لا يكون الكلام شعراً ما لم يكن له وزن خاص . وثانيهما الإشارة الى تجنب الأعاريض والضروب الثقيلة والزحاف والعلة الجائزين المؤثرين ثقلاً في انتساب الحركات والسواكن من الميزان فيصير كالعثار في السير وقد يحصل من تجمع الكثير من ذلك ما يوشك أن يخرج الشعر من كونه شعراً الى كونه نثراً كما في أبيات من مجمهرة عبيد بن الأبرص التي أولها :

عيناك دمعها سروب كأنَّ شأنيها شعيب

وقد قرن المؤلف تخير لذيذ الوزن بالتحام الأجزاء والتئامها لأنهما من وادٍ واحد على أن بعض العروض في بعض الموازين لا يخلو من ثقل مثل الضرب الثاني المقطوع من بحر المنسرح [1] ، وبعضها من بعض العروض يكون أشبه بالسجع منه بالشعر مثل عروض المجتث المكفوف [2] وأمثلة من استوفى هذا الشرط الذي ذكره المؤلف من الشعر كثيرة وإن شئت فانظر شعر عمر بن أبي ربيعة كقوله :

(١) هو مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مفعولن

(٢) كقوله : ما كان عطاؤهن أعـدة ضمـارا

أمن آل نُعم أنت غادٍ فمبكر غداة غدٍ أم رائح فمهجّر

(ومناسبة المستعار منه للمستعار له) .

المناسبة شدة الانتساب وأراد بها قوة المشابهة وقد خص المؤلف الاستعارة بهذا الشرط ولم يدمجها في شرط مقاربة التشبيه مع أن الاستعارة من قبيل التشبيه ، لأن الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه وعلى ادعاء أن المستعار له من جنس المستعار منه فكانت لذلك جديرة بتمام المشابهة بين المستعار له والمستعار منه ولما كانت الاستعارة تتفرع الى مصرحة ومكنية وتخييلية وتمثيلية وكان منها أصلية وتبعية ومنها مرشحة ومجردة ومطلقة ، كانت دقة التشبيه فيها أحق وأولى من مطلق التشبيه ليحسن وقع كل قسم من هؤلاء في موقعه .

قال في دلائل الاعجاز [1] : « وأما الاستعارة فسبب ما ترى لها من المزية انك اذا قلت رأيت أسداً كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة وذلك انه اذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة وإذا صرحت بالتشبيه فقلت رأيت رجلاً كالأسد كنت قد أثبتها إثبات الشيء يترجح بين أن يكون وبين أن لا يكون اه . » ويجب أن لا يغفل الشاعر عن استعارته فينقضها كقول أبي تمام :

تحملتُ مالو حمل الدهرُ شطرَه لفكّر دهراً أي عبئيه أثقلُ

فانه لما جعل الدهر بمنزلة الانسان المفكر كان عليه أن لا ينقض ذلك بأن يجعل لتفكيره مدة يسميها دهراً فتصير مدته في عينه .

(ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما)

المشاكلة المماثلة إذ الشكل الشبه والمثل . وأراد بالمعنى هذا الغرض المفاد بألفاظ التركيب لا المعنى الموضوع له اللفظ لأن المعنى الموضوع له لا يتصور فيه اشتراط مشاكلة بينه وبين اللفظ الدال عليه . فالمراد أن الغرض الشريف تناسبه الألفاظ

(١) صفحة ٥٦٦ .

الموضوعة لمعان حميدة وأن الغرض الخسيس تناسبه الألفاظ الموضوعة للمعاني الخسيسة سواء كانت المعاني حقيقية ام كانت مجازية ومستعارة : فمقام المديح والرثاء مثلاً يناسبه المعاني الحميدة ومقام الهجاء يناسبه المعاني الذميمة كما في مقذعات شعر بشار بحيث لا يحسن أن يستعمل اللفظ الذي يفيد معنى حميداً في غرض خسيس وهذا ما اقتضاه قول المؤلف فيما يأتي في عبارة مشاكلة اللفظ للمعنى « وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جعل الأخص للأخص والأخس للأخس فهو البريء من العيب » . وقال الجاحظ في البيان جاء رجل الى محمد ابن حرب الهلالي بقوم فقال « إن هؤلاء الفساق ما زالوا في مسيس هذه الفاجرة » فقال محمد بن حرب « ما ظننت أنه بلغ من حرمة الفواجر ما ينبغي أن يكنى عن الفجور بهنّ » يعني حيث كني بلفظ المسيس . وقال ابن زيدون في رسالته الى الوزير أبي عامر ابن عبدوس الطامع في صحبة ولأدة خليلة ابن زيدون « الساقطُ سقوطَ الذباب على الشراب » . وفي ذلك قول المتوكل عُمر بن الأفطس صاحب بَطَلْيُوس يستدعي الوزير أبا طالب بن غانم أحد ندمائه ليحضر الى الأنس في روض :

أَقبِلْ أبا طالبٍ الينـا وَقَعْ وقوعَ النَّدى علينا[1]

ومعنى شدة اقتضائها للقافية أن يكون غرض البيت وألفاظه يستدعيان اللفظ الذي يقع قافيةً له استدعاءً شديداً أي قوي المناسبة حتى تجيء كلمة القافية كالموعود المنتظر فلا تكون مغتصبة متكلفة الوضع في مكانها ، والقافية أراد بها هنا الكلمة الأخيرة من كل بيت وهذا مأخوذ من كلام الأخفش[2]

(١) أنشده في قلائد العقيان في ترجمة قائل البيت وبطليوس من بلاد الأندلس .

(٢) هذا هو الذي جرت عليه عبارات الأدباء وأما القافية التي يضاف اليها علم القوافي فهي ما يتعرض له علم القوافي من أحكام آخر البيت وهي الساكنان اللذان في آخر البيت مع ما بينهما من حروف متحركة ومع المتحرك الذي قبل الساكن الأول .

قال الصفدي في شرح لامية الطغرائي « القافية المتمكنة هي التي يبنى البيت من أوله الى آخره عليها فاذا ختم البيت نزلت في مكانها متمكنة قد رسخت في قرارها بخلاف القافية القلقة التي اجتلبت لتمام الوزن ومتى غيرت القافية المتمكنة بغيرها جاءت نافرةً عن الطباع وزعم بعضهم أن بعض الشعراء غيَّر قوافي لامية الطغرائي من اللام الى حرف السين وهذا عندي يتعذّر لأن ألفاظ هذه القصيده في غاية الفصاحة وقوافيها في غايه التمكن اهـ » .

وقد ذكر أبو العلاء في رسالة الغفران أن خلفاً الأحمر أُنشد بمجلسه قولُ النمر بن تولب :

ألمَّ بصحبتي وهمُ هجوع خيالٌ طارقٌ من أم حصنِ
لها ما تشتهي عسلاً مصفى اذا شاءت وحُوّارى بسَمْن

فقال لهم خلف لو قال النمر في موضع أمْ حصن أم حفص ما كان يقول في البيت الثاني فسكتوا فقال خلف « وحوارى بلمص » يعني الفالوذج . ثم إن المعري أخذ يفرض أن تغير قافية البيتين على جميع حروف المعجم على تقدير تغيير كنية أم حصن بحرف غير النون فكانت القوافي متفاوتة في اقتضاء البيت إياها [1] .

وقوله « حتى لا منافرة بينها » أي بين المعنى ولفظه وبين القافية وهذه المنافرة كقول أبي عدي القرشي في قصيدة دالية :

ووُقيتَ الحتوفَ من وارثٍ وا لٍ وأبقاك صالحاً ربُّ هودِ

فليس لهود مناسبة بالمعنى ولكنه اجتلب لأجل الروي فهو قافية مقتضبة . وأعلى اقتضاء البيت للقافيه أن تكون القافية كالموعود به المنتظر كما سيأتي في كلام المؤلف .

(١) صفحات « ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ » رسالة الغفران طبع أمين هندية بالقاهرة سنة ١٣٢١ .

(فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر) سماها أبواباً لأن كل واحد منهـا يعتبر عنوان باب من أبواب فن النقد لو شاء أحد تبويبه وقد عملت بعض ذلك .

والعمود عود عظيم يركز في الأرض تقام عليه القبة أو الخيمة وتشد بأعلاه ويتفرع منه أديم القبة أو ثوب الخيمة الى أن تشد بالأرض بالأوتاد على شكل قبة أو هرم ، فما به قوام الشعر فهو كالعمود للبيت وقد وقعت هذه العبارة للحسن الآمدي في الموازنة وساق في كلامه ما محصله : ان عمود الشعر هو الأسلوب الذي سلكه فحول الشعراء من عهد الجاهلية وما بعده في بلاغة الكلام وإحسان المعاني والبعد عن التكلف وتجنب استكراه الألفاظ والمعاني وذكر عن البحتري أنه سئل عن طريقته وطريقة أبي تمام فقال البحتري : «أنا أقوم بعمود الشعر وأبو تمام كان أغوص على المعاني» فبين أنه امتاز عن أبي تمام بإجادة الناحية اللفظية من شرائط الإجادة وأن أبا تمام امتاز بالناحية المعنوية - فتحصل أن عمود الشعر هو مجموع شرائط الإجادة اللفظية والمعنوية وهو الذي اعتمده المؤلف .

(ولكل باب منها معيار) المعيار اسم آلة للتعيير . والتعيير تحقيق الوزن أو الكيل على ميزان أو مكيال محقق المقدار مضبوط لا زيادة فيه ولا نقصان عن المقدار الذي يستعمل له يقال عيَّر الدينار إذا وزنه بدينار محقق الوزن وعير المكيال كذلك ويقال لما به الكيل أو الوزن معيار وعِيار أيضاً كما سيجيء في عبارة المؤلف ومعنى كلامه أن لكل باب منها ضوابط ورسوماً بها يكون الشعر حسناً مقبولاً ومميزاً عن القبيح المردود عند أهل النقد مع بيان ما به إدراك تمييز الحسن من السيء وهذا المعيار هو كقول علماء المعاني ان تمييز الفصيح من غير الفصيح بعضه يبين في علم اللغة أو التصريف وبعضه يدرك بالحس فظهر أن المعيار مجموع الشروط وطريق إدراكها .

(فعيار المعنى أن يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب) أي ضابط المعنى

المشروط فيما تقدم بالشرف والصحة . يعني أن الوسيلة لتحصيل ملكة الحكم في استيفاء المعنى ما شرط فيه هي أن يعرض المعنى على العقل الصحيح أي الفكر المستقيم والفهم الثاقب وهو الفهم الذي لا تخفى عليه دقائق المعاني ولا تلتبس عليه الحقائق المتقاربة ، شبه بآلة الثقب إذ تخترق الأجسام الصلبة وهو يغوص الى الحقائق التي يعسر فهمها على غالب الأذهان . ومراده عقل الشاعر وفهمه وهو المقصود ومثله الكاتب وكذلك عقل السامع الذي هو من أهل الذوق والنقد والاختيار .

(فاذا انعطف عليه جنبتا القبول والاصطفاء مستأنساً بقرائنه خرج وافياً والا انتقص بمقدار شوبه ووحشته) .

قوله فاذا انعطف عليه تفريع على أن يعرض على العقل الصحيح أي فاذا انعطف عليه جنبتا قبول العقل الصحيح والفهم الثاقب إياه واصطفائه له خرج وافياً الخ ... وأراد بهذا إعادة التنبيه على أن المعنى لما كان غير مستغن عن كلام يقع فيه فجودة المعنى مفتقرة الى جودة الكلام الذي يدل عليه .

واستعار الانعطاف الذي حقيقته الميل والمحبة الى معنى الرضى به والموافقة أي فاذا صادف المعنى من نفس عقل الشاعر صاحب الذوق المكين وفهمه قبولاً ورضىً فذلك المعنى واف بشرط الكمال لنوعه وهو الصحة والشرف والجنبتان تثنية جنبة بسكون النون وفتحها وهي الجانب أي اذا وافقه جانبا القبول والاصطفاء ووقع في نسختي تونس ونسخة الأستانة جُبَّتا القبول تثنية جبة وهي ثوب له جيب وكان يلبس فوق الثياب الداخلية ونسخة جنبتا أولى وهي مماثلة لقول أبي العباس المبرد في أول باب من الكامل في اللفظ الغريب إذ قال : «فاذا انعطفت عليه جنبتا القبول غطتا على عُوّاره الخ»[1] . وإضافة جنبتا أو جنبا الى القبول

(١) انظر صفحة ١٧ طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨ .

والاصطفاء إضافة بيانيه لان المضاف عين المضاف اليه . واستعارة جنبتا للقبول والاصطفاء لأن القبول والاصطفاء أشبها جانبين يحيطان بالمعنى ويحضنانه . واستعارة جبتا لها لأنها أشبها ما يكتسي به المعنى بهجة . وقد أشار بالقبول الى صحة المعنى لأن المعنى لا يقبل إلا أذا كان صحيحاً وكني بالاصطفاء عن شرف المعنى لأنه إذا جاء شريفاً كان مرضياً في نفس المخترع فيما يقوله والسامع فيما يسمع والناقد فيما يختار . وقوله مستأنساً بكسر النون حال من ضمير عليه ويجوز فتح النون أيضاً على معنى أن قائله اصطفاه وقبله واستأنس بما معه .

والاستئناس التأنس وهو ضد الوحشة وكني به هنا عن المماثلة لأن المماثلة تستلزم التأنس بالمثل إذ الشيء يألف مثيله فالمراد المماثلة في الصفة بين المعنى المقبول المصطفى وبين ما يقترن به من المعاني حتى يكون الكلام كله مفرغاً في قالب واحد من الكمال ولا يكون بعض معانيه مقبولاً وبعضها مكروهاً وذلك ما سماه رؤبة بالقران كما سيأتي . والقرائن جمع قرينة من الاقتران وهو الاجتماع وأنث القرائن على تأويله بالكلمات بمقدار ما يقترن بالمعاني المرتضاة من معان مكروهة ينقض الكلام نقصاً قليلاً أو كثيراً ويوحش السامع والناقد .

(وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال) .

يعني اللفظ الذي وصفه آنفاً بالجزالة والاستقامة . أي وسيلة اختبار تحقق ذينك الوصفين فيه ثلاثة أشياء :

الأول : الطبع وهو طبع البليغ وذوقه ودربته الحاصلة من كثرة مزاولة الكلام الفصيح ومعرفة دقائق الاستعمال العربي حتى تحصل له من ذلك ملكة يميز بها بين اللفظ المقبول المستحسن واللفظ الجفو المستنكر فينتقي ما يستحسن وينبذ ما يستنكره .

والثاني : الرواية وهي رواية ذلك اللفظ فيما يروى عن العرب وأئمة الاستقراء ليعلم بذلك مواقعه من الكلام الفصيح فيتضح معناه عندهم فيكون صريحاً فيه .

والثالث : الاستعمال ليظهر ما هو حقيقة وما هو مجاز ويظهر العام والخاص مثلاً .

(فما سلم مما يهجنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم) .

قال الجاحظ في البيان « ومتى شاكل اللفظ معناه وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقاً ، ولذلك القدر لفقاً ، وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قميناً بحسن الموقع ، وبانتفاع المستمع »[1] .

والمهجنة العيب في الكلام .

(وهذا في مفرداته وجملته مراعى لأن اللفظة تستكره بانفرادها فاذا ضامها ما لا يوافقها عادت الجملة هجيناً) .

في نسختي تونس ونسخة الأستانة « وجُمَله » عوض جملته والمراد بها مجموع الكلام لا الجملة في اصطلاح النحاة . قال عبد القاهر[2] : « انك ترى الكلمة تروقك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ الأخدع في بيت الحماسة :

تلفتُّ نحو الحيِّ حتى رأيتُني وجِعتُ من الإصغاء لِيتا وأَخْدَعا

فان لها ما لا يخفى من الحسن ثم انك تتأملها في بيت أبي تمام :

يا دهرُ قوِّمْ من أخدعيك فقد أضججتَ هذا الأنامَ من خرقكْ

« فتجد لها من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدتَ لها هناك من الروح والخفة اهـ » .

ولم يبين الشيخ سبب ثقل هذه اللفظة في موضع وحسنها في الآخر لأنه أحاله على الذوق . وزعم ابن الأثير في المثل السائر أن سبب ذلك هو إفراد

(١) ص ٢٠ جزء ٢ المطبعة التجارية بالقاهرة سنة ١٣٤٥ .

(٢) ص ٣٧ دلائل الاعجاز طبع المنار .

الأخدع في بيت الحماسة وتثنيته في بيت أبي تمام وهو وهمٌ من ابن الأثير . والحق أن سبب حسنها في بيت الحماسة مجيئها مستدعاةً للكلام الذي قبلها حيث كان ذكر وجع الليت يستدعي وجع ما حوله وهو الأخدع فكان لفظ الأخدع فيه رشيقاً ، وهو في بيت أبي تمام مغصوب للقافية إذ لا مناسبة في استعارة الأخدع للدهر في هذا المقام إذ ليس في أحوال الدهر ما يكون الأخدع رديفاً له كما يؤخذ من كلام الآمدي في كتاب الموازنة [1] .

(وعيار الإصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز فما وجداه صادقاً في العلوق ممازجاً في اللصوق يتعسر الخروج عنه والتبرؤ منه فذلك سيما الإصابة فيه) .

أي ان الذكاء وحسن التمييز يدرك بهما الوصف المصيب في العلوق أي في تعلقه بالغرض الموصوف المشخص منطبقاً عليه ممازجاً له لا تقصير فيه . والسيما بالقصر العلامة قال تعالى : «سيماهم في وجوههم» .

(تونس) محمد الطاهر ابن عاشور

«يتبع»

(١) ص ١٠٥ - ١٠٧ طبع الجوائب .

رسالة حي بن يقظان

مع شرحها لابن سينا

- ٥ -

(وأما القرن الطيّار فانما يسوّل له التكذيب بما لا يُرى ويصور لديه حسن العبادة للمطبوع والمصنوع ٠)

التفسير : قوله وأما القرن الطيار أي المتخيلة ، فانما يسول له التكذيب [ورقة ١٠٠ ألف] بما لا يرى ، أي من شأن هذه القوة إنكار الأمور العقلية ، والتكذيب بها إذ كان إدراكها الإدراك الجسمي وليس لها الإدراك العقلي بوجه ٠ ويصور اليه حسن العبادة للمطبوع والمصنوع أي انها وان اعترفت وأذعنت لإثبات مبدأ أول وخالق معبود فانما تُثبته[1] على أنه جسم طبعي كفلك أو كوكب أو جسم صناعي كصنم أو تمثال على ما يعتقده عبدة الأصنام والكواكب ٠

(ويساود سرّ الإنسان أن لا نشأة أخرى ولا عاقبة للسوءى[2] والحسنى ولا قيوم على الملكوت ٠)

أي يلقى في بال الانسان أنه لا بقاء للنفس وعبّر عنه بالنشأة الأخرى من قوله تعالى « ونُنشئكم فيما لا تعلمون » (سورة ٥٦ ، آية ٦١) أي تبقى النفس منكم مفارقة للمادة مجردة عن البدن وانه لا ثواب لها ولا عقاب عليها ٠ ولا قيوم على الملكوت أي هي منكرة للمدبر للعالم الذي هو قائم بذاته الغير المحتاج[3] الى موضوع في قوامه والى سبب في وجوده ٠

---

(١) مه و ص : تثبت . (٢) ب : للسوء .
(٣) ب : الغير محتاج .

(وانّ من القرنين لطوائف تصادفت[1] حدود إقليم وراء إقليمكم[2] يعمره الملائكة الأرضية تهتدي[3] بهدى الملائكة . قد نزعت عن غواية المردة ، وتقيّدت سير الطيبين من الروحانيين فأولئك إذا خالطوا الناس لم يعبثوا بهم ولا يُضلّوهم ويحسن مظاهرتهم على تطهيرهم وهي جنّ وحن .)

التفسير : قوله وان من القرنين لطوائف وجماعات قد تهذبت وتأدّبت بضرب من التهذيب والتأديب فهي لذلك كأنها مجاورةٌ لإقليم وراء إقليمهم تعمرها الملائكة الأرضية ، يشبهها في السيرة الفاضلة بالملائكة واهتدائها بهديها واستنانها بسنتها ، ونعني بالملائكة كل جوهر عقلي مدرك للمعقول [ورقة ١٠٥ ب] والملائكة الأرضية هي النفوس الناطقة العاقلة البشرية .

قد نزعت عن غواية المردة أي هذه الطوائف كفت عن أعمال المردة من جنسها أو ترفعت عن غوايتها وجهالتها .

وتقيدت سير الطيبين من الروحانيين أي انقادت لمشورة العقل وتخلقت بالأخلاق المرضية ، أما السيارة فبارتداعها عن الانهماك في الأفعال الغضبية والشهوانية ، وأما الطيارة فباتباعها أحكام العقل وقلة منازعتها ومجاذبتها إياه ومعارضتها له في قضاياه . فأولئك اذا خالطوا الناس لم يعبثوا بهم ، ولا يضلوهم أي ان الغضبية والشهوانية المتصفة بالصفة المذكورة وان لم يخل عن مصاحبة العقل فانها لا تحمل الناس على العبث والفساد ، ولا تقسرهم على ركوب الهوى واتباع الضلال .

ويحسن مظاهرتهم على تطهيرهم أي ان المخيلة المتصفة بالصفة المذكورة مظاهرة للعقل ومعاونة على أفعاله ، والاستكمال بمعقولاته إذ قد علم أن الحاجة داعية أي أفعال الحس والتخيل في بلوغ الناس الى كمالها كما عرف في موضعه .

(١) هـ و ص : تصاقب ، (أي تواجه) . (٢) ب : اقليم .
(٣) هـ و ص : تهدى .

قال وهي جن وحن ، أراد بالحن القوة المتعلقة بالحس[1] من الحواس والتخيل وغير ذلك ، وسماها جنّا لاجتنانها واستتارها عن المعقولات من قوله تعالى : « فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً » (سورة ٧١ ، آية ٧٦) . أي لما تفرّق حال الموجودات من جهة الحس والخيال .

وأراد بالحنّ الغضبية والشهوانية اللتين هما شعبتا القوة النزوعية وعبر عن النزاع بالحنّ وكان القوة الشوقية حانّة ونازعة إلى استجلاب اللذيذ واستدفاع المؤذي .

(ومن حصل وراء هذا الإقليم وغَل في أقاليم الملايكة فالمتصل منها بالأرض إقليم يسكنه[2] الملائكة الأرضيون ، وإذا هم[3] طبقتان ، طبقة ذات الميمنة وهي علامة وامارة . وطبقة تحاذيها[4] مؤتمرة [ورقة ١٠٦ الف] عمالة . والطبقتان تهبطان الى إقليم الجن والإنس هوياً ويعمان في السماء رقيّاً ، ويقال إن الحفظة والكرامَ الكاتبين[5] منهما وان القاعد مرصد اليمين من الامارة واليه الاملاء والقاعد مرصد اليسار من العمّالة واليه الكتاب .)

قال المفسر : قوله ومن حصل وراء هذا الاقليم أي إقليم القرنين ، وَغَل اي دخل في أقاليم الملئكة أي اذا تجاوزت بنظرك رتبة هذه القوى البدنية انتهيت في النظر الى رتبة الملئكة وذلك انك اذا تجاوزت معرفة الادراك الحسي انتهيت الى معرفة الادراك العقلي ، فالمتصل منها بالأرض إقليم يسكنه الملئكة الأرضيون ، أراد به النفوس الناطقة الانسانية ، فان أول مراتب الملئكة التي معنا[6] ، والمراد بها المدركة للمعقول رتبة الملايكة الأرضية التي هي النفوس الناطقة الانسانية .

---

(١) هكذا في ب و ك ، أما في نسخة المهرني : المتعلقة من الحواس والتخيل ؛ وفي نسخة صبري : المتعلقة من الحواس والتخيل ، فافهم .
(٢) مه و ص : سكنه . (٣) أيضاً : وإذ هم .
(٤) أيضاً : تحاذيها ذات الميسرة وهي مؤتمرة الخ .
(٥) هكذا في ك ، وفي ب : وكرام الكاتبين ، وفي مه و ص : الحفظة والكرام والكاتبين . (٦) ب : معناها .

واذا هم طبقتان : أراد به القوة العلمية والعملية .

وقوله طبقة ذات اليمين أي العلمية وجعلها ذات الميمنة لشرفها وفضلها على العملية ولذلك جعلها علامة امارة أي حاكمة وباعثة وداعية ، وطبقة تحاذيها أي العملية وجعلها مؤتمرة عاملة أي متصرفة على حكم الآمر والحاكم والباعث والداعي الذي هو العقل العملي .

والطبقتان تهبطان .... هويا .... رقيا : أشار بذلك الى جهتي نظرهما ، فانهما تارة تقبلان على العقل الفعال تستمدان [1] منه ، وتارة تقبلان على البدن ، مدبرتين [2] له - وقد شرح ذكر هاتين الجهتين للنفس في موضعه .

قوله [3] ان الحفظة وكرام الكاتبين منها ، أراد بالحفظة وكرام الكاتبين قوة العقل من قوله تبارك وتعالى كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون (سورة ٨٢ آية ١٠ — ١٢) وذلك لأن العقل هو الذي يحفظ الانسان ويدبر أمره ، وهو الذي يستثبت في ذاته ما يدركه من المعقولات .

وإن القاعد ... الاملاء أي ان العلمية منها هي المبدأ للهداية لما يجب أن يعمل [4] به .

وإن القاعد مرصد .... الكتاب أي ان العملية منها هي التي تتوجه [ورقة ١٠٦ ب] وتنقضي [5] الأمر فتعمل ما يجب أن يعمل به .

(ومن وجد له الى عبور هذا الاقليم سبيل خاص الى ما وراء السماء خلوصاً فلمح ذرية الخلق الأقدم ولهم ملك واحد مطاع .)

التفسير : قوله ومن وجد .... الاقليم أي إقليم الملايكة الأرضية .

(١) هكذا في ك أيضاً ، ولكن في مه و س : مستمدتين منه
(٢) هكذا في ك و مه و س ، وأما ب ففيه : مدبرتان له
(٣) ب : قوله تبارك وتعالى .
(٤) هكذا في ك أيضاً ، وأما مه و س ففيها : ان يعلم
(٥) ك تتوجه وتنتهي الى الأمر .

خلص ... خلوصاً أي ان المرتبة الانسانية والعقل الخاص بها متاخمة ومجاورة للمرتبة [١] السماوية والعقول الخاصة بها .

فلمح .... الأقدم أراد به القدم الذاتي [٢] أي الامور [٣] المفارقة للمادة المتقدمة بالذات والعلية [٤] على الأمور الملابسة لها .

قوله ولهم ملك ... مطاع أي ان هذه المفارقات تنتهي في مراتبها الى مبدأ أول واجب الوجود ، الكل فايض عنه وموجود به ومسبّب له فهو الملك الغني عنهم وهم المملوكون المقتصرون اليه . وأراد بالمطاع تصرف الكل على تدبيره [٥] وبموجب قضايه ومشيئته ، لا معدل لشيء منه عن القضاء الأول والمشية الأولى .

(فأول حدوده معمور بخدم الملكهم الأعظم عاكفين على العمل المقرب اليه زلفى ، وهم أمة بررة لا تجيب داعية نهم أو قرم أو غلمة أو ظلم أو حسد أو كسل قد وكلوا بعمارة ربض هذه المملكة ووقفوا عليه وهم حاضرة تمدنون ، يأوون الى قصور مشيَّدة وأبنية سرية تتوف في عجن طينها [٦] حتى انعجن ما لا يشاكل طينة إقليمكم ، وإنه لأجلد من [٧] الزجاج والياقوت وسائر ما تستبطئ أمد بلائه ، وقد أملي لهؤلاء في أعمارهم وأنشي في آجالهم فلا يحرمون دون أبعد الآماد وتبيرتهم عمارة الربض طائعين .)

التفسير : قوله وأول .... الأعظم أشار به [ورقة ١٠٧ الف] الى النفوس الفلكية [٨] المباشرة للتحريك .

المراد بقوله عاكفين على العمل المودي الى الاستكمال ، المراد بقوله المقرب

(١) هكذا في ك أيضاً ، وفي مه و ص : للرتبة .
(٢ و ٣) هكذا في ك أيضاً ، وغير موجود في مه و ص .
(٤) هكذا في ك أيضاً ، وفي مه و ص : العلة .
(٥) ك : مدبره ، ومعنى « المطاع » غير موجود في مه و ص
(٦) ب : تتوق - ومه و ص : طينتها .
(٧) ب لأجلد الزجاج .
(٨) ك : الملكية

اليه زلفى ، فان القرب منه هو الاستكمال [1] ، وقرب كل شيء منه كونه على كماله الخاص به .

قوله وهم أمة بررة أي منزهة عن القوى الأرضية الغضبية منها والشهوانية ، ولذلك قال : لا تجيب داعية .... غلة ، وهي أمور متعلقة بالقوة الغضبية .

قد وكلوا بعمارة .... عليه أي هي قوى مقرونة بالأجسام السمائية ولهذا عبّر عن هذا المعنى بقوله وهم حاضرة متمدنون أي ليست هي بمجردة عن المادة كل التجريد بل ملابسة لها ضرباً من الملابسة .

وقوله بأوون .... مشيدة أي هي صور الأفلاك التي شبهها [2] في علوها وارتفاع محلها بالقصور المشيدة والأبنية السرية .

وأشار بقوله تنوف .... اقليمكم أي ان المادة الفلكية مباينة للمادة الأرضية وكأنها نوع آخر من المادة . مباينتها لها انها لا يفارق صورها ولا يتعاقب عليها الصور كما يتعاقب على المادة الأرضية ، وانها لا تتغير تغيراً تستعد به لقبول صورة أخرى ، والى هذا أشار بقوله وانه لأجلد من الزجاج .... أمد بلاء فهذه صفة موادها ، ثم عدل الى وصف هذه الصور التي تلابسها فقال :

وقد أملي .... الاماد أي ان هذه لا تبطل ولا تفسد كما تبطل ساير القوى المقارنة للنوع الآخر من المادة . قوله وتيرتهم .... طايعين أي لا يتغيرون عما هم بصدده من عمارة الربض أي ملازمة الفلك والطاعة الى التحريك للفلك .

(وبعد هؤلاء أمة أشد اختلاطاً بملكهم مصرون على خدمة المجلس بالمثول وقد صينوا فلم يبدلوا [3] بالاعتمال [ورقة ١٠٧ ب] واستخلصوا للقربى ومكنوا من رموق المجلس الأعلى والحفوف حوله ومتعوا بالنظر الى وجه الملك وصالاً لا فصال فيه .)

(١) ك : فان التقرب منه كما هو الاستكمال .

(٢) هي صور الأفلاك وشبهها . (٣) مه و ص : فلم يتبذلوا .

قوله : وبعد .... بملكهم أشار به الى العقول الفعالة المفارقة للمادة أصلاً ، وعنى بقوله أشد اختلاطاً بملكهم ما عليه هذه العقول من الاختصاص بالمتعقلات دون غيرها من التحريكات كما عليه النفوس[1] المتقدم ذكرها .

مصرون .... بالمثول أي من شأنهم الثبات على الأحوال التي هم عليها لا يلحقهم عنها تغير ولا انتقال .

قد صينوا .... بالاعتمال أي هم منزهون عن مباشرة الأعمال والتصرف في المواد .

واستخاصوا .... حوله أي هم أقرب الخلائق رتبة من الأول الحق فالقربى[2] بالحقيقة لهم دون غيرهم ، وأشار الى أن وجه قربهم وجه دنو مرتبتهم هو تمكنهم من رموق المجلس الأعلى ، والحفوف حوله بحيث لا يتقدمهم في ذلك خليفة ، وأشار الى دوام هذه الحالة لهم وإحالة تغيرهم عما هم عليه بقوله ومتعوا بالنظر الى وجه الملك وصالاً لا فصال عليه .

(وحلوا تحلية اللطف في الشمائل والحسن والثقابة[3] في الأذهان والثقافة[4] في الاشارات والرواء الباهر والحسن الرائع والهيئة البالغة ، وضرب لكل واحد منهم حد محدود ومقام معلوم ودرجة مفروضة لا ينازع فيها ولا يشارك ، فكل من عداه يرتفع عنه أو يسمح نفساً بالقصور[5] دونه .)

التفسير : شرع بهذا الكلام في ذكر جمل من أوصافهم التي خصوا بها وهي اللطف في الشمائل إذ لا شيء من[6] الشمائل ألطف حقيقة من شمائلهم التي هي التعقلات .

والثقابة في الأذهان ، إذ لا شيء من الأذهان أثقب من أذهانهم التي بها

---

(١) ب : من النفوس .
(٢) مه و س : والقربة .
(٣) أيضاً : الثقافة .
(٤) أيضاً : النهاية .
(٥) أيضاً : المقصور .
(٦) أيضاً : في .

أدركوا [ورقة ١٠٨ ألف] حقيقة الأول التي تعجز عن إدراكها بالحقيقة كل ما سواه ، والثقافة في الاشارات إذ لا شيء أبلغ منها[١] في هذا بالحقيقة [....] الى الإدراك بل كل مدرك فانما يدرك بهداية هذه العقول إياه .

والرواء الباهر إذ لا شيء من الرواء المنسوب الى كل ذي رواء أبهر العقول من روايهم ، وذلك لشدة تواريهم وغلبتها على أذهان المحاولين لتحققها ومعرفة كنهها .

والحسن الرائع إذ لا شيء أروع حسناً من حسنهم الذي هو الحسن الحقيقي الذاتي دون الحسن العرضي المستعار الذي لغيرهم ، والهيئة البالغة إذ لا شيء من الهيئات أكمل من هيأتهم التي لا يشوبها نقص ولا يشبهها قصور .

وضرب لكل واحد منهم حد .... مفروضة ، أشار بذلك الى مراتبهم في مراتبهم وحصول كل واحد منهم في رتبة ما مفروضة من جهة القرب والبعد من الأول ، لا ينازع واحد واحد منهم[٢] الآخر في تلك الرتبة ، ولا يشاركه[٣] فيها ، إذ كان لكل واحد منهم[٤] محل من القرب ليس للآخر ذلك المحل بل إما دونه وإما فوقه ، وعلى ذلك دل بقوله فكل من عداه يرتفع عنه أو يسمح نفساً بالقصور دونه .

(وأدناهم منزلة من الملك واحد هو أبوهم وهم أولاده وحفدته وعنه يصدر اليهم خطاب الملك ومرسومه .)

التفسير : أشار بقوله هذا الى أول رتبة من رتبهم بقوله وأدناهم منزلة .... وحفدته ، وأراد به العقل الفعال الذي هو المبدع الأول وسماه أباً لهم ، إذ كان وجود ما سواه عن الأول بتوسطه عنه[٥] يصدر اليهم خطاب الملك ومرسومه أي كما أن وجودهم بتوسط وجوده ، كذلك ما أكرموا به من الفيض الإلهي والتعقل الأولي انما يصل اليهم بتوسطه ومن جهته .

---

(١) ب : منهم . (٢) مه و ص : واحد منهم .
(٣) مه و ص : ولا يشاركها . (٤) غير موجود في مه و ص .
(٥) ك : وعنه .

(ومن غرايب أحوالهم أن طبائعهم لا تستعجل بهم الى الشيب والهرم وان الوالد منهم وان كان أقدم مدة فهو أسبغ منه وأشب بهجة [ورقة ١٠٨ ب] وكلهم مسخرون قد كفوا الاكتنان [١] ، والملك أبعدهم في ذلك مذهباً .)

التفسير : قوله ومن .... والهرم ، أشار به إلى إحالة وصول تأثير الزمان اليهم وامتناع لحوق النقصان بهم الحاصل لغيرهم من تطاول المواد ، وذلك لبراءتهم عن ملابسة المادة والقوى الجسمانية التي تبرهن انها لا محالة متناهية وانها تمتنع عليها غير التناهي .

وان الوالد .... بهجة أشار به الى القِدَم [٢] الذاتي ، الا انه رمز به القِدَم الزماني ، فقال إن الذي هو أقدم في الذات فهو أسبغ [٣] وأتم قوة ، وسبوغ قوته انه سبب وعلة لما دونه ، وما دونه معلول له ، « وأشب بهجة » أشار به الى علو درجته على درجة مَن دونه .

وكلهم مسخّرون قد كفوا الاكتنان ، أشار الى تجرد ماهياتهم عن هيولى بدني ، وبالجملة عن عنصر جسماني ، وقيامهم بذواتهم من غير حاجة الى موضوع .

وقوله والملك أبعدهم في ذلك مذهباً أي انهم وإن كانوا موصوفين بما يوصف به الأوّل الحق من التجرد والاستغناء عن الموضوع . فالملك متفرد من هذا الوصف بخاصية لا يشاركونه فيها إذ هم وإن حصلوا على هذا الوصف فلهم اختصاص ما بأمر جسماني . وهو أن كل واحد منهم هو المحرك على سبيل التشويق لفلك ما من الأفلاك ومنسوب الى تدبير واحد منها باستمداد خاص نفسه منه دون غيره فله نسبة الى موضوع خاص ، فأما الملك الذي هو الأول الحق فيميزه [٤] عن ذلك من كل وجه ، فلهـذا يوصف بأنه قيوم ، وهو المبالغة في القيام بالذات ولا يوصف واحد منهم بذلك فهو في القيام بالذات ، والاستغناء عن الموضوع في أعلى الدرجات وبحيث لا يشاركه فيه غيره .

(١) مه و ص : الاكتفاء .
(٢) أيضاً : التقدم .
(٣) ب : اشبع (في الموضعين) .
(٤) مه و ص : فيميز تمييزاً .

(ومَن عزاه الى عرق فقــد زلّ، ومن ضمن الوفاء بمدحه فقد هذى، فقد[1] فات قدر الوصّاف[2] وحادت عن سبيله [ورقة ١٠٩ الف] الأمثال فلا يطيع[3] ضاربها له لا بتباين[3] أعضاء بل كله لحسنه وجهٌ ولجوده يدٌ. يعفي حسنه آثار كل حسن ويحقر كرمه نفاسة كل كرم .)

التفسير: شرع من هاهنا في ذكر نبذ من صفات الأول الحق فقال من نسبه الى أصل من مادة أو صورة أو فاعل أو غاية أو والد فقد زاغ عن الحق، إذ هو لا ينسب الى شيء من هذه الأصول لأنه ليس بمركب فيكون له مادة أو صورة، ولا مسبب[4] فيكون له فاعل أو غاية لكنه البسيط الذي لا تركيب فيه بوجه، والسبب الأول لا سبب قبله في الوجود، والموجود الأول الذي لا أوّلية لغيره متقدماً[5] عليه .

قال: ومن ضمن ... هذى أي من حاول أن يفي بكنه ما هو عليه من الصفات فقد حاول باطلاً، وكيف صفاته التي هي مختصة به لا يشاركه فيها غيره، الا بالاسم، ولا صفة من صفاته لغيره فيها شركة بوجه وإنما نعرف على وجه يظن أنه يشاركه فيها غيره، فلا يكون معرفة[6] لأحد على كنهها .

قال: وقد فات قدر الوصاف أي ليس في وسع أحد من واصفيه أن يصفه بكنه ما هو عليه لما تقدم من السبب في ذلك . قال: وحادت .... له أي ومع ذلك فان واصفه إن رام وصفه لا على سبيل الطمع في إيراد كنهه على وجهه بل على سبيل ما يضرب من الأمثال، وطريق تشبيه الشيء بالشيء لم يطع المعاني إذ كان لا مشابه في شيء من المعاني ولا مماثل فكيف يمثل بما لا يماثله أو يشبهُ ما لا يشبهه فكأن في نفس المعاني منعاً للمشبه عن تشبيهه بشيء منها أو ضرب المثل له بواحدٍ منهـا .

(١) هه و ص : قد فات . (٢) أيضاً : الوصاف عن وصفه .
(٣) ايضاً : فلا يستطيع ضاربها إلا بتباين . (٤) أيضاً : سبب .
(٥) أيضاً : متقدم . (٦) ب : معروفة .

قال : لا بتباين ... يد أي لا ينقسم على وجه من وجوه القسمة لا المعنوية منها ولا المقدارية فلا مباينة لجزء من ذاته جزءاً آخر كما تباين الصورة المادة ولا كما تباين العضو العضو ، وكيف ولا احتمال فيه لضرب من ضروب القسمة لا بالقوة ولا بالفعل ، ولا أجزاء له معنوية [ورقة ١٠٩ ب] أو مقدارية لا بالقوة ولا بالفعل ، بل هو واحد من كل جهة ، فان اعتبر ذاته كان الكمال المطلق الذي هو الحسن المطلق والجمال المطلق الذي ينسب من الأعضاء الى الوجه ، وان اعتبر كونه سبباً لوجود ما يوجد عنه وكون وجوده فايضاً عنه الموجودات كان الجواد المطلق بالجود المطلق الذي ينسب من الأعضاء الى اليد وليس فيه غير هذين الاعتبارين وهو فيهما على أتمّ ما يصح أن يكون حتى لا حسن ولا جمال أحسن من حسنه وكماله ولا جود ولا كرم أتم من جوده وكرمه . وعلى هذا دلّ بقوله يعني حسنه .... كل كرم .

ومتى همّ بتأمّله أحد من الحافّين حول بساطه غضّ الدهش طرفه فآب حسيراً يكاد بصره يختطف قبل النظر اليه ، وكان حسنه حجاب حسنه ، وكان ظهوره سبب بطونه ، وكان تجلّيه سبب خفائه كالشمس لو انتقبت يسيراً لاستعلنت كثيراً ، فلما أمعنت في التجلي احتجبت وكان نورها حجاب نورها .)

التفسير : قوله ومتى همّ .... طرفه أي ان شيئاً من المقربين الذين هم العقول الفعّالة لا يستطيع بعقله الذي عبّر عنه بالتأمل على حاق ما هو عليه من الاكتناه والتحقيق في الذات بل يكون الإدراك الذي له يقصر عن إدراكه لذاته قصوراً كبيراً فانه لا يشاركه في إدراكه لذاته أحد من المدركين له فالحال لإدراكه على الوجه البالغ ممنوع يدهشه عنه ، ومغضوض الطرف دونه آيب عن غرضه خايباً حسيراً كالانحياز للطرف منه لما يبهره من نور الحق فكأنه يسلب بصره دون النظر اليه ، ثم ذكر أن السبب في ذلك فرط نوره وحسنه الذي يجاوز الحد الذى [....] فلما تجاوز هذا الحد صار كأن الحاجب والمانع عن إدراكه هو ذاته ، وعلى هذا دلّ بقوله :

فكان حسنه [ورقة ١١٠ ألف] حجاب حسنه وكان ظهوره سبب خفايه أي لما كان متجاوز الحد في الظهور فصار لا يدرك لظهوره فصار ظهوره سبب خفايه أي ان المدرك ومثل ذلك بالشمس من الأمور المحسوسة فانه وان كان السبب في ظهور ما يظهر للحس وإدراك ما يدرك من المبصرات لما يحصل من وقوع نورها عليها الى حدّ ما فانها لما بلغت الغاية في النورانية وتجاوزت الحد عجزت الأبصار عن تأملها وإدراكها لما يبهرها ويغلبها من نورها ، فكأنها لو انتقبت أي سترت من نورها قليلاً لأدركت فلما تجلّت في الغاية واختصت بكمال النور صار ذلك التجلي البالغ والنور الباهر حجابين دون الناظرين اليها والقاصدين لإدراكها .

(وان هذا الملك لمطلع على ذويه بهاءه ، لا يضنّ عليهم بلقائه ، وانما يوتون من دنوّ قواهم دون ملاحظته وإنه لسمح فيّاض واسع البر ، غمر النائل ، رحب الفناء ، عامّ العطاء .)

أي لا ينبغي أن يظن أن سبب قصور القاصر عن إدراكه هو ضنّ منه أو بخل عليه بتعقله [(١)] وإدراكه بل السبب في ذلك ما جبل عليه بحسب رتبته في الوجود الممكن من العجز ونقصان القوة التي بها يستطاع ذلك التعقل ، وذلك الإدراك عن قوة الممكن له ذلك .

وانه لسمح فياض أي من اعتبر حاله من حيث نسبته الى الموجودات الفايضة عنه وجده فايضاً عنه ذرات سائر الموجودات ، وهذا هو المعنى الذي عبّر عنه بقوله سمح فياض ، ووجد فايضاً عنه أيضاً عامة أحوالها وأوضاعها [.....] معطياً الأمور الضرورية لها في وجودها ، والضرورية لها في حسن أحوالها وصلاح أمورها ، وهو المعنى الذي عبر عنه بقوله واسع البر ، غمر النايل ، رحب الفناء ، عام العطاء .

---

(١) ب : بتعلقة .

(مَن شاهد أثراً من جماله ووقف عليه لحظُه لا يلفته عنه [ورقة ١١٠ ب] غمزةً ولربما هاجر اليه أفراد من الناس فيتلقاهم من فواضله ما ينوبهم ، ويُشعرهم احتقار متاع إقليمكم ، هذا فاذا انقلبوا من عنده انقلبوا وهم مكرهون (١)) .

(قال الشيخ حيّ بن يقظان ولولا تقربي (٢) اليه بمخاطبتك منبهاً إياك لكان لي به شاغلٌ عنك وإن شئت اتبعتني اليه .)

التفسير : ذكر حالَ من يدرك منه ما من شأنه أن يدركه ، وفي وسعه أن يبلغه من أثر جماله أي من جماله وكماله في ذاته وما يصدر عن جماله وكماله من الأثر .

فقال : من شاهد .... غمزةً أي يلحقه من الالتذاذ به ما لا يلحقه من الالتذاذ بغيره مما يدركه بحسب فضل ما يدرك من جماله على ما يُدرك من جمال غيره فيصير بحيث لا يوثر عليه لذة أخرى ولا يعدل بنظره الى غيره ، فكأنه يجعل نظره ولحظه وقفاً عليه لا يصرفه عنه ما أمكنه .

اللهمّ إلاّ أن يكون هذا المدرك عنوًّا بأمور أخرى تصده عن مراده من ذلك أو مكنوفاً بقوى أخرى تجاذبه وتصرفه عن مراده فيكون حينئذٍ مكرهاً على الإعراض عنه ممنوعاً من الإقبال بالكلية عليه ، وتلك هي الحالة التي يستعاذ بالله منها ومن شرها وغايلتها .

تمت بحمد الله ومنّه والصلاة على محمد خير خلقه وعلى آله وأصحابه .

محمد المدعو بصغير حسن المعصومي

---

(١) ايضاً : مكرمون .

(٢) مه : تقرّبي .

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره (١)

-٣-

العراق عامة والموصل خاصة في القرن الرابع

شهد العراق – والموصل بصورة خاصة – في هذا القرن أحداثاً سياسية جساماً كان لها أثرها القوي في الحياة العلمية والحياة العقلية .

في هذا القرن أخذت الأقاليم الاسلامية تنفصل سياسياً عن بغداد ، ومن هذه الأقاليم إقليم الموصل الذي أخذ يسير في طلب شبه استقلال سياسي منذ أواخر القرن الماضي (سنة ٢٩٢ هـ) حين ابتدأ حكم بني حمدان يمتد اليه . وقد حاول الخليفة المقتدر القضاء على هذا الانفصال لخطر هذا الاقليم وقربه من دار الخلافة ولأنه الثغر القوي الذي تسير منه الجيوش الاسلامية الى غزو الروم ، فمن امتلكه وسيطر عليه وضع يده على قلعة عظيمة من قلاع الاسلام . أحس الخليفة المقتدر أن سلطان الحمدانيين أخذ يقوى وأن نفوذهم ابتدأ يطغى على ذلك الإقليم فأرسل في سنة ٣٠١ هـ القائد يمنا الطولوني لعزل أبي الهيجاء عبد الله ابن حمدان عن إمرة الموصل فعزله ثم تعاقب على الموصل بعد أمد قصير أمراء

(١) هذا هو الفصل الثالث من البحث الذي نشر الفصل الأول منه في الجزء الرابع من المجلد الرابع والعشرين (ص ٥٣٧ – ٥٤٦) والفصل الثاني منه في الجزء الأول من المجلد الخامس والعشرين (ص ٧٨ – ٨٦) .

كثيرون منهم يمنّ هذا ، ومنهم نحرير الخادم الصغير وغيرهما ؛ كل هذا وأبو الهيجاء ابن حمدان مرابط يراقب الحالة عن كثب ويتهيأ لعمل حاسم ولو كان في ذلك إعلان للثورة على الخلافة ، ولكن الخليفة أحس بذلك فأرسل جيشاً قوياً بقيادة مؤنس المظفر وجماعة من القواد ، فعلم أبو الهيجاء أن لا قبل له بذلك الجيش فاستأمن وأخذه مؤنس الى الخليفة فعفا عنه وخلع عليه ثم عاد فولاه الموصل في سنة ٣٠٢ هـ ورجع اليها وبقي فيها كأنه مخلص للخليفة الى سنة ٣٠٧ فعزله الخليفة المقتدر بالعباس بن محمد بن اسحق بن كنداج ، وظل أبو الهيجاء بعيداً عن إمارته الى سنة ٣١٤ هـ ثم أعاده الخليفة اليها بعد سعي طويل ، ومنذ ذلك الحين حتى أواخر هذا القرن ظل بنو حمدان يتقلبون عليها : ففي سنة ٣١٤ سافر أبو الهيجاء الى بغداد وترك أمر البلد الى ابنه الحسن ـ الذي عرف فيما بعد ـ بناصر الدولة . وفي سنة ٣١٨ هـ وقعت فتنة بين بني حمدان : ناصر الدولة وعمّيه سعيد ونصر فغلباه على أمره واستوليا على المدينة . وفي سنة ٣٢٣ هـ وقعت فتنة ثانية فقتل ناصر الدولة فيها عمه أبا العلاء وغضب الخليفة الراضي بالله لهذا الأمر فأمر وزيره ابن مقلة أن يتوجه بجيش الى الموصل فسار اليها فلما قاربها رحل عنها ناصر الدولة فأقام ابن مقلة بها يجبي مالها ، ولما طال مقام الوزير بها احتال بعض أصحاب ابن حمدان على ولد الوزير ، وكان ينوب عن أبيه ببغداد فبذل له عشرة آلاف دينار ليكتب الى أبيه يستدعيه زاعماً أن الأمور بالحضرة قد اختلت فسار الوزير واستعمل على الموصل علي بن خلف بن طياب ، وماكرد الديلمي الساجي ، وانحدر الى بغداد فرحل ناصر الدولة الى الموصل وما لبث أن استعادها بعد قتال ثم كتب الى الخليفة الراضي بالله يسترضيه فرضي عنه ، ثم عاد ثانيةً فأغضب الخليفة لأنه أخّر عنه المال المفروض عليه فسار الخليفة نفسه الى الموصل على رأس جيش يريد التخلص من ناصر الدولة والاعيبه وكان معه على قيادة ذلك الجيش القائد بجكم ، والقاضي أبو الحسين عمر بن محمد .

ولما بلغ الخليفة وجنده تكريت بدا له أن يبقى فيها ويبعث بالجند وعلى رأسهم بجكم ، فذهب هذا وقاتل ناصراً وهزمه . وبينما كان الخليفة غائباً عن بغداد إذا هو بابن رائق الثائر يحتل العاصمة ويبلغ الخبر الراضي فيرجع اليها ويصالح ناصر الدولة على خمسمائة ألف درهم كل سنة . ويظل ناصر الدولة الأمير المطاع في الموصل حتى سنة ٣٤٦ ، وفيها يبلغه أن معز الدولة بن بويه توجه يريد الموصل فأرسل اليه ناصر الدولة يضمن الاقليم بألفي ألف درهم وحمل اليه مثلها فرجع معز الدولة ، ودخلت سنة ٣٤٧ هـ فلم يرسل ناصر الدولة الضمانة فتجهز معز الدولة ومعه وزيره المهلبي الى الموصل ففر ناصر الدولة عنها واستولى عليها معز الدولة وكان من عادة ناصر الدولة إذا فر أن يستصحب معه جميع الكتاب والوكلاء ومن يعرف أبواب المال ومنافع السلطان في البلد وربما جعلهم في قلاعه كقلعة أردمشت المعروفة بقلعة (كواشي) أيضاً وقلعة الزعفران [1] . وضاقت الأقوات على معز الدولة فلحق بناصر الدولة وهو بنصيبين واستخلف على الموصل سبكتكين الحاجب الكبير . ولما بلغ ناصر الدولة ذلك فر الى أخيه سيف الدولة في حلب وأقام عنده فسعى سيف الدولة في الصلح بينه وبين معز الدولة ورجع ناصر الدولة الى الموصل في أوائل سنة ٣٤٨ هـ وهدأت الأمور خمس سنوات كان ناصر الدولة خلالها يؤدي الضمان الى معز الدولة . وفي سنة ٣٥٣ هـ تخلف عن إرسال المال لأنه طلب من معز الدولة أن يجعل أمر الموصل من بعده الى ابنه أبي تغلب فضل الله المعروف بالغضنفر فلم يجبه الى ذلك فرفض إرسال المال اليه . ولما شعر ناصر الدولة بزحف معز الدولة اليه ترك الموصل كعادته الى نصيبين فدخل معز الدولة الموصل وأمّر عليها أبا العلاء صاعد بن ثابت وسار الى نصيبين فلما قاربها فارقها ناصر الدولة فرجع معز الدولة الى الموصل لأنه علم أن أبا تغلب قصد الموصل وحارب من بها وأحرق السفن في ساحلها

(١) انظر ابن خلكان ١ / ١٤٠ وابن الأثير في هذه السنة .

وكاد أن يتغلب عليها ، ولكنه فشل فتجمع ناصر الدولة وأولاده جميعاً وساروا نحو الموصل يقصدون أبا تغلب فدخلوها وأسروا أبا العلاء وسبكتكين وبكتوزون وملكوا كل مال معز الدولة وسلاحه ؛ لهذا قصد معز الدولة الموصل ففر بنو حمدان لما سمعوا بعودته واستمرت هذه الفتنة طويلاً حتى صالح أبو تغلب معزّ الدولة على مال قرره وعلى أن يطلق ما عنده من الأسرى ففعل .

منذ ذلك الحين استراح بنو حمدان من قتال الغرباء ولكنهم جعلوا بأسهم بينهم فتجالدوا بالسيوف وأذاقوا البلاد شتى ألوان العسف والظلم ففي سنة ٣٥٦ هـ قبض أبو تغلب على أبيه ناصر الدولة وحبسه في قلعة أردمشت مدعياً أن أباه أصيب بفساد في عقله لتضييقه على أبي تغلب وإخوته ومخالفته إياهم فيما يرون من ضروب السياسة ، وكان فيما خالفهم فيه أنه لما مات معز الدولة بن بويه عزم أولاد ناصر الدولة على قصد العراق وأخذه من بختيار بن معز الدولة فنهاهم وحذّرهم سوء المغبة وقال لهم فيما قال : « إن معز الدولة خلّف أموالاً يستظهر بها ابنه فاصبروا حتى يتفرّق ما عنده ثم اقصدوه وفرّقوا الأموال في الجند والناس فإنكم تظفرون به لا محالة » فلم يعجب هذا القول أبا تغلب فأراد حبس أبيه فاختلف هو وإخوته في ذلك ثم تغلب عليهم لأنه كان أدهاهم فوثب على أبيه ورفعه الى القلعة ووكل به من يقوم بخدمته وحاجاته ، وانتثر أمر بني حمدان من يومئذ وصار قصاراهم حفظ ما في أيديهم ، ثم انعكس الأمر فأصبح أبو تغلب محتاجاً الى مداراة بختيار بن معز الدولة البويهي وتعهد له بأن يدفع اليه ضمان البلاد ألفي ألف ومائتي ألف درهم . وفي سنة ٣٥٨ هـ عظم الخلاف بين أولاد ناصر الدولة الحمداني ولقي الناس منهم بلاءً عظيماً واضطربت البلاد وهاجر العلماء والأغنياء وأرباب الصناعات وانتهى الأمر بأن استقر أبو تغلب في الموصل وما اليها وهدأت الحالة نحواً من خمس سنوات . وفي سنة ٣٦٣ هـ سار بختيار البويهي الى الموصل فاضطرب أمرها ثم دخلها وطارد أهلها وأخذ أموالهم ، ولكن أبا تغلب

عاد بجمع جموعه وطرده ففرح الموصليون بذلك فرحاً عظيماً كما يحدثنا بذلك ابن الأثير الموصلي ·

وفي سنة ٣٦٧ هـ قصد بختيار الشام ومعه حمدان بن ناصر الدولة الذي حسّن له أخذ الموصل من أخيه أبي تغلب لكثرة أموالها وفخامة مركزها وأطمعه فيها وانها خير من الشام وأسهل وأقرب فرضي بختيار أن يقدم على ذلك وسار نحوها وكان عضد الدولة البويهي قد حلّفه ألاّ يقصدها فنكث بيمينه وقصدها ، ولما بلغ الخبر أبا تغلب كتب الى بختيار يعاتبه وطلب منه أن يقبض له على أخيه حمدان وأنه اذا فعل ذلك سار هو معه الى قتال عضد الدولة فبلغ ذلك عضد الدولة فسار الى الموصل وتملكها ، وظن أبو تغلب أنه يفعل كما كان يفعل غيره ، أي انه يقيم يسيراً ثم يضطر الى المصالحة ويعود ، وكان عضد الدولة حازماً اذا قصد بلداً لم يتركه حتى يوطّد أمره فيه فانه لما قصد الموصل حمل معه اليها الميرة والعلوفات ومن يعرف أعمالها ويقوم بكتاباتها واخراجها فأقام بالموصل مطمئناً وأرسل السرايا في طلب الأمان · وهكذا انتهى ملك الحمدانيين في الموصل [1] ، وانتقلت الى بني بويه يولون عليها من يريدون حتى استقر أمرها في أواخر هذا القرن الى بني عقيل ·

هذه نظرة مجملة الى تاريخ العراق أو بالأحرى الموصل في قرن لم تهدأ فيه الفتن بل كانت تتوالى عليه فتخرّبت المساجد وتهدّمت الأسواق والقصور والدور ، وكسدت سوق العلم والعلماء فلم ينبغ في تلك الديار نابغ ، وهجرها كثير من رجال الأدب الى غيرها طلباً للهدوء والسكينة أو الرزق والطمأنينة ، وليست الحروب وحدها هي التي أقضت مضاجع الموصليين وجيرانهم بل كانت الفتن الأهلية جد كثيرة أيضاً وقلّما خلت سنة من ثورات داخلية أو حروب أهلية ؛ ففي سنة ٣٠٧ كانت فتنة عظيمة في الموصل وأعمالها بين باعة الطعام وبين

(١) انظر عاقبة أمر أبي تغلب في تاريخ ابن خلكان ١ / ١٤١ ·

الأساكفة ، واحترق سوق الأساكفة بما فيه ، وكان الوالي خارجاً عن المدينة فسمع بالفتنة فرجع ليوقع بالثائرين فحصنوا البلد وسدوا الدروب فلما رأى ذلك ترك قتالم وأمر من التف حوله من أعراب البادية أن يخربوا الأعمال ويقطعوا الطرقات ويهدموا الجسور فخربت المدينة وبلغ الخبر الى الخليفة فعزله وكان الأمير آنئذٍ العباس بن محمد فاستبدل به عبد الله بن محمد وكان هذا عفيفاً صارماً فاستقرت الأمور به .

وفي سنة ٣٠٧ أيضاً ثارت فتنة كبرى بين الموصليين وبين الأكراد الماردانية ولم تهدأ حتى أرسل الخليفة الحاجب محمد بن نصر فهدأها وأعاد السكينة الى ربوعها . وفي سنة ٣١٠ وقعت الفتنة الكبرى بين أصحاب الطعام ثانية وبين أهل المربعة والبزازين فظهر أصحاب الطعام على أولئك أول النهار ثم انضم الأساكفة الى أهل المربعة والبزازين فاستظهروا بهم وقهروا أصحاب الطعام وهزموهم وأحرقوا أسواقهم ، وتتابعت الفتنة بعد هذه الحادثة كما يحدثنا ابن الأثير واجترأ أهل الشر وتعاقد أصحاب الخلقان والأساكفة على أصحاب الطعام فهزموا الأساكفة ومن معهم وأحرقوا سوقهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وركب أمير الموصل ناصر الدولة الحسن بن عبد الله الحمداني ليسكن الناس فلم يسكنوا ولا كفوا ثم دخل بينهم ناس من العلماء وأهل الدين فأصلحوا بينهم .

ومن يقرأ تاريخ الموصل في هذه الفترة يعثر على أخبار كثيرة من مثل هذه الفتن ، والحق أن أمراء بني حمدان ما كانوا يهتمون بغير الحروب والقتال وجمع الأموال أما العمران والسهر على راحة الناس فشيء لا يعرفونه . وقد ظلت الموصل على هذه الفوضى في حياتها العلمية والعقلية والعمرانية حتى انتقل أمرها الى بني بويه ، ففي سنة ٣٧٩ يحدثنا ابن الأثير أن عضد الدولة شرع في عمارة بغداد والعراق عامة وكانت قد خربت بتوالي الفتن فعمر مساجدها وأسواقها وأدر الأموال على الأئمة والمؤذنين والعلماء والفقراء ، وألزم أصحاب

البيوت الخراب بعمارتها وأجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والشعراء والنسابين والأطباء والحسّاب والمهندسين ، وأذن لوزيره النصراني نصر بن هرون في عمارة البيع وإطلاق الأموال لفقرائهم [١] .

أما بعد فقد ظهر لك مما سبق أن العراق عامة والموصل خاصة مرت في تلك الفترة بآونة مزعجة مضطربة سواء في السياسة أو في العمران ، غير أن النشاط العلمي القوي الذي كان في القرنين السابقين قد استمر بالقوة الدافعة التي كان يسببها بعض الاستمرار ، وسترى في الفصل الآتي بعض مظاهر هذا الاستمرار وتعدد نواحيه .

* * *

سيرته

أبو الفتح عثمان بن كنّي [٢] أو جنّي الرومي الموصلي الأزدي مولاهم ، ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة [٣] ولا نعلم من أوليته شيئاً سوى ما يذكره الرواة

(١) ابن الأثير حوادث سنة ٣٧٩ .

(٢) يقول طاش كبري في مفتاح السعادة ج ١ ص ١١٤ إنه معرب (گنی) ، وكذلك نقل السيوطي في بغية الوعاة ص ٣٢٣ . أما الأستاذ بركلمان فيقول في كتابه (تاريخ الآداب العربية) G. A. L. ١ / ١٢٥ « وربما كان هذا الاسم آتياً من Gennaios گنايوس » أي انه تعريب لهذا الاسم اليوناني وقد حدثني المستشرق الأستاذ ماسينيون أنه ربما كان من (جيناريوس) يعني الشهر الأول من العام الميلادي لأنهم كانوا يسمون بهذا الشهر ايضاً . ولعل أصح الأقوال هو ما ذهب إليه الأستاذ بروكلمان لأن ذلك أقرب إلى التسمية والواقع .

(٣) اختلفت العلماء في سنة ميلاد ابن جني ؛ فأكثر القدماء يذهبون إلى أنه ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة ومن هؤلاء ابن خلكان في الوفيات ج ١ ص ٣١٤ ؛ وياقوت في الإرشاد ج ٥ ص ١٥ : وطاش كبري في مفتاح السادة ج ١ ص ١١٤ ؛ والسيوطي في البغية ص ٣٢٢ . ويقول بروكلمان في تاريخه الآداب العربية G. A. L. « إنه ولد قبل الثلاثمائة » وفي دائرة المعارف الاسلامية —

عنه من أن أباه كان مولىً رومياً (يونانياً) لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي [١] وانه نشأ في الموصل فتعلم بها ما شاء الله أن يتعلم ثم رحل الى بغداد فقرأ العربية على الإمام أبي علي الفارسي [٢] (— ٣٧٧) ولازم وقرأ القراءات والأدب واللغة على جماعة منهم أبو صالح السليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ [٣] وأبو اسحق ابرهيم بن أحمد القرميسيني [٤] وابو الحسين علي بن عمر بن عمرو [٥] وبندار بن عبد الحميد الكرخي [٦] وابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن [٧]

— « إنه ولد قبل الثلاثمائة » ويقول الأستاذ بروبستر Pröbster ناشر (كتاب المقتضب) في المقدمة ص ١٠ « إنه ولد حوالي سنة ٣٢٠ » . . . وهذا الرأي هو الذي اختاره زميلنا الأستاذ القصاص في رسالته عن ابن جني ص ٢ . فنحن أمام أقوال كثيرة وليس من شك في أن اضطراب المؤرخين المحدثين آتٍ من اضطراب القدماء ، ولعل خير مايقال في هذا الصدد انه ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة لأنه يذكر في الخصائص ج ١ ص ٧٦ « ان أبا علي الفارسي شيخه قد أنشده بالموصل سنة احدى وأربعين . . . » ومن المعقول جداً أن يكون في أواسط العقد الثاني على الأقل حين استماعه الى شيخه في هذه السن .

(١) انظر ياقوت في الارشاد ج ٥ ص ١٥ ، وابن خلكان في الوفيات ج ١ ص ٣١٣ . ويقول القصاص ص ٣ [ولم أعثر له على خبر في كتب التراجم] .

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٣١٣ .

(٣) انظر الخصائص ج ١ ص ٣٦٥ و ص ٣٩٢ من الطبعة الأولى فقد ذكر ابن جني ثمة نقولاً عن أبي صالح هذا . ولم أعثر على ترجمته وأغلب ظني أنه احد الأعراب الذين كانوا يفدون الى الحاضرة . وقد روى أبو صالح هذا كثيراً عن أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي (— ٣١٠) واخباره في ابن خلكان ١ / ٥٠٣ وبغية الوعاة ص ٥٠ .

(٤) نقل عنه في الخصائص ج ١ ص ٧٧ ، وذكره ياقوت ج ٥ ص ٢٠ ولم أعثر على أخباره .

(٥) ذكره في الخصائص ج ١ ص ٨٢ ولم أعثر على شيء من خبره .

(٦) ذكره في الخصائص ج ١ ص ٢٥٣ وترجمته في البغية ص ٢٠٨ وطبقات الزبيدي المحفوظة في خزانتنا ص ٢٦ ورقم ١٤٨ .

(٧) أكثر من النقل عنه في الخصائص ج ١ الطبعة الأولى وخصوصاً في الصحائف ١٠٢ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٤١٠ وذكره في سر الصناعة ص ١١٣ وترجمته في المنتظم ٦ / ٢٦١ .

وابو بكر جعفر بن محمد بن الحجاج [١] وابو سهل احمد بن محمد القطان [٢] وابو العباس احمد بن محمد الموصلي الأخفش الثاني [٣] وابو الفرج الاصفهاني علي ابن الحسين [٤] وابو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم [٥] وابو بكر محمد بن هرون الروماني [٦] ، ومحمد بن سلمة [٧] . كما أخذ عن جماعةٍ من الأعراب الفصحاء الذين كانوا يردون الحواضر ومنهم محمد بن العساف الشجري الجوثي التميمي [٨] قد استشهد ابن جني بأقواله ومسائله في كثير من كتبه [٩] ومنهم ابو صالح السليل الذي تقدم الحديث عنه .

رحل ابن جني في سبيل العلم الى أنحاء العراق والشام وغيرهما من الأمصار كما ذكر ذلك في الإجازة التي كتبها عام ٣٨٤ لأبي عبد الله الحسين بن احمد ابن نصر والتي حفظ لنا نصها ياقوت في معجمه [١٠] .

وليس من شك في أن أكثر شيوخه تأثيراً فيه هو أبو علي الفارسي إمام وقته في النحو والصرف [١١] والرواة يذكرون قصةً عن اتصال ابن جني بأبي عليّ وشدة تعلقه به ، ولا أرى بأساً من إيرادها لما فيها من الطرافة ، فقد ذكرها ياقوت فقال : « وحدثت أنه صحب أبا علي الفارسي أربعين سنة وكان السبب

---

(١) الخصائص ج ١ ص ٣٩١ ولم أعثر على شيء عنه .
(٢) المبهج ص ٢٦ وسر الصناعة ص ٢٦٣ ، ٤٤٧ وانظر ترجمته في المنتظم ٧ / ٣ .
(٣) بغية الوعاة ص ١٧٠ .
(٤) سر الصناعة ص ٦٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .
(٥) نقل عنه في سر الصناعة ص ١٧٦ ، ٦٣٥ .
(٦) نقل عنه في الخصائص ١ / ٧٧ .
(٧) انظر سر صناعة الاعراب ، المطبوع ١ / ٣٥ .
(٨) انظر الخصائص ج ١ ص ٧٨ .
(٩) انظر معجم ياقوت ج ٥ ص ٢٠ .
(١٠) انظر معجم ياقوت ج ٥ ص ٢٥ .
(١١) انظر ابن خلكان ج ١ ص ١٣١ ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٣٨ .

في صحبته له أن أبا علي اجتاز بالموصل فمر بالمسجد الجامع وأبو الفتح في حلقة يقرئ النحو وهو شاب فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصّر فيها فقال له أبو علي زببت قبل أن تحصرم، فسأل عنه فقيل له هذا أبو علي الفارسي فلزمه من يومئذ واعتنى بالتصريف [١] » .

قلت ويظهر أن هذه القصة مصنوعة لأن ابن خلكان يرويها على شكل آخر فيقول : « ... قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي وفارقه وقعد للإقراء بالموصل فاجتاز بها شيخه فرآه في حلقة والناس حوله يشتغلون عليه فقال له : تزببت وأنت حصرم .. » [٢] .

فالفرق بين الروايتين يظهر من وجوه ثلاثة :

أولاً — أن الرواية الأولى تذكر أن ابن جني ما كان يعرف أبا علي لما وقف عليه في الحلقة ، والرواية الثانية تنص على أنه كان يعرفه بل تزعم انه كان تلميذه .

ثانياً — يذكر ابن جني في كتابه الخصائص « .. إن أبا علي أنشده بالموصل سنة إحدى وأربعين ... [٣] » ونحن نعرف أن ابن جني قد ولد حول الثلاثين والثلاثمائة فعلى هذا يكون عمر ابن جني في سنة إحدى وأربعين نحواً من اثنتي عشرة سنة وما يجوز عقل أن انساناً له هذا العمر يرحل في طلب العلم قبل هذه السن من الموصل الى بغداد ثم يعود ويحلق حلقة يعلم فيها النحو ؟ ؟

ثالثاً — جرت عادة المترجمين من المتقدمة أن يختلقوا قصصاً وروايات يعللون بها أسباب انصراف هذا الطالب الى ذاك العالم أو هذا الشيخ

(١) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٥ .
(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٣١٣ .
(٣) الخصائص ج ١ ص ٧٦ .

فيخترعون لذلك قصصاً ينسجها خيالهم . وأنا أرى أن قصة الزبيب والحصرم من هذا النوع ابتدعه مترجمو ابن جني ليبينوا سبب تعلق ابن جني بالصرف أولاً وبشيخه أبي علي ثانياً .

وكان أبو الفتح شديد الحب لشيخه كثير الإعجاب به مكبراً علمه وعقله ، وقد ذكر الرواة أن ابن جني ثقة حجة فيما ينقل عن شيخه الفارسي [1] وقد أكثر من النقل عنه في كتبه ، وإن ما بقي بأيدينا من كتبه مثل سر الصناعة ، والخصائص ، والمبهج ، والمحتسب ، والتنبيه ، كله مملوء بأقوال أبي علي والاعتماد عليها ، والترجيح بها .

ويظهر أن أبا الفتح كان شديد التعلق بشيخه فقد كان يتنقل معه أينما رحل ويحل حيث حل ؛ ذكر في الخصائص أن أبا علي حدثه بالشام عن مسألة ... [2] وذكر الذهبي : أنه لزم أبا علي وتبعه في أسفاره حتى أحكم العربية [3] فكانا لا يكادان يفترقان ، فأقاما معاً في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب ، وفي بلاط عضد الدولة البويهي في إيران .

وكان ابن جني أيضاً شديد الإيمان بسعة علم شيخه ، وقوة قياسه ومعرفته بالتصريف خاصةً ، حتى إن التصريف أصبح همه لا يعتاقه عنه ولد ولا يعارضه فيه متجر وهاك بعض كلامه يؤيد ما قلناه :

« ... سألني أبو علي رحمه الله عن ألف (يا) من قوله فيما أنشده أبو زيد :

فخيرٌ نحنُ عندَ الناسِ منكُمْ إذا الدّاعي المثوّبُ قالَ يالاَ

فقال أمنقلبة هي ؟ قلت لا ، لأنها في حرف أعني (يا) قال بل هي منقلبة فاستدللته على ذلك فاعتصم بأنها قد خلطت باللام بعدها ووُقف عليها فصارت

(١) المزهر ج ١ ص ١٧٥ .
(٢) الخصائص ج ١ ص ١٣٧ .
(٣) تاريخ الذهبي حوادث سنة ٣٩٢ .

اللام كأنها جزء منها فصارت (يال) بمنزلة (قال) والألف في موضع العين وهي مجهولة فينبغي أن يحكم عليها بالانقلاب عن الواو ، وهذا أجمل ما قاله ولله هو وعليه رحمته ، فما كان أقوى قياسه وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه ، فكأنه إنما كان مخلوقاً له ، وكيف لا يكون كذلك وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة زائحةً علله ساقطةً عنه كلفه ، وجعله همّه وسدّمه لا يعتاقه عنه ولد ولا يعارضه فيه متجر ، ولا يسومُ به مطلباً ، ولا يخدم به رئيساً ، إلاّ بأخرةٍ ، وقد حطّ من أثقاله ، وألقى عصا ترحاله ، ثم إني — ولا أقول إلاّ حقاً — لأعجب من نفسي في وقتي هذا كيف تطوع لي بمسألة ؟ أم كيف تطمح بي الى انتزاع علة ؟ مع ما الحالُ عليه من عُلَق الوقت وأشجانه ، وتذاؤبه وخلج أشطانه ، ولولا معازّةُ الخاطر واعتناقه ، ومساورةُ الفكر واكتدارُه ، لكنت عن هذا الشأن بمعزل وبأمرٍ سواه على شغل (١) » .

فنحن نرى في هذا النص شدة إعجاب ابن جني بشيخه كما نرى فيه إعجابه بنفسه من انصرافه الى هذا النوع من البحث مع ما هو عليه من سوء الحال ، ولكن ذلك كله أتاه من تشجيع شيخه الذي كان يرى فيه المثل الأعلى للعالم المدقق والباحث المنصرف الى طلب العلم والحقيقة .

ويظهر أن انصراف ابن جني الى أبي علي وشدة تعلقه به وانقطاعه اليه لم يؤثر في علمه ومذهبه في البحث فحسب ، ولكن أثر أيضاً في عقيدته ومذهبه في الدين ؛ فان أبا علي كان من كبار شيوخ المعتزلة ، قال ياقوت في ترجمة محمد بن طوس القصري : « .. هو من النحويين المعتزلة أحد تلاميذ أبي علي الفارسي » (٢) .

(١) الخصائص ج ١ ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ الطبعة الأولى .
(٢) انظر بغية الوعاة ص ٥٠ ، وابن خلكان ج ١ ص ١٣٢ ، والمزهر ج ١ ص ٦ .

وهذه العبارة تدلنا على أن النحويين المعتزلة كان يتتلمذون على أبي علي أو بعبارة أصح تدلنا من وراء سطورها على أن أبا علي كان يُحبّب الى تلاميذه في النحو والعربية مذهب الاعتزال لما له من صلة بالمنطق (١) .

ثم إنا حين ندقق في آثار ابن جني نرى فيها روح الاعتزال قوية فانه في كل آثاره وبخاصة في (الخصائص) و (سر الصناعة) يكثر من تحكيم العقل وطرد الأقيسة وحبّ المجادلة التي تماشي العقل والمنطق ، وإنك لتقرأ الفصول الأولى من كتابه (الخصائص) فيخيّل اليك أنك تقرأ أبحاثاً منطقية لا مناقشات صرفيةّ أو لغويةّ ؛ انظر مثلاً الى قوله في (سر الصناعة) حيث الكلام على الصفات :

« ... وليس يريد النحويون بالصفة ما يريد المتكلمون بها من نحو القدرة والعلم والسكون والحركة لأن هذه الصفات غير الموصوفين بها ، ألا ترى أن السواد غير الأسود ، والعلم غير العالم والحركة غير المتحرك وإنما الصفة عند النحويين هي النعت ... (٢) » .

أفلا تنظر في هذا رأي المعتزلة في صفات الخالق سبحانه .

وقد ظلّ أبو الفتح ملازماً أستاذه الفارسي في بغداد وفي رحلاته العلمية الى أن مات الشيخ في ربيع الآخر أو الأول من سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فحل محله والتفّ تلاميذُ أبي علي حول زميلهم وخليفة شيخهم حتى أصبح إمام بغداد وحجتها غير مدافع ، كما أصبح مرجع العالم الإسلامي في علوم العربية .

وقد تقلد أبو الفتح بعض مهام الدولة فكتب لسيف الدولة بن حمدان

---

(١) المجلة (? !) .

(٢) سر الصناعة مخطوطتنا ٢٩ وانظر أيضاً كتاب الخصائص ج ١ ص ٢٣ من الطبعة الأولى .

صاحب حلب ، كما كتب لعضد الدولة الديلمي صاحب المشرق [١] والتقى بأبي الطيب المتنبي عندهما فقويت أواصر الصلات بينهما وكان المتنبي يحبه ويعجب بذكائه ويقول فيه : « أبو الفتح هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس » وسئل المتنبي مرة بشيراز عن معنى قوله في مخاطبة أبي شجاع :

وكان ابنا عدوٍ كاثراه له ياءي حروف انيسيان

فقال : لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره [٢] » .

وروى ياقوت : أن أبا الفتح بن جني كان بحلب يحضر عند المتنبي الكثير ويناظره في شيء من النحو من غير أن قرأ عليه ديوان شعره إكباراً لنفسه عن ذلك [٣] .

ولما كان أبو الفتح في بغداد اتصل بالشريف الرضي محمد بن حسين العلوي وقد فسر له بعض قصائده [٤] كالقصيدة التي رثى بها أبا طاهر بن ناصر الدولة

---

(١) انظر ياقوت ج ٥ ص ١٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية في ترجمته وذكر الصابي في كتاب تاريخ الوزراء « انه خدم عضد الدولة وصمصام الدولة وشرفها وبهاءها اه » ج ٨ ص ٤١٧ وكذلك ذكر الذهبي في تأريخه في حوادث سنة ٣٩٢ .

(٢) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٧ وتفسير البيت ان كلمة (انسان) مركبة من خمسة حروف فلما صغرت صارت مركبة من سبعة فازدادت الحروف وصغر المعنى . فهو يقول لأبي شجاع ان عدوك الذي يكاثرك بولديه لا يؤبه له لأن مثله مثل (انسان) اذا صغرتها .

(٣) معجم ياقوت ج ٥ ص ١٦ ، تاريخ الوزراء للصابي ج ٨ ص ١٤٧ .

(٤) معجم الأدباء لياقوت ج ٥ ص ٢٠ — ٢٢ وقد اختلف العلماء في قراءة ابن جني على أبي الطيب شعره والصحيح أنه قرأه عليه كما يقول ابن خلكان وكما يقول هو نفسه في شرحه الديوان :

كنت قرأت ديوان أبي الطيب عليه فقرأت عليه قوله في كافور :

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة ولا أشتكي فيها ولا أتعتب

وبي ما يذود الشعر عني أقله ولكن قلبي يابنة القوم قلب

فقلت له : يعز علي كيف يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة فقال : حذرناه وأنذرناه .

والتي أولها :

ألقي السلاحَ ربيعة بن نزارِ أودى الردى بقريعك المغوارِ (١)

وكالقصيدة التى رثى بها الصاحب بن عباد وأولها :

أكذا المنون تقنطر الأبطالا أكذا الزمان يضعضع الاجبال (٢)

وكالقصيدة التي رثى بها الصابي وأولها :

أعلمت من حملوا على الأعوادِ أرأيت كيف خبا ضياءُ النادي (٣)

وقد شكره الشريف على ذلك ومدحه بقصيدةٍ أولها :

أراقب من طيف الحبيب خيالا ويأبى خيال أن يزور خيالا (٤)

وهي في خمسة وثلاثين بيتاً أشاد فيها الشريف بمناقب صديقه أبي الفتح وعلمه وفيها يقول :

فدى لأبي الفتح الأفاضل إنه يبزُّ عليهم إن أرمَّ وقالا
إذا جرت الآدابُ جاء امامها قريعاً وجاء الطالبون إفالا
فتى مستعاد القول حسناً ولم يكن يقول محالاً أو يحيل مقالا
ليقري . أسماع الرجال فصاحة ويورد أفهام العقول زلالا
ويجري لنا عذباً نميراً وبعضهم إذا قال أجرى للمسامع آلا
... ولما رأيت الوفر دون محله جزاءً وقد أسدى يداً وأنالا
بعثت له وقراً من الشعر باقياً وكنزاً من الحمد الجزيل ومالا
فسم آخراً منه كوسمك أولاً وشنْ عليه رونقاً وجمالا
ومثلك إن أولى الجميل أتمه وإن بدأ الإحسان زاد ووالى

(١) ديوان الشريف الرضي ج ١ ص ٣٧٨ .
(٢) ديوان الشريف الرضي ج ٢ ص ٦٧٠ .
(٣) الديوان ج ١ ص ٢٩٤ .
(٤) الديوان ج ٢ ص ٦٤٠ .

وكأنه في البيت الأخير والذي قبله يطلب منه أن يفسر ديوانه كله كما صنع بشعر أبي الطيب ولكنّ أبا الفتح لم يفعل ذلك .

ولما مات الشيخ أبو الفتح اشتدّ حزن صديقه الشريف الرضي عليه وصلى عليه ورثاه بقصيدة من أجود شعره في نحو من سبعين بيتاً قال فيها (١) :

ألا يا لقومي للخطوب الطوارق ... وللعظم يرمى كل يوم بعارق

وللدهر يُمري جانبي من أقاربي ... ويقطع ما بيني وبين الأصادق

ومنها : يذكر بلاغته وفهمه لدقائق المعاني وقد أجاد :

فمن لأوابي القول يبلو عراكها ... ويحذفها حذف النبال الموارق

إذا صاح في أعقابها اطَّردت له ... ثواني بالاعناق طرد الوسائق

وسوّمها ملس المتون كأنها ... نزائع من آل الوجيه ولاحق

... ومن للمعاني في الأكمة ألقيت ... الى باقر غيبَ المعاني وفاتق

يطوّح في أثنائها بضميره (٢) ... مريرَ القوى ولاّج تلك المضائق

تسنّم أعلى طودها غير عاثر ... وجاور أقصى دحضها غير زالق

طوى منه بطن الأرض ما تستعيده ... على الدهر منشوراً بطون المهارق (٣)

ومنها : يذكر خالص وفائه وصداقته وشرف نفسه وسمو أخلاقه :

مضى طيب الاردان يأرج ذكره ... أريج الصبا تندى لعرنين ناشق

كأن جميع الناس أثنوا عشيةً ... على بعض أمطار الربيع المغادق

وما احتاج برداً غير برد عفافه ... ولا عرف طيب غير تلك الخلائق

وفارقني عن خلة غير طرقة ... تضمنها صدر امرىء غير ماذق

تروّق ماء الود بيني وبينه ... وطاح القذى عن سلسل الطعم رائق

فما العهد مني إن لهوت بثابت ... ولا الود مني إن سلوت بصادق

(١) الديوان ج ١ ص ٥٦٢ .

(٢) لعلها « ببصيرة » .

(٣) « الورق والصحائف » .

فما أصدق هذه العاطفة وأكرم هذا الرثاء من الشريف الرضي في أبي الفتح . ولا عجب فان أبا الفتح لم يكن صديق الشريف فحسب ولكنه كان أستاذه وهو الذي خرّجه في الشعر على طريقة أبي الطيب المتنبي كما يذكر ذلك الأستاذ ميتس Mez (١) .

[وبعد] فقد ظلّ أبو الفتح يعلّم الناس ويؤلف ويرحل في طلب العلم إلى أن أدركه الأجل يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة للهجرة وهي الليلة الموافقة لليلة السادسة عشرة من (كانون الثاني) سنة ١٠٠٢ ميلادية (٢) بعد أن خرّج جمهرة لا تحصى من الفحول منهم أولاده الثلاثة عليّ (٣) ؛ وعلاء (٣) ؛ وعالٍ (٤) ؛ وكلهم أديب فاضل محسن « قد خرّجهم وحسّن خطوطهم فهو معدودون في الصحيحي الضبط وحسن الخط » (٥) . ومن خير تلاميذه : محمد بن عبد الله بن شاهويه (٦) وعلي بن زيد القاشاني (٧) والثمانيني عمر بن ثابت (٨) والأمير الشاعر عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان

---

(١) انظر كتاب الأستاذ ميتس Mez ص ٢٢٦ . والذي نراه أن ميتس يغالي في نظريته فان شعر أبي الطيب في واد وشعر الشريف في واد ، ولو كان الشريف يعجبه شعر أبي الطيب .

(٢) هكذا ذكر ابن خلكان ج ١ ص ٣١٣ وهو رأي جمهور من ترجمه وأما ابن الوردي فقد ذكر في تاريخه ج ١ ص ٣١٧ نقلاً عن المهذب المري في تاريخه أنه مات سنة ٣٩٠ وقال إن هذا أصح لقرب عهده بابن جني وذكر الخطيب البغدادي أنه مات سنة ٣٩٣ كما في ج ١١ ص ٣١١ .

(٣) لم أعثر على ترجمتها .

(٤) ذكره في البغية ص ٢٧٤ وقال كان مثل أبيه حسن الخط ومات سنة ٤٥٧ .

(٥) ياقوت ج ٥ ص ٢٢ .

(٦) البغية ص ٥٣ .

(٧) البغية ص ٣٣٨ وياقوت ٥ / ٢٠٧ .

(٨) البغية ص ٣٦٠ وياقوت ٤ / ٢٣٨ .

الخفاجي الأديب الناقد المؤلف (— ٤٦٦) (١) صاحب سر الفصاحة الذي اعتمد فيه على آراء شيخه وأقواله في الفصاحة ، وعبد السلام بن الحسن بن محمد ابن البصري (٢) وعلي بن عبيد الله بن عبد الغفار الشمسي (٣) وأبو عبيد الله الحسن بن احمد بن احمد بن نصر (٤) وثابت محمد الجرجاني الأندلسي (٥) وغيرهم . ويذكر القفطي في انباه الرواة على انباه الرواة في ترجمته : «وخدم أبو الفتح عثمان بن جني بيت آل بويه في عهد عضد الدولة وولده صمصام الدولة وولده شرف الدولة وولده بهاء الدولة الذي مات في عهده وكان ملازمهم في دورهم» فهذا يدل على أن هؤلاء الأمراء العظام كانوا يغترفون من بحره ويفيدون من علمه وانهم قد تتلمذوا عليه .

(يتبع) الدكتور محمد أسعد طلس

(١) فوات الوفيات ١ / ٢٩٨ ، واعلام النبلاء ٤ / ٢٠٣ .
(٢) البغية ص ٣٠٥ .
(٣) ياقوت ج ٥ ص ٢٣ والبغية ص ٣٤٣ .
(٤) ياقوت ج ٥ ص ٢٢ .
(٥) ياقوت ج ٢ / ٣٩٨ .

التعريف والنقد

تلخيص البيان في مجازات القرآن

تصنيف الشريف الرضي

تحقيق محمد عبد الغني حسن

هذه هي المرّة الأولى التي طبع فيها كتاب : تلخيص البيان في مجازات القرآن لصاحبه الشريف الرضي ، وقد جاء الأستاذ محمد عبد الغني حسن في مقدمة الكتاب بالأدلة القاطعة على صحة نسبته الى الشريف الرضي وكان تحقيقه قائماً على جهد ظاهر فهو لم يجازف به مجازفة .

إلاّ أن المقدمة لم تشتمل على هذا الأمر وحده وإنما اشتملت على أمور ثانية بارعة مثل الإشارة الى قيمة الكتاب العلمية والأدبية والى القراءات فيه والى منزلته بين كتب التفسير والى عصر الشريف والحياة الأدبية فيه والى أشياء ثانية تتصل بالشريف الرضي .

ولكنني أحبُّ أن أنتخب من هذه الأمور كلها أمراً واحداً وأعني به إشارة الأستاذ محمد عبد الغني حسن الدقيقة الى إعجاز القرآن في ألفاظه وأساليبه ومعانيه والى مسالكه اللطيفة وغرائبه العجيبة في التعبير ونكته البلاغية الخفية والظاهرة وأسراره واستعمالاته ومجازاته واستعاراته ومقاصده وغير ذلك مما يكشف لنا عن مقدار تقدير الأستاذ المومأ اليه لروح القرآن .

أما الكتاب نفسه : تلخيص البيان في مجازات القرآن فلم يؤلف مثله في هذا الغرض على نحو ما ذكر ذلك الأستاذ المحقق ، فالشريف الرضي خطا أوّل

خطوة في التأليف في مجازات القرآن واستعاراته تأليفاً مستقلاً بذاته ولم يأتِ تأليفه عَرَضاً في خلال كتاب أو في خلال باب من أبواب مصنَّف من المصنَّفات ، وإنما بدأ بتأويل مجازات القرآن وتوضيح أساليبه والكشف عن أسرار البلاغة فيه وتحليل استعاراته متناولاً في هذا كله سورة سورة من القرآن بحسب الترتيب .

هذا كُلُّه فصَّله لنا الأستاذ محمد عبد الغني حسن تفصيلاً دلنا على عنايته بأسرار القرآن وعلى حسن ذوقه لبلاغته ولا شك في أن في انصرافه الى تحقيق كتاب الشريف الرضي ووضع مقدمته وترتيب فهارسه فائدة جليلة فالقرآن يقرأ المسلمون كل يوم آيات كثيرة منه ويسمعون هذه الآيات من دور الإذاعات ويشهدون تدريسه في المدارس والجامعات وعلى الرغم من هذا كله لم نصل بعدُ الى إدراك أسراره على الوجه الأكمل فلم نذق بلاغته الذوق كله ولم نحط بعبقريته الإحاطة كلها فكثيراً ما نمرُّ بآية من آياته الكريمة فلا نشعر بمحاسنها إلاّ من ناحية أو من ناحيتين فاذا خلصنا إلى إدراك معناها جملةً فلا نخلص الى إدراك أسرار بلاغتها واذا خلصنا الى إدراك هذه الأسرار فلا نكاد نخلص الى الصلات بين ألفاظها وأظن أن ضرب مثل من الأمثال يوضح هذا الكلام .

قال الشريف الرضي :

وقوله سبحانه : بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون . وهذه استعارة لأن حقيقة القذف من صفات الأشياء الثقيلة التي يُرجم بها كالحجارة وغيرها فجعل ، سبحانه ، إيراد الحق على الباطل بمنزلة الحجر الثقيل الذي يرضّ ما صكَّه ويدفع ما مسَّه ، ولما بدأ تعالى بذكر قذف الحق على الباطل وفّى الاستعارة حقَّها وأعطاها واجبها فقال سبحانه : فيدمغه ، ولم يقل فيذهبه ويبطله لأن الدمغ إنما يكون عن وقوع الأشياء الثقال وعلى طريق

الغلبة والاستعلاء. فكأن الحق أصاب دماغ الباطل فأهلكه والدماغ مقتل ولذلك قال سبحانه من بعد : فاذا هو زاهق والزاهق : الهالك .

هذا مثل من أمثال الكلام على الاستعارة في كتاب الشريف الرضي انتخبته عرضًا فقد نستطيع أن نحيط بظاهر معنى الآية وأن ندركه لأول وهلة ولكننا لا نستطيع الوصول الى باطن المعنى إلاّ بعد إعمال الفكر أي لا نستطيع أن نصل الى الصلة بين القذف بالحجارة والقذف بالحق إلا بعد أن نفهم الصلة المعنوية بين هاتين الصورتين فاذا فهمنا هذه الصلة تجلت لنا القدرة في صب اللفظ في موضعه وفي التنسيق بينه وبين أخيه وفي النسبة بين صورة الحقيقة وصورة المجاز واذا تجلت لنا هذه القدرة نعمنا حينئذٍ بذوق البلاغة والوقوف على أسرارها وعلى غير هذا الشكل لا يمكن أن نفهم القرآن ولا أن نتمتع من إعجازه .

فاذا شكرنا للأستاذ محمد عبد الغني حسن جهده في تحقيق كتاب الشريف الرضي وفي وضع مقدمة له وفي إفاضته في الذي أفاض فيه في هذه المقدمة مما يطول بسطه في هذا المقام فنحن نشكر له هذا الشكر لأنه مهّد لنا سبيلاً الى الاطلاع على كتابٍ نقوّم به أذواقنا في البلاغة ونفقه به مداركنا في معرفة الألفاظ وأسرارها ونقوّي به فهمنا لأكبر مصدر من مصادر البلاغة في لغة العرب .

نوابغ الفكر العربي

بديع الزمان الهمذاني

بقلم مارون عبود

حقاً إن هذه السلسلة التي وضعتها دار المعارف في مصر وسمتها : نوابغ الفكر العربي تمهد السبيل الى الاتصال برجال الأدب والفكر في القديم والحديث ، فانها تشتمل على خلاصة ما يصوّر كاتباً من الكتّاب أو شاعراً من الشعراء أو مفكراً من المفكرين فاذا تمت هذه السلسلة في يوم من الأيام فانها ستكون بمنزلة خزانةٍ للفكر العربي .

أقول هذا القول على شرط واحدٍ ، أن يكون واضع كل كتاب من هذه السلسلة قد أحاط بموضوعه من كل ناحية فلا يكاد يتفلت منه أفق من آفاقه ثم كثّف كلامه بعد هذه الإحاطة حتى يقول أكثر ما يمكن قوله في أقلّ ما يكون من البيان ، أما الذين يغيرون على مطوّلات الكتب فيمسخونها مسخاً ويسرقون أفكارها دون الإشارة الى كلّ سرقة في حاشية الصفحة مكتفين بذكر مصادرهم في الفهرست العام ، أما هؤلاء فانهم بعيدون عن أن يحققوا لدار المعارف ما ترمي اليه في وضعها سلسلة نوابغ الفكر العربي ولست أحب التصريح بالأسماء في هذا المقام وانما أكتفي بالتعريض .

أحمد الله على أن الأستاذ مارون عبود ليس من هذه الطبقة التي لم تنعم بانفراد الفكر واستقلال العقل وإنما الأستاذ من الذين يحترمون أنفسهم ويثقون بأذواقهم ويعتمدون في الكتابة على أفهامهم وعلى دقة هذه الأفهام ، لقد وضع كتابه : بديع الزمان الهمذاني بعد أن محّص هذا العبقري كل تمحيص بنظره الثاقب وفهمه الشامل .

جرى في كتابه على الأصول المتبعة في سلسلة نوابغ الفكر العربي فأنشأ ثلاثة فصول : عصر بديع الزمان ، بديع الزمان في عصره ، جوانب بديع الزمان ، وبسط في فصل من هذه الفصول الثلاثة ما للبديع من صلة بعصره وما للعصر من صلة بالبديع ، فاذا تكلم على حالة اجتماعية في العصر الذي عاش فيه البديع فلا يخلو كلامه من الإشارة الى تفاعل العصر وآثار الهمذاني ، لقد عاش البديع في عصر ظهرت فيه آثار الاستبداد والغرق في النعيم كما ظهرت آثار الفقر والظلم فلم يغفل الأستاذ مارون عبود عن الإشارة الى أن رسائل الهمذاني كانت صورة هذه الحالة الاجتماعية وهذه هي فائدة تصوير عصر الأديب ولولا هذه الصلة بين الأديب وبين عصره لما كان لذكر الحالات الاجتماعية أو السياسية معنى من المعاني ، فالأستاذ مارون عبود لم يهمل ذكر هذا كله ولقد ذكره في أوجز عبارة دون شيء من الإضجار .

ثم اذا أفاض في ترجمة البديع ذكر الصلة بين حياته وبين آثاره ولولا ذكر هذه الصلة لم يكن للترجمة قيمة ولقد علقت بذهني عبارة قالها بعض كتاب الانكليز في حق أديب من الأدباء فقد قال : اذا أردنا أن نفهم فنّ هذا الأديب لزمنا أن نعرف دقائق حياته ، فالأستاذ مارون عبود بسط ما بسط من دقائق حياة البديع ولكنه كان ماهراً في التنسيق بين هذه الدقائق وبين فنّ صاحبها .

ولما وصل الى فن البديع جاء بالكلام الذي يدل على فهم دقيق وعلى ذوق صالح فقد فطن قبل كل شيء الى أن آثار البديع كانت صورة حالات اجتماعية كما كانت آثاراً أدبية فقد صوّرت حالات البؤس وفساد الأخلاق والترف والنعيم في بعض الطبقات ويعجبني تنبيه الأستاذ على تأثير العصر في فن البديع فاذا نبّه على تأنق البديع في إنشائه نبّه في الوقت نفسه على أن مصدر هذا التأنق إنما هو تأنق العصر في النعيم والترف ، وضّح الأستاذ مارون عبود هذا

كلّه ووضّح خصائص فن البديع فتكلم على ميله الى الصناعة اللفظية والى السجع والإكثار من التشبيهات والاستعارات والكنايات وما يشابه ذلك ووازن بين فنّ البديع وفن الحريري موازنةً تدل على تعمق في الوقوف على أسرار الفن .

من خصائص البديع التهكم وقد ظللت أتتبع الأستاذ مارون عبود في كل كتابه لأصل الى آثار هذ التهكم حتى وصلت الى قوله في بعض المواضع : فهو يمجن ويمزح ويتهكم ... ولكني كنت أرجو أن يفرد الأستاذ لتهكم البديع سطوراً قليلة على نحو ما فعل في كلامه على مجامع نواحيه لأن التهكم في أدبنا غير كثير فاذا اهتدينا الى كاتب يميل الى هذا النوع فلا بأس باظهار صفات تهكمه فانا نعرف أن الجاحظ كان إمام المتهكمين ولكنا نعرف أيضاً أن تهكمه خبيث ولم يك مؤذياً فكنا نريد أن نعرف خصائص تهكم البديع واذا أردنا هذه المعرفة فلأنا نعيش في عصرٍ أصبح التهكم فيه أقوى سلاح لأنّ فيه مندوحة عن الشتم والقذف .

على أن مرور الأستاذ مارون عبود على هذه الناحية دون بسطها وشرحها لا يصرفنا عن توفيتنا إيّاه حقّ فضله وعن تهنئته بكتابه : بديع الزمان الهمذاني الذي دلّ على علمٍ وادب وفهم .

نظرة تاريخيــة
في حركة التأليف عند العرب

للدكتور أمجد الطرابلسي
الأستاذ في كلية الآداب

الشهادة الأولى في كلية الآداب في الجامعة السورية إنما هي شهادة الثقافة العامة ، فلا بدّ لطلاّب الشهادات كلهـا : طلاّب الأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافية واللغات الأجنبية من تهيئة شهادة الثقافة العامة قبل انصرافهم مدة ثلاث سنين الى تهيئة الشهادات التي يتفرغون لها .

مهمة الأساتذة في شهادة الثقافة العامة أن يثقفوا طلاّبهم تثقيفاً عاماً في أدب العرب وتاريخ الحضارة وعلم الاجتماع والجغرافية وبعض اللغات حتى لا تضيق آفاق معلوماتهم العامة في تفرّغهم لشهاداتهم الخاصة .

الدكتور أمجد الطرابلسي يزّود طلاب شهادة الثقافة العامة بثقافة أدبية عامة فضلاً عن تدريسه الأدب في شهادة الآداب العربية في آخر سنة فهو يطلعهم على التأليف في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافية من أول عصورنا الأدبية حتى أول عصر نهضتنا الحديثة وقد وضّح في مقدمة كتابه : (نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب) الهدف الذي يرمي اليه فقال :

« لهذا البحث في منهاج السنة الأولى بكلية الآداب هدف مزدوج . فهو يرمي الى أن يكوّن لدى الطلاّب فكرةً موجزةً وواضحة عن بعض نواحي النشاط الفكري عند العرب حتى فجر النهضة الحديثة كما يرمي أيضاً الى دلالة الطالب الجامعي على المراجع والمصادر الهامة التي هو بحاجة اليها لاستكمال أدوات بحثه ... » .

وبعد أن وضّح هذين الهدفين شرع يشرح فكرته ويبين فوائدها وإني لأكتفي بالإشارة الى الفائدة الأولى وهي توثيق الصلة بين مستقبلنا العلمي وبين ماضينا .

ميّز الأستاذ في بحثه بين معرفة الرجوع الى المصادر وبين معرفة الاستفادة من هذه المصادر فليس المهمّ أن يعرف الطالب مصادر البحث وانما المهم أن يعرف كيف يستفيد منها وكيف تكون استفادته عميقة وشخصية على نحو ما قال المؤلف ، ولا شك في أن أمثال هذه الدقائق تدل الدلالة القوية على إدراك الدكتور أمجد الطرابلسي للأسلوب الجامعي في التدريس والتأليف وعلى تمكنه من هذا الأسلوب فهو يعرف كيف يقوّي في الطالب شخصيته وكيف ينمي هذه الشخصية وهذا ما ظهرت آثاره في تأليفه وفي تدريسه فهو لا يريد أن تكون مدارك الطالب بمنزلة آلة يحرّكها زر من أزرار الكهرباء وإنما يريد أن يقوّي الطالب مداركه بنفسه والأستاذ يتولى إرشاده وهدايته . فاذا قلت ان الدكتور أمجد الطرابلسي تمكن من الأسلوب الجامعي التمكن كله فلم أغال في قولي .

أمّا كتابه فانه يشتمل على بابين : التأليف في اللغة والتأليف في الأدب ، وقد احتوى باب التأليف في اللغة على فصلين : فصل في معاجم الألفاظ وفصل في معاجم المعاني ، واحتوى باب التأليف في الأدب على ثلاثة فصول : المجموعات الشعرية القديمة وكتب الثقافة الأدبية العامة وكتب تراجم الأدباء .

أظن أن القارئ يستطيع أن يفطن الى جلالة قدر هذه المحتويات من عناوين الأبواب والفصول فهو يستطيع على الأقل أن يفطن الى فوائد الكتاب وإني لأمرّ بهذه الفوائد كلها ما خلا فائدةً باطنة لا مندوحة لي عن التنبيه عليها .

إن أعظم ما يفتقر اليه أدبنا لا بل تاريخنا كله إنما هو تسلسل أطواره بحيث يمكننا أن نعرف كيف كان أمر من الأمور في أول نشأته وما هي الأطوار

التي دخل فيها حتى وصل الى ما وصل اليه في عصرنا هذا فاذا عرفنا أدبنا وتاريخنا على هذا النحو من المعرفة استطعنا أن نوثق الصلة بين ماضينا وبين حاضرنا واستطعنا من جهة ثانية أن نشهد هذا الماضي بأعيننا حتى كأنا نعيش فيه وكأنا من أبنائه . والدكتور أمجد الطرابلسي لم يقتصر فضله على تزويد الطلاب بثقافة أدبية عامة أو على تقوية شخصياتهم أو على إرشادهم الى جوهر البحث والاستقصاء وإنما استطاع بفضل تنسيق فكره وأسلوبه الجامعي أن يجعلنا نعيش في الماضي ونشعر بأنا من أبنائه . وأعتقد أن ضرب المثل في هذا المعنى إنما هو أقوى برهان .

لقد تكلم في كتابه على المعاجم فبدأ بذكر الأشكال التي جمعت عليها ألفاظ اللغة العربية ، فالشكل الأول منها إنما هو تدوين ألفاظ اللغة وتفسيرها بدون ترتيب والشكل الثاني تدوين ألفاظ اللغة مرتبة في رسائل متفرقة مبنية على معنى من المعاني أو على حرف من الحروف، والشكل الثالث وضع المعاجم العامة الشاملة المنظمة وبعد أن فرغ من هذا التقسيم المتقن أخذ يضرب الأمثال لكل شكل من هذه الأشكال وعلى هذا النحو من تنسيق البحث والاستقصاء يستطيع القارئ أن يمرّ بالأطوار التي تقلب فيها التأليف في اللغة وأن يشهد هذه الأطوار بعينه فيشهد ميلادها وحياتها في أوضح صورة .

فاذا افتخرت كلية الآداب الناشئة التي لم يتجاوز عمرها ثماني سنين فانها تفتخر بأساتذة من طراز الدكتور أمجد الطرابلسي فهموا الأسلوب الجامعي أدق فهم وطبقوه أبرع تطبيق .

نوابغ الفكر العربي

ابن الرومي

بقلم محمد عبد الغني حسن

دار المعارف

إنك لا تريد أن تعرف شيئاً عن ابن الرومي في كتاب الأستاذ محمد عبد الغني حسن إلا عرفته ، فقد صوّر في الفصل الأول عصر الشاعر من نواحيه المختلفة ، من نواحي سياسته واجتماعه وثقافته ، فذكر في حالته السياسية الصراع بين العرب والفرس والترك ، لقد كان ذلك العصر عصر اضطراب لم يستقر فيه شيء من أمور الدولة .

وإذا كنّا لم نشهد مقدار اتصال ابن الرومي بعصره أو مقدار انفصاله عن هذا العصر من ناحية السياسة فقد شهدنا مبلغ اتصاله بالعصر من الناحية الاجتماعية لقد وصف الشاعر حياة السهر والليل في الطبقات الرفيعة ووصف الجواري وطبقات رجال الدولة على اختلافهم واستنبط المؤلف من هذا كله حكماً صائباً فانه لما بيّن الصلة بين ابن الرومي وعصره من الناحية الاجتماعية بيّن في الوقت نفسه الصلة بين اضطرابه في فنون شعره وبين اضطراب ذلك العصر فكان شعر ابن الرومي صورة العصر : صورة الترف والبؤس ، صورة السعة والضيق ، صورة المروءة والخساسة ...

وكما كان الأستاذ محمد عبد الغني حسن بارعاً في الإشارة الى التناسب بين شعر ابن الرومي وبين روح عصره فكذلك كان بارعاً في الإشارة الى التناسب بين شعره وبين ثقافة عصره فقد كان عصر الشاعر عصر علم وفلسفة ، عصر أدب وهندسة وتنجيم وكيمياء وغير ذلك فاختلط ابن الرومي بالقديم والحديث ،

بالدين والفلسفة ، تشارك عصره في الثقافة ، ففي بعض شعره فكر وفلسفة ومنطق وفيه بعض صفات عقلية ، إلا أنه لم يكن في الفلسفة من أصحاب الشك والريب .

ولما فرغ الأستاذ المؤلف من الكلام على أحوال السياسة والاجتماع والثقافة في عصر ابن الرومي انتقل في الفصل الثاني الى الكلام على أشياء كثيرة من أخباره ونسبه وصوره وتدينه وتشيعه واعتزاله ومعيشته . لم يعن أصحاب التراجم بأخبار ابن الرومي فكثير منهم أهملوا ترجمته فأشار الأستاذ محمد عبد الغني حسن الى ما أمكنه الإشارة اليه من مصادر أخباره ، أما صورة ابن الرومي فحسبنا أن نعرف عنها أنه كان غريب الأطوار ، فهو يمدح الرجل اليوم ويذمه غداً ويستحسن زهراً اليوم ويستقبحه غداً ، فهو غريب في أطواره ، غريب في أخلاقه .

ولكن الذي يهمنا من ابن الرومي شاعريته قبل كل شيء وهذا ما أفاض فيه الأستاذ صاحب كتاب ابن الرومي أبلغ إفاضة فلم يغفل عن كل شيء له صلة بهذه الشاعرية .

تقوم شاعرية ابن الرومي على التعمق في المعاني فهو لا يترك المعنى حتى يستهلكه أو يميته وهذا التعمق هو الذي جعل شعره في نظر بعض النقاد غريباً عن شعر العرب ، لأن الشاعر العربي لا تألف عقليته التحليل وادارة المعنى على كل وجه وإنما الشعر العربي كان لمحاً وخطرات على أن ابن الرومي لم تستفض وحدة الموضوع في كل شعره فبعض شعره كان لمحاً وخطرات :-

أما تشبيهاته فهي في نظر الأستاذ محمد عبد الغني حسن معنوية عميقة تبعد عن الواقع الملموس على خلاف تشبيهات ابن المعتز فانها حسية ، على ان ابن الرومي لم يقصر عن ابن المعتز في التشبيهات المحسوسة ولكن صور ابن المعتز لا روح فيها ولا حياة ، إنها تماثيل من فضة وذهب وياقوت وعنبر وزبرجد وأحجار كريمة . أما صور ابن الرومي فانها فياضة بالحياة والحركة وغرائب المفارقات .

هذا ما قرّره الأستاذ صاحب كتاب ابن الرومي وعندي أن هذين النوعين من التصوير متلازمان لا يكاد يستغني أحدهما عن الآخر فان تماثيل ابن المعتز اذا لم تستنفض فيها الحركة والحياة كانت جامدة لا تأثير لها في القلب وصور ابن الرومي إذا كانت مجرّدةً ، عقلية ، لم تفرغ في قوالب حسية كانت جامدةً فقد يجوز أن يفتقر ابن المعتز الى بعض الحركة والحياة في شعر ابن الرومي وقد يجوز أن يفتقر ابن الرومي الى بعض الصور المحسوسة في شعر ابن المعتز ، فابن الرومي لم يُعن بالتصوير عنايته بالصورة نفسها وهذا ما أشار اليه الأستاذ محمد عبد الغني حسن فهو يفتش عن المعنى فاذا ظفر به قذفه في أي قالب كان سواء أكان هذا القالب مناسباً له أم كان نابياً عنه في بعض الأحيان ، إنا نقرأ بعض شعر العرب ، مثل سينية البحتري ، فنجد التناسب بين الصورة وبين الألوان أو الخطوط التي خلقت لهذه الصورة فاذا كانت الصورة تعبّر عن الحركة اختار لها البحتري لفظاً مناسباً لهذه الحركة : والمنايا مواثل .... وما شابه ذلك .

أمّا هجاء ابن الرومي الذي اشتهر به فأكثره من فحش القول فما الفرق بين من يسب وهو في الزقاق وبين سب ابن الرومي في شعره :

وجهك يا عمرو فيه طولٌ وفي وجوه الكلاب طولُ

إنا نفضل السخرية على هذا النوع من الهجاء ولقد أشار الأستاذ المؤلف الى سخرية ابن الرومي فقال في بعض فصول كتابه : ويسخر الشاعر من هؤلاء القوم المعربدين ... وكنا نريد أن يدلنا على آثار هذه السخرية كما دلنا على كل ما له صلة بابن الرومي حتى كأن ابن الرومي في كتاب الأستاذ محمد عبد الغني حسن ماثل لأذهاننا في كل شيء ، في نواحي عصره وأخباره الخاصة وأسرار شعره وفنه وهذه مزية كتاب الأستاذ وهي مزية غير قليلة .

شفيق جبري

الجزء الثالث

من محاضرات المجمع العلمي العربي

عندما أنشئ المجمع العلمي العربي ، عقب الحرب الكبرى الأولى ، جعل في جملة أعماله إلقاء محاضرات أسبوعية تلى الكائنة ، في مواضيع ثقافية مختلفة .

وعندما كان ينتخب عضو جديد عامل في المجمع ، أو كان أحد أعضائه المراسلين يأتي دمشق زائراً ، كان المجمع يرغب الى هذا أو ذاك إلقاء محاضرة في ردهته ، في موضوع من المواضيع التي اختص بها ، وعرف بإتقانها .

وعلى كرّ الأيام والسنين حصل في المجمع جملة كبيرة من هذه المحاضرات ، كثير منها جزيل الفائدة ، ينم على دراسة عميقة ، فلا يجوز أن يظل محفوظاً في الخزائن ، أو مبثوثاً في مجلدات مجلة المجمع ، لما في الاهتداء اليه من مشقة .

وقد انتبه الى ذلك العلامة خليل مردم بك رئيس المجمع ، ورأى أن الجزء الأول من المحاضرات طبع منذ ثلاثين سنة ، أي في سنة ١٩٢٥ م فعرض على الأعضاء العاملين اتخاذ قرار بطبع جملة أخرى من تلك المحاضرات . وهكذا استطاع المجمع أن ينشر منها في سنة واحدة ، وهي سنة ١٩٥٤ م ، جزءاً ثانياً فجزءاً ثالثا .

وهذا الجزء الثالث الذي نعرّف القراء به جاء في ٥٩٦ صفحة . وقد جعل قسمين الأول يحتوي على ثلاث عشرة محاضرة لمن توفاهم الله من أعضاء المجمع وهم السادة : محمد كرد علي والأمير شكيب أرسلان وخليل مطران وأحمد أمين ومحمد اسعاف النشاشيبي وأمين الريحاني والشيخ محسن الأمين الحسيني والشيخ سعيد الكرمي وقسطاكي الحمصي والشيخ عبد القادر المبارك والشيخ أحمد رضا وسليم العنحوري وعبد الله رعد .

ولسنا في حاجة الى ذكر الفوائد الجمة التي يستطيع كل متأدب جنيها من محاضرات يلقيها أمثال هؤلاء الأدباء واللغويين الأثبات : «فأثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية» للأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، و «نهضة العرب العلمية في القرن الأخير» للأمير شكيب أرسلان ، و «اللغة العربية وخزائنها الأدبية قديمًا وحديثًا» للأستاذ خليل مطران ، و «المتنبي وسيف الدولة ، وفلسفة القوة في شعر المتنبي» للدكتور أحمد أمين ، و «سيفيات المتنبي» للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ، و «إعراس الخليفة المأمون» للأستاذ قسطاكي الحمصي ، الى آخر تلك المحاضرات ، كلها دروس أدبية يصيب فيها القارئ المثقف متعة وفائدة على السواء .

أما القسم الثاني من المحاضرات فقد احتوى على أربع عشرة محاضرة لأربعة عشر عضواً من أعضاء المجمع العاملين والمراسلين . فمن المراسلين الأستاذ أحمد حسن الزيات تكلم في بحث ماتع على (ألف ليلة وليلة «تاريخها وحياتها») ، والدكتور عبد الوهاب عزام على «الأدب العربي في بلاد فارس ، واللغة العربية في البلاد الإسلامية غير العربية» والأستاذ محمد الخضر حسين على «أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية» .

وتكلم رئيس المجمع على «عدي بن الرقاع العاملي» ، وبعض الأعضاء العاملين على «ثقافة المتنبي ومصادرها» ، و «لغة شوقي» ، و «شيء عن أناتول فرانس» ، و «الأندلس ، عبرة وذكرى» ، و «شعوب سورية وآثارها القديمة» الخ .

والمواضيع الأدبية في هذا الجزء تزيد على غيرها . والذي أعرفه أن المجمع لا يزال محتفظاً بعدد من المحاضرات في اللغة والعلم والأدب والفلسفة ، ألقاها بعض الأحياء والمتوفين من أعضائه ، ولم يضمها حتى يومنا هذا كتاب .

فمن رأيي أن يداوم المجمع على عمله فيطبعها في جزء رابع أو أكثر ، لأن

جماع هـذه المحاضرات يدل على جهد بذله أعضاؤه في نشر الثقافة بالأسلوب العلمي ، يوم كانت ردهة هذا المجمع الندوة الوحيدة للأدباء والمتأدبين في الفيحاء ، وهذه الصفحة من تأريخنا الأدبي لا يجوز إهمالها .

والمحاضرات ، فوق ذلك ، تعد مرجعاً يجد فيه طلاب الفائدة معلومات ميسرة لو أرادوا العثور عليها في مظانها لاحتاجوا الى وقت طويل وجهد كثير .

المباحث اللغوية في العراق

وهي محاضرات لغوية للأستاذ البحاثة الدكتور مصطفى جواد ألقاها على طلاب قسم الدراسات الأدبية واللغوية ، في معهد الدراسات العربية العالية ، التابع لجامعة الدول العربية . وقد طبعها المعهد المذكور في كتاب بلغت صفحاته ١٣٣ صفحة .

وصاحب هذه المحاضرات مشهور في البلاد العربية بسعة اطلاعه على كتب اللغة والأدب القديمة ، وبتعقبه للكتاب ، ونقده لما يكتبونه في تشدد يرى بعض الأدباء أحياناً أنه إغراق لا مسوغ له ، أو لا حاجة اليه ، ويرى بعضهم أنه ضرورة لا بد منها للاحتفاظ بسلامة لغتنا الضادية ، ولترجيح الفصيح من الكلم على غيره .

وأعتقد أن الدكتور مصطفى جواد قد خلف في النقد الشيخ ابراهيم اليازجي ، وأنه بذه ، بوفرة المراجع التي يستشهد بنصوصها . ومن المعلوم أن أغلاط الكتاب قلت في أيامنا هذه ، فأصبح الانتقاد في عصرنا أصعب منه في عصر اليازجي .

بدأ المحاضر يتكلم على مشكلات اللغة العربية فجعلها خمس مشكلات : أولاها

وأهمها مشكلة المصطلحات العربية ، والثانية مشكلة الصرف والنحو ، والثالثة مشكلة المعجمات ومفرداتها ، والرابعة مشكلة التعبير بالعربية ، والخامسة مشكلة الرسم أي الإملاء .

وقد استغرق حديث هذه المشاكل ٤٩ صفحة جاءت مقدمة للكتاب . وللأستاذ الفاضل في هذه الموضوعات آراء طريفة تستوقف النظر : منها ان المصدر ليس أصلاً للمشتقات ، بل أصلها المادة وما جرى مجراها من مشهود ومسموع . ومنها إنكار أوزان المطاوعة .

ومنها قوله ان المصدر الصناعي ليس مصدراً بل اسماً ، لذلك يرى تسميته الاسم اليائي ، أو الاسم النسبي ، أو الاسم الإضافي .

ومنها ان قاعده النسب الى فَعِيل و فَعِيلة ، بإلقاء الياء منهما ، ليست قاعدة عامة ، بل هي قاعدة خاصة . واستشهد الأستاذ بما جاء في « أدب الكاتب » لابن قتيبة وهو : « وكذلك اذا نسبت الى فعيل أو فعيلة من أسماء القبائل والبلدان وكان مشهوراً ألقيتَ منه الياء مثل ربيعه وبجيلة تقول رَبَعِيّ وبَجَلِيّ ، وحنيفة حنفي ، وثقيف ثقفي ، وعتيك عتكي ، وإن لم يكن الاسم مشهوراً لم تحذف الياء الخ . »

وأوضح الأستاذ ، بناءً على هذا النص ، ان قاعدة حذف الياء تقتضي اجتماع شرطين أساسيين في الاسم المنسوب اليه ، وهما العلمية والشهرة . ولذلك لا يجوز أن يقال بَدَهي ، ولا طَبَعي ، ولا غَرَزي ، ولا قَبَلي ، نسبةً الى بديهة وطبيعة وغريزة وقبيلة ، بل الصحيح فيها (وفي أمثالها) بديهي وطبيعي وغريزي وقبيلي بإثبات الياء . وقد أنكر الأستاذ على ابن الحاجب وغيره من الصرفيين إعمام قاعدة الحذف ، خلافاً لرأي ابن قتيبة الذي خصها

بالمشهور من الأعلام . ومقام ابن قتيبة معروف . وقد عاش قبل هؤلاء الصرفيين ببضعة قرون . (١)

ومن بحوث المحاضر في المقدمة الملمع اليها بحث في النسب الى الجمع ؛ وقد جوّزه على مذهب الكوفيين ، عند الاحتياج اليه احتياجاً مطلقاً ، وعلى مذهب البصريين بشروط ذكرها .

ومنها آراء طريفة في دلالة طائفة من حروف الجر ، وطائفة من أوزان الأفعال .

وانتقل المحاضر ، بعد هذه المقدمة المملوءة بالآراء والملاحظات والانتقادات المفيدة ، الى الكلام على المباحث اللغوية في العراق ، فذكر انه لم يكن من العراقيين ، في أول النهضة اللغوية الحديثة ، من اختص بالمصطلحات العلمية والفنية ، وأن أول من بحث فيها الأب أنستاس ماري الكرملي اللبناني الأصل والعراقي المولد . فقد أصدر ببغداد سنة ١٩١١ م مجلة « لغة العرب » ، فعاشت حتى سنة ١٩١٤ ، وفيها نشبت الحرب الكبرى الأولى . وبعد استيلاء الانكليز على العراق أصدر الأب مجلة « دار السلام » سنة ١٩١٧ ، لكنه لم يعالج فيها

(١) قلت : لقد كنتُ انتبهتُ ، منذ سنين ، الى جملة ابن قتيبة في أدب الكاتب . وراجعت يومئذ كتاب سيبويه ، وسيبويه عاش قبل ابن قتيبة ، فألفيته يجعل حذف الواو والياء قياساً في النسبة الى أسماء على وزن فَعُولة وفَعِيلة وفُعَيْلة . ولكن الشواهد التي ذكرها كلها أعلام مشهورة كرَبيعة وجَذِيمة وجُهَينة وشَنُوءة الخ . — أما الأسماء التي ليست دالةً على قبائل أو بلدان مشهورة كسَليقة وسَليمة وشَديدة وطَويلة وحُوَيزة وخُرَيبة فقد أثبت الياء في النسب اليها إما شذوذاً ، أو بتعليلات مختلفة .

ولم أقتنع قط بالشذوذ ، ولا باعمام الحذف في هذه القاعدة ، وكنت أتساءل قائلا : كيف ننسب الى قَطيفة وبَجيلة ومئات من أشباه هذين اللفظين ؟ أنقول قَطَفي وبَجَلي ، كما تقول في النسبة الى قَطَف ، وهو نبات غير نبات القطيفة ، والى بَجَل ، وأين البَجل من البَجيل ! أم نثبت الياء ونسمي ذلك شذوذاً ، على الرغم من كثرة هذا الشذوذ ؟ ولبثت متشككاً في هذا الموضوع حتى جلاه الأستاذ مصطفى جواد .

مسائل اللغة إلا قليلاً . وعاشت هذه المجلة ثلاث سنوات ؛ ثم استأنف الأب إصدار مجلته « لغة العرب » فلبثت تصدر من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٣١ : ويعرف المتأدبون أن الأستاذ مصطفى جواد كان يشارك مشاركةً واسعةً في الكتابة في هذه المجلة ، وأنها حوت عدداً غير قليل من المصطلحات العلمية ، فضلاً عن البحوث اللغوية والتأريخية والاجتماعية وانتقاد مقالات الكتاب ومؤلفاتهم .

وأشاد المحاضر الفاضل بفضل العلامة الدكتور أمين المعلوف ، وقال إنه هو الذي ألّف المعجم العسكري الذي زاد عليه الأستاذ عبد المسيح وزير بعدئذٍ ألفاظاً كثيرة . والذي أعرفه أن نواة المصطلحات العسكرية كانت وضعت في دمشق ، أيام الملك فيصل الأول ، طيب الله ثراه ، وانها نُقلت الى العراق . والأرجح أن ناقلها هو الدكتور أمين المعلوف .

وذكر المحاضر زميلنا الأستاذ عز الدين التنوخي ، ووضعه لعدد من المصطلحات في علم الفيزياء ، عندما كان يدرّس هذا العلم في بغداد .

وتكلم على المجمع اللغوي الذي أنشأته وزارة المعارف العراقية سنة ١٩٢٧ بتشجيع الأستاذ ساطع الحصري وزير المعارف في تلك الأيام . وقال إن أعضاءه سرعان ما استعفوا بعد أن خرج الأستاذ الحصري من الوزارة .

ونقل كثيراً من آراء الأستاذ المشار اليه في النحت . وهي آراء طريفة وجديرة بأن تقرأ بإمعان ، وإن كان المؤلف ، وكنت أنا أيضاً ، من الذين لا يبيحون النحت إلا قليلاً وفي حالات محدودة .

وبعد أن تكلم على « المجمع العلمي العراقي » الذي أُنشئ سنة ١٩٤٧ ، والذي ما برح يعمل بنشاط ، أنهى محاضراته بذكر أهم مؤلفات العراقيين المطبوعة والمخطوطة في اللغة وفي الألفاظ العلمية . فمن المطبوع معجم الحيوان والمعجم الفلكي للدكتور أمين المعلوف ، والمعجم العسكري الذي مرّ ذكره ، وكتاب أغلاط اللغويين الأقدمين ، وكتاب نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها للأب

أنستاس ، وكتاب الاقرباذين البيطري للبيطار الهندي السيد محمد أكبر خان ، وقد ألفه في العراق .

ومن المخطوطات المعجم المساعد ، والمعجم الفرنسي العربي ، وجمهرة اللغات ، وكتاب المجموع ، وكلها للأب أنستاس . والمعجم المستدرك ، ومعجم الجمل العربية الفرنسية للمحاضر .

وأشار الى كتب ورسائل من تأليفه ، منها فقه اللغة العربيـة ، وكتاب القلب والإبدال ، و « قل ولا تقل » وغيرها . ولم أتبين هل طبعها أم لا .

ومن المؤسف القول بأن الغلط المطبعي كثير في الكتاب . والواضح أن المؤلف لم يشرف على طبعه .

وبعد هذه إلمامة حاولت بها أن أعرّف كتاب الدكتور اللغوي مصطفى جواد . وفوائد هذا الكتاب كثيرة لا تستفاد من الكلام عليه في أسطر قليلة .

الشرباصي

المدخل الى علم النفس الجماعي

تأليف الدكتور (شارل بلوندل) ، وتعريب الدكتور حكمة هاشم

وهو من منشورات جماعة علم النفس التكاملي التي يشرف على إصدارها الدكتور يوسف مراد . طبع في دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٣

عدد صفحاته ١٨٨ صفحة من القطع الوسط

★ ★ ★

يقول المؤلف ان كتابه ليس « مؤلفاً في علم النفس الجماعي ، وإنما هو مدخل الى علم النفس الجماعي » (ص ٧) . فهو يهدف إلى تحديد موضوع هذا العلم كما يهدف إلى تعيين الفرضيات التي يستند اليها . ولذلك اشتمل هذا الكتاب على دراسة آراء (كونت) و (دوركهايم) و (تارد) في ثلاثة أبواب ، كما اشتمل على ثلاثة أبواب أخرى في الإدراك ، والذاكرة ، والحياة الانفعالية

تبين كلها أن دراسة الحياة الذهنية لا تكون تامة إلا اذا أحاطت بالعوامل الاجتماعية المؤثرة في النفس .

فما قاله المؤلف بصدد تحديد موضوع علم النفس الجماعي : « ان أول واجب يترتب علينا ... هو تحرير قائمة بكل شيء في الشعور الفردي يأتي من الجماعة لا من ذات الشعور . فاذا كانت السيكولوجيا الجماعية هي ... علم الظواهر النفسانية التي مردها الى جماعة من الأفراد ، واذا كان الشعور الفردي مليئاً بالعناصر الجماعية المحمولة اليه من الخارج ، فان طائفة كبيرة من الحوادث الذهنية المعروفة بكونها فردية تدخل في الواقع في حوزة هذا العلم من دون أن تكون الجماعة أو الجماهير حاضرة إبان حدوث تلك الحوادث » (ص : ١٤ ـ ١٥) . وهذا وحده يفرق بين وجهة نظر السيكولوجيا الجماعية ووجهة نظر علم نفس الجماهير ، أو علم نفس الشعوب اللذين تخبط (غوستاف لوبون) وغيره في تحديد مفاهيمها .

والنظام الذي يجب السير عليه في دراسة الفردي والجماعي هو تقديم السيكولوجيا الجماعية على السيكولوجيا الفردية . فان العلوم الباحثة في الذهنية البشرية ومظاهرها وفي أسبابها ونتائجها يجب أن تترتب وتتأسس وفق النسق التالي : السيكوفيزيولوجيا ، والسيكولوجيا الجماعية ، والسيكولوجيا الفردية (ص ١٦) فالبحث يجب أن يمضي إذن من المجتمع الى الفرد لا من الفرد الى المجتمع ، هذا ما تمليه شروط التجربة ، وهذا ما تدعونا اليه مسلماتها .

فهناك إذن ثلاث طرق لدراسة الحياة الذهنية : الأولى طريقة السيكوفيزيولوجيا وهي دراسة ما يدين به الإنسان الى تركيبه النوعي ، والثانية طريقة علم النفس الجماعي وهي دراسة ما يدين به الانسان الى بيئته الاجتماعية ، والثالثة طريقة علم النفس الفردي أو الفرقي ، وهي دراسة ما يدين به الأفراد الى خصائص تركيبهم الفيزيولوجي ووجودهم الاجتماعي معاً . وهذه الطرق الثلاث ليست مستقلة

بعضها عن بعض ، بل هي من الوجهة العملية متعاونة ومتضافرة وما من عالم نفسي يستطيع اليوم أن يقول إن بعض هذه الطرق أولى بالاتباع من بعضها الآخر ، فالاتجاهات الثلاثة توصل الى معرفة الحياة الذهنية كما ان جميع الدروب توصل الى رومة . وغاية ما في الأمر أنه يمكننا أن نجازف فنزعم ان السيكولوجيا الفيزيولوجية والسيكولوجيا الجماعية والسيكولوجيا الفردية قد بلغت بهذا الترتيب المنطقي مرحلة إيجابية ، ولكن هذا الترتيب لا يفرض على التجربات العلمية نظاماً واحداً لا يمس ، وإنما يهدف الى تنظيم الحقائق التي أدت اليهـا بحوث العلماء تنظيماً منسقاً .

ويمكننا أيضاً أن نذهب الى أبعد من هذا فنقرر انه لا سيكولوجيا حتى ولا فيزيولوجيا دون سوسيولوجيا ، وان علم النفس النوعي (الفيزيولوجي) يستضيء هو نفسه بضياء علم النفس الجماعي . نعم انه عندما يدعو الأمر الى تنظيم المعرفة التي تم اكتسابها يتخذ علم النفس الجماعي مكانه بين السيكولوجيا النوعيـة والسيكولوجيا الفردية ، ولكن الشرائط المحيطة بالظواهر النفسية تبين لنا أن هذا العلم يجب أن يأتي في المنزلة الأولى لاصطباغ العوامل الفيزيولوجيا والعوامل الفردية ذاتها بصبغة اجتماعية ظاهرة . واذا تصورنا علم النفس الجماعي على هذا النحو شمل نطاقه السيكولوجيا العامة كلها .

ان هذه الإشارة السريعة الى موضوع علم النفس الجماعي كافية للدلالة على قيمته . فهو يصل حقائق علم النفس الفيزيولوجي بحقائق علم النفس الفردي ويجمعها كلها في إطار واحد . ومن حسن الحظ أن يقيّض الله لهذا العلم معرباً كصديقنا الدكتور حكمة هاشم ، فإن الترجمة التي أتحفنا بها أكمل من الترجمة التي جاءنا بها أحد الكتاب المصريين . ولا غرو ، فالدكتور هاشم لا يكتب إلا عن اختصاص ، ولا يترجم إلا بدقة وضبط ، فالشكر له على بيانه المشرق ، وأسلوبه الرصين ، وأمانته العلمية .

تحت قناطر آرسطو

تأليف الأستاذ أمين نخلة ، طبع في بيروت سنة ١٩٥٤
في مطبعة « الجريدة » عدد صفحاته ١٤٢

لو أتيح لي أن أؤلف مثل هذا الكتاب لما اخترت له العنوان الذي اختاره له المؤلف ، فهو قد سمّى القسم الأول منه : (تحت قناطر آرسطو) ، والثاني (حول القناطر) ، والثالث (بين الكرة والطست) ، وهي عناوين غريبة توهم القارئ بأنه سيجد في الكتاب شيئاً من فلسفة آرسطو ، ولكنه اذا قرأه لم يجد فيه إلا مقالات في الأدب والشعر والفن والحياة لا تمتّ الى فلسفة آرسطو بأي صلة .

وليس هذا بقادح في قيمة الكتاب ، فهو مملوء من الخواطر النادرة والآراء الصحيحة والنكت اللطيفة . قال المؤلف : « إن الأدب مرآة الحياة : بحالها بحاله ، وإطارها إطاره ، ولا ريب . وكل أدب لا يتراءى فيه وجه الحياة على تمامه ، هو مرآة ناقصة ، طرحها أجدر من الإبقاء عليها . وكما أن الحياة قسوة وإعنات ، وتصعيد وتصويب ، فكذلك ينبغي للأدب إذ أنه من المحصل ، الذي لا يختلف فيه اثنان ، إن الضحولة (كذا في الأصل ولعله الضحل) لا تقذف اللؤلؤ ، وإن عباب اليمّ لا يشق برأس الاصبع ... ومن العبث أن لا يجمل الأدب في تقليد الحياة ، حذوك الشيء بمثله » (ص : ٦١) .

وهذا صحيح . إننا نرى مع المؤلف أن الأدب يجب أن يكون مرآة للحياة ، ولكننا نرى مع ذلك أيضاً أن هذه المرآة ليست صادقة ، وإنما هي مرآة مسحورة تبدل صور الحياة فتجعل القبيح جميلاً ، والتافه الحقير كريماً سامياً . وما قيمة الأدب الذي يصور الحياة كما هي دون أي تبديل أو تغيير ؟ إنه أشبه شيء بعدسة آلة التصوير التي ترسم الأشياء بألوانها الطبيعية ، وهل

في هذا التصوير الواقعي جمال كالجمال الذي تبدعه ريشة الرسام الملهم ؟ إن كل أدب واقعي مصبوغ بصبغة نفسية لحمتها العاطفة وسداها الخيال . ولولا ذلك لما كان أدباً حقيقياً . لقد كان (زولا) على واقعيته واسع الخيال يشبّه (القاطرة) مثلاً بانسان يلهث من التعب ، ويبالغ في كل ما يصفه من القبح النفسي والمادي ، ويجمع الحوادث ويرتبها ترتيباً مخالفاً للواقع فهو لم يستمدّ من الحياة إذن إلا خيوط الوقائع التي ألّف منها صوره الفنية ، ولولا ذلك لكان أدبه تقليداً محضاً للحياة على النحو الذي أراده المؤلف .

وأصدق شاهد على ما نقول أدب الأستاذ نخلة نفسه ، فهو في (فردوسه الأرضي) وفي (خصوصياته) و (اخوانياته) ، وفي كل ما يكتب من مقالاته أديب واقعي ، ولكن الواقع الذي يكلمنا عنه ليس خالياً من الاختراع والخيال . ونحن كثيراً ما يلذ لنا أن نتقرّى صوره وأحلامه .

جميل صليبا

فقه الإسلام

سموّ مبادئه — رصانة قواعده — تعدّد مزاياه ومحاسنه

تأليف : حسن أحمد الخطيب

لا يخفى أنّ مدار التشريع الإسلامي على الكتاب والسنة ، وما استند اليهما من إجماع أصولي أو قياس صحيح ؛ فلا يصح الاحتجاج بعمل أية حكومة إسلامية أو جماعة من المسلمين إذا هم خالفوا نصّاً شرعياً ، أو إجماعاً معتدّاً به ؛ فان أعمالهم ليست حججاً شرعية بالاتفاق ، بل منها ما هو مخالف للكتاب والسنة والإجماع ، ومعارض كل المعارضة لما عرف من قواعد الاجتماع ؛ أليس من البدهيات أنّ الطفرة محال ، وأنّ قوانين كلّ أمة يجب أن تكون منتزعةً

من روحها وتاريخها ، لا سيما أمة كأمتنا لها عظمة في التاريخ ، وعزّ قديم موروث ، فهي أحرى بأن تجدّد بماضيها عهداً ، وتحفظ لها وجوداً خاصاً بين الأمم الأخرى . ولا حجة أيضاً في عمل الجاحدين لنعمة التاريخ الاسلامي المتفرقين في الأمصار إذا هم خطبوا أو كتبوا طاعنين في ملتنا وأمتنا ، ولا الجامدين الذين انقطعوا عن هذا العالم ومعاملاته ، ولم يُعنوا بتخريج ما يتجدد من ضروب المعاملات على قواعد الشريعة السمحة ، حتى ظنّ كثير أن معينها قد نضب ، ومادتها نفدت ، فليس في أصولها ما يقوى على معالجة المسائل الاجتماعية والاقتصادية في عهد المدنية الحديثة . وجماع القول : إنه لا حجة في خروج فريق عن دائرة الإسلام ، ولا في وقوف آخرين ينتظرون مجيء المهدي عليه السلام ! بل عمل المسلمين في أهدى عصورهم وأرقاها هو حجة عملية لله وكتابه ورسوله وصالحي هذه الأمة على جميع من ذكرنا ، فقد وسعت شريعتهم في ذلك العهد الزاهر حضارات الأمم الغابرة ، ودانت لها أمم الغرب بمدنيتها الحاضرة .

وهذا هو روح هذا الكتاب الجليل وخلاصته ، وما أجملناه هنا من عندنا لا يغني عن قراءة فهرسه المفصّل ، وفهرسه لا يغني عن تتبع فصوله التي أربت صفحاتها على أربعمائة فقد طالعناه فأكبرناه ، واليكم ملخص ما حواه :

أما مقاصده وأبوابه فهي سبعة (١) أصول التشريع الإسلامي المتفق عليها (٢) الأدلة المختلف فيها (٣) أسباب اختلاف العلماء في الأحكام الشرعية (٤) القواعد الفقهية في التشريع الإسلامي (٥) محاسن الشريعة الإسلامية ومزاياها (٦) التشريع الإسلامي وحرية الاجتهاد (٧) بحوث وتحقيقات حول الشريعة الإسلامية ، وله مقدمة وخاتمة . وقد أبان في المقدمة الباعث على تأليف الكتاب والقصد منه ، ومنها قوله : وقد أهابَ في نفسي ودوّى في جوانبها صوت الضمير حينما انكببت على كتب الفقه الاسلامي ، غير متأثر برأي معيّن ، ولا متعصب لمذهب دون مذهب ، فراعني ما رأيت من دقة الأحكام والتخريج ،

وبيان الأصول والقواعد التي ترجع اليها أحكام الحادثات الجزئيـة الخ ...
(وقال) : من أجل ذلك كله عوّلت على إبراز محاسن الشريعة ، بجمع الهام من أصولها وقواعدها ، وذكر شيء من فروعها وأحكامها ، وبيان ما يثبت أنها صالحة للأمم في كل عصر ، ووجوب الرجوع اليها في تشريعنا ، وذكر شهادة أساطين العلم والقانون في الشرق والغرب بفضلها ، عسى أن يتحقق بذلك توجيه أولي العزم اليها ، وإثارة رغباتهم فيها . وأمّا الخاتمة فقد جاء فيها : وعلى الشعوب الإسلامية وقادتها من العلماء وأولي الرأي أن يحملوا حكوماتهم ومجالسهم النيابية على الرجوع الى الشريعة الإسلامية عند التشريع ، وإلاّ كانوا جميعاً مسئولين أمام الله ، ومقصّرين في حق أنفسهم ، ومفرطين في حق الأجيال القادمة الخ ...
فهل من سميع وهل من مجيب ؟

وقد اشتمل كل باب من هذه الأبواب السبعة على عدة فصول ، وذكر مراجع كل باب من أبوابه (أي الكتاب) ، ومصادر كل فصل من فصوله ، من قديمة وحديثة ، عربية وأجنبية ، وهي من أجلّ المراجع وأفضلها .

فالفصول الأولى من الباب الأول في مباحث الكتاب والسنة والإجماع والقياس وهي مباحث أصولية ممتعة مقنعة ، ومن الباب الثاني فصول في الأدلة المختلف فيها كمذهب الصحابة ، وعمل أهل المدينة ، وشرع من قبلنا ، واستصحاب الحال ، والاستحسان ، والمصالح المرسلة ، ومن فصول الباب الثالث : أسباب اختلاف العلماء في الأحكام الشرعية كتاباً وسنةً وقياساً . والباب الرابع في القواعد الفقهية في التشريع الاسلامي ، وذكر كثير من هذه القواعد الجامعة ، والباب الخامس في محاسن الشريعة الاسلامية ومزاياها ، ومنها (ص ٣٣٥ المزية ٢٢) وضعها قاعدتين أساسيتين للحكم : سلطة الولاية مرجعها الى الأمة ـ بناء الحكم على الشورى (فأين من هذا الذين يرمونها بحكم الفرد) ؟ وفي الباب السادس : التشريع الاسلامي ، وحرية الاجتهاد الشرعي وذم التقليد الميت . وفي خاتمة

الأبواب وهو السابع : بحوث وتحقيقات حول الشريعة الإسلامية ، ولا غنى لطالب علم ديني أو حقوقي عن مطالعته . ففيه بحث الفقه الإسلامي واستقلاله عن القانون الروماني ، ورد الشبهات التي يوردونها . رأي المؤتمر الدولي للقانون المقارن . الشريعة الإسلامية : وفاؤها بحاجيات الأمم ومطالبها في كل عصر ، دفع ما وجه اليها من شبهات . سلامة الأمم وأمنها وسعادتها باقامة الحدود الشرعية . أصول القوانين ومصادرها في العصر الحديث . التشريع الاسلامي والقانون المقارن ـ موضوعات القانون المقارن . نقص الشرائع الحديثة ومساويها . شهادة أساطين العلم والقانون في الغرب والشرق بفضل الشريعة الاسلامية ، وسمو أصولها ومبادئها وسعة مباحثها ، وانها تحمل كل العناصر التي تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن والمدنية . وختم الكتاب ببيان واجب الأمة الاسلامية والشعب المصري ، وواجب الحكومات العربية : الرجوع الى الشريعة الإسلامية .

وإني أختم البحث بما نقله الأستاذ المؤلف عن مجلة الأزهر من مقال للدكتور عبد السلام ذهني المستشار بمحكمة الاستئناف (بمصر) سابقاً ، قال : «وفي الأخذ بالشريعة الإسلامية في المعاملات المدنية ، تمكين للنزعة القومية في مصر ، وانتصار للكيان الشرقي العربي وكرامته ؛ وفيه إحياء لمجد مدفون بغير حق ، وبعث لحياة شرقية عربية جديدة بحق» . أقول : « يا ليت قومي يعلمون » ويوجه هذا الخطاب الى الحكومات العربية ، ومجالسها النيابية ، وهل يعزب عن علمهم أن لكل أمة منهاجاً تسير عليه ، وخصائص تحافظ عليها ، وأن الأمة التي تستمد قواعد الحياة وأصولها من غيرها ، ولا تعتبر الفروق في الطباع والأخلاق ، ولا تأثير البيئات والأقاليم ، لا يمكن أن تعيش لنفسها وتحتفظ بوجودها واستقلالها ، بل تكون عاقبتها الزوال ، وتكون جنايتها على رعيتها فوق جناية عدوها عليها .

١ — هذا وقد نصح العلاّمة المؤلف لمخرّجي الأزهر وكلية الحقوق وطلاب التخصص ولسائر الباحثين أن يقبلوا على دراسة كتب الإمامين ابن تيمية وابن القيم ـ وعدّ طائفة من أفضلها في التشريع ـ وكتاب بداية المجتهد لابن رشد ، والفروق للقرافي المالكي ، والأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي ، وشروح أمهات كتب الحديث ، وكتاب نيل الأوطار ، وسبل السلام ، وتفسير آيات الأحكام ، « ليبلغوا مرتبة الاجتهاد أو ما يقرب منها » قلت : ومثلها من أمهات فقه الإسلام : المغني للموفق المقدسي الحنبلي ، مع الشرح الكبير لابن أخي المؤلف وتلميذه شمس الدين المقدسي ، والمحلى لمجدد القرن الخامس ابن حزم الأندلسي ، والموافقات في الأصول والاعتصام في الفروع للشاطبي ، وغيرها ، فهي من جنس ما هدى اليه ، وحثّ عليه .

المصالح المرسلة للطوفي

٢ — جعل الأستاذ المؤلف الفصل السادس من الباب الثاني الذي خصّه بالأدلة المختلف فيها ـ في المصالح المرسلة ـ وهي التي لم يشهد باعتبارها ولا بالغائها دليل معيّن من الشرع ـ وذكر أقوال أئمة الفقه في شأنها (ص ١٩٣ — ١٩٧) ولكنه لم ينوّه بشأن رسالة نفيسة ألفت في موضوعها ، وهي رسالة الشيخ نجم الدين الطوفي الحنبلي (المتوفى سنة ٧١٦ هـ) التي شرح فيها حديث (لا ضرر ولا ضرار) من الأربعين النووية ، وبين منزلة رعاية المصلحة من أدلة الشرع ، وكان جرّد هذه الرسالة أستاذنا القاسمي الدمشقي ، وطبعها في مجموعة رسائل أصولية ، ونشرتها مجلة المنار بمصر في المجلد التاسع ثم طبعت بمصر مستقلة ، وهي من أنفس ما ألف في رعاية المصالح المرسلة .

٣ — ليت المؤلف الكريم ـ وهو واسع الاطلاع ـ ذكر لنا بعض الكتب التي ألفت في مصر والشام (ساحلها وداخلها) وغيرهما من أقطار العروبة والإسلام ـ

في موضوع المقارنة بين الفقه الإسلامي ، وما يقابله في أعظم الشرائع القديمة والحديثة الدينية منها والمدنية ، كالعهد القديم (التوراة) والقانون الروماني ، وكالشرائع المدنية الاميركية والانكليزية والفرنسية ، والسويسرية ، والقانون المدني الألماني ، ـ ليعلم فضل هذا الفقه الإسلامي المستقل عنها .

٤ — وقعت في الكتاب أغلاط مطبعية قليلة لم نرها في جدول التصويب ، كابن ماجة بالتاء (ص ٩٣ و ٣٩٣) وصوابها بالهاء وصلاً ووقفاً . وفي (ص ٣٩٩) : والغلب على الشرائع الوضعية » والغلب المغلوبية وفي القرآن الكريم « وهم من بعد غَلَبِهِم سيَغْلِبون » والمراد الغلبة .

جزى الله المؤلف خير الجزاء ، وأقرّ عينه بما يرجوه من توحيد التشريع لهذه الأمة العانية .

محمد بهجة البيطار

زُبدة الحلب من تاريخ حلب

تأليف كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ . عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الدكتور سامي الدهان. طبع في جزئين الأول عام ١٩٥١ والثاني عام ١٩٥٤

يقدم لنا المعهد الافرنسي بدمشق في كل سنة دليلاً جديداً على نشاطه العلمي وانصرافه للهدف الذي أنشئ من أجله لتعزيز التعاون الثقافي السوري الافرنسي وإحياء تراثنا والإشادة بأمجادنا ، وللزميل الدكتور سامي الدهان الأثر البارز في هذا النشاط وحسن التوجيه . وقد أخذ الزميل على عهدته تحقيق ونشر هذا الأثر النفيس .

إن تاريخ حلب لابن العديم لا يحتاج لتعريف ، كان مؤلفه من أعلام القرن السابع هـ ، محدثاً فاضلاً ، ومؤرخاً صادقاً ، وفقيهاً مفتياً ، درّس وأفتى وصنّف . وهذا التاريخ من أجلّ تصانيفه ، ليس هو تاريخ حلب فحسب بل هو تاريخ

الشام وما يتصل بالشام وبالاخص حزؤها الشمالي • هذه وثيقة جديدة من تاريخنا تنبش من ظلمات دور الكتب لترى النور من جديد في حلة قشيبة وطبعة محققة مفهرسة تعهدتها يد أمينة وعين نقادة توحيان الثقة والاطمئنان للباحث والمستنير • وهذا التاريخ على اختصاره وإيجازه هو أوسع مصدر في تاريخ الشام وأجمع سجل لحوادث الدول التي تعاقبت عليه منذ عهد الأمويين الى حروب الصليبيين •

ومن حسنات هذا التاريخ أن مؤلفه قد استقى مادته من مصادر فقد أكثر أصولها ، فلا عجب إن رحبنا بنشر هذا الكتاب وشكرنا لابن حلب البار جهده وجميل صنعه ووفائه للمدينة الشهباء •

وقد ظهر لي أثناء مطالعة الكتاب وجه الصواب في بعض عبارات النص رأيت الإشارة اليه ، منه : ص ٦١/١ حرباً وخراجاً وصلاة ، صوابه : حرباً وخراجاً وضياعاً كما جاء في ص ٧٠/١ • ص ٢٨/٢ وأحكم يد حزامه ، صوابه : وأحكم شد حزامه • ص ٧٣/٣ دخل زوجته ، صوابه : دخل على زوجته • ص ٨٢/٢ مرج الصفر : ... ممتد شمالي دمشق ، صوابه : جنوبي دمشق •

تاريخ العراق بين احتلالين

الجزء السادس

تأليف المحامي عباس العزاوي • عدد صفحاته (٣٩) صفحة من القطع الوسط
طبع في بغداد عام ١٩٥٤

هذه حلقة جديدة يضيفها المؤلف الى سلسلة أبحاثه عن تاريخ العراق بين احتلالين دوّن فيها حوادث عهد حكومة المماليك المعروفين بـ (الكولات) الذين قضوا على سلطان (الينكچرية) وطغيانهم وحلوا محلهم وتولوا إدارة العراق من سنة ١١٦٣ هـ الى سنة ١٢٤٧ هـ • وهذا الجزء عاص بحوادث هذه الفترة من تاريخ العراق ، وقد ألحق به المؤلف مستدركات وتعليقات وردت على الأجزاء

السابقة وضم اليه نهارس أسماء الكتب والأمكنة والأعلام والمصطلحات الواردة في النص ·

وكان لهذا العهد على ما فيه من منغصات أثره في سياسة العراق وعمرانه فقد عمه شيء من الرفاه وساده بعض النظام · ولم يزل العراقيون الى يومنا هذا يرددون في مجالسهم حوادث هذا العهد ويذكرونه بالخير ·

وقد حاول المؤلف استخلاص الحقائق من مراجعها الكثيرة رغم غموض بعضها وتضارب نزعاتها ، فجرد حوادثها من الشوائب التي كانت تشوبها وتضعف الثقة بصحة روايتها وتثير الشك في صدقها فأدرك غايته بتصوير حقيقة هذا العهد بأمانة خالصة من الميول والنزعات قدر المستطاع ·

أضاف الأستاذ المؤلف بكتابه هذا مأثرة جديدة الى مآثره العلمية العديدة أثابه الله ووفقه ·

جعفر الحسني

معجم اللسان العربي الفصيح

تأليف تيودور نولدكه

طبعه وبوّبه المستشرق كرمر – الجزء الثاني ٩٥ صفحة – برلين ١٩٥٤

THEODOR NÖLDEKES
BELEGWÖRTERBUCH ZUR KLASSISCHEN ARABISCHEN SPRACHE — JÖRG KRAEMER, Berlin 1954

ألف المستشرق الألماني الكبير نولدكه معجماً للسان العربي الفصيح ، جعله على جزازات وأوراق في شكل واسع مفصّل ، وتقضى قبل أن يستطيع ترتيبه ونشره ، ولذلك قام المستشرق الشاب الأستاذ كرمر (الأستاذ بجامعة توبنكن في ألمانيا الغربية) بترتيب مواده في دقة وأمانة ، فأظهر منه الجزء الأول ، وجعل فيه من غير شك مقدمة شرح فيها طريقة تأليف هذا المعجم ، وبيّن

الأسلوب الذي سار عليه مؤلفه ، وما أضافه الناشر الشاب إلى هـذا العمل الضخم ، وألمع فيه الى جدول الرموز المختصرة وما تشير إليه من مصادر ومباحث ومكان طبعها وأماكن نشرها .

ونحن لم نقع من هذا المعجم إلاّ على هذا الجزء الثاني ، وهو في قرابة تسع وخمسين صفحة بحجم الربع ، يبدأ بكلمة (أسن) وينتهي بكلمة (أُينقان) . ونستطيع أن نتبين الطريقة مما جاء في هذا الجزء ، فهو يضع الكلمة العربية ، ويتبعها بالترجمة الألمانية لها ثم الانكليزية ، ويورد بعد ذلك المصادر التي جاءت فيها هذه الكلمة بذكر الصفحة والسطر ، سواء فيها الكتب أو المجلات ، ولا يتولّ شرحها بالعربية . فكأنه جعل معجمه للباحثين من المستشرقين لعلهم يسترشدون بما يبسط من مواقع هذه الكلم في نصوص اللغة العربية القديمة ؛ حتى لكأنه فهرس شامل أو ثبت بالمصادر التي وقعت فيها الكلمات الفصحى . وهو جهد كبير يستلزم مراجعة الكتب والمظان وفهرستها والبحث في تضاعيفها .

وسنضرب مثلاً بما في هذا المعجم لعلّ الناطقين بالضاد يقفون عليه فينتفعون به في تحقيق الكتب وشرح الأمهات والتعليق على النصوص :

جاء في الصفحة ٣٠ من هذا المعجم ، كلمة «أَفِد» فيقول : انظر وقد ، ويترجمها الى الألمانية والانكليزية هكذا :

HERANNAHEN (ZEIT) / to DRAW NEAR (time)

ويذكر ورودها في المصادر الآتية : ديوان النابغة ٧ : ٢ ـ لبيد ٧١ : ٣ ـ ياقوت ٥٨٦/١ ـ عمر بن أبي ربيعة ٢١٨ : ١ ـ الأغاني ٤٧/١ : ٥ ، ٢٣٦/٢١ : ٦ ـ النقائض ٢١٣ : ٢ ـ وجاءت كلمة أَفَدٌ في ديوان عمر بن أبي ربيعة ١٦١ : ١ .

وتليها كلمة أفر ، أَفَق ، أُفُق ، أَفَك ، إِفْكٌ ، أفوكٌ ...

وهكذا ..

وهذه الطريقة علمية دعا اليها العلماء المستشرقون منذ زمن طويل ، وأرادوا أن يكون شرح الكلمة بسرد النصوص التي وردت في كتب اللغة والأدب والتاريخ . واذا كان المستشرق نولدكه هو الذي حقق الأمنية ، فقد قام بشطر كبير من المشروع ، وبقي أن يثبت هذه النصوص بحروفها ، لا أن يدل على مكان وجودها ، فان المراجع لا يملك هذه الطبعات الأوربية كلها ، فاذا ملك كثيراً منها فهو سيبذل جهداً في جمعها والتقريب بين رواياتها واختلاف مواقعها من العبارات . ولعل المستشرق كرمر يرى رأينا في هذا ، ويفكر كما نفكر في معجم شامل حافل ، جامع مانع ، يحوي هذه الشواهد جميعاً ليكون في متناول الباحث كل ما يريده على كثير من اليسر والتقريب . ولكن هذا العمل يتطلب جهداً جديداً يوازي جهد المؤلف ويضاعف في عدد الصفحات فيجعل المعجم ضخماً واسعاً . والمستشرق الشاب يعرف كما نعرف أن معاجم اللغات الأجنبية تحفل بهذه الشواهد بنصوصها عينها ، ومواقعها من الكتب القديمة مرتبة على التاريخ الزمني وفاق العصور ، فيدرك المراجع تطور معاني الكلمة على الأزمان والأقاليم ، وذلك بعيد بعيد .

فنحن نبارك بهذه الخطوة الأولى لأنها متينة قوية تحمل في ذاتها نواة لمعجم كبير يعمل له العلماء المستشرقون والعلماء العرب في المجامع العلمية يكمل ما قام به المستشرق الكبير فيشر ، مما يطبع مجمع اللغة العربية في مصر . ولهذا نشيد باليد التي أسداها المستشرق الناشر (كرمر) إلى الباحثين والعلماء ، ونقدر عمله أوفر التقدير ، راجين أن يتابع نشر الأجزاء التالية لأن الجهد كبير والمسافة بعيدة .

الدكتور سامي الدهان

آراء وأنباء

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ١٧ شباط سنة ١٩٥٥ برئاسة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك ستة أعضاء مراسلين وهم السادة :

١ ـ الأستاذ ساطع الحصري	: العراق
٢ ـ الأستاذ عادل زعيتر	: فلسطين
٣ ـ الأستاذ يوسف البنوري	: باكستان
٤ ـ الأستاذ أحمد آتش	: تركيا
٥ ـ الأستاذ جورج سارطون	: الولايات المتحدة الاميركية
٦ ـ الأستاذ ايفيكني برتل	: الاتحاد السوفياتي

وقد صدرت بإقرار انتخابهم وتعيينهم ستة مراسيم جمهورية ارقامها من ١٢١٦ ـ ١٢٢١ بتاريخ ٢٤ نيسان سنة ١٩٥٥ .

وانتخب المجمع العلمي في جلسته المنعقدة في ٣ آذار سنة ١٩٥٥ برئاسة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك عضواً مراسلاً وهو الأستاذ مارون عبود من لبنان وقد صدر بإقرار انتخابه وتعيينه مرسوم جمهوري برقم ١٢٢٢ تاريخ ٢٤ نيسان سنة ١٩٥٥ .

شرح لزوم ما لا يلزم

— ١ —

زرت أنا والصديقان الأستاذان عبد الحميد العبادي وأحمد الزيات ، الأستاذ الجليل الدكتور طه حسين في داره ، فأهدى الينا ، الى ما أهدى من حديثه الممتع ، نسخاً من شرح لزوم ما لا يلزم .

وكانت كتابة شرح واف للزوميات أمنيةً قديمة طال حديثنا فيها ، وتطلعنا اليها . حرصت على أن أقرأ الكتاب فوراً . فحالت الشواغل ، وأعجلني السفر فحملت نسختي الى المملكة العربية السعودية ، ووضعتها على مرأىً مني ، وفي متناول يدي لأظفر بالنظر فيها بين الحين والحين .

ولم يتيسر لي النظر فيها إلا أول من أمس . لمحها طرفي فامتدت اليها يدي بعد هزيع من الليل . فانفتح الكتاب اتفاقاً على اللزومية التي أولها :

يأتي على الخلق إصباح وإمساء وكلنا لصروف الدهر نَسّاء

ووقع نظري على هذا الشرح :

« الإصباح الصباح . وهو نقيض المساء أما الصبح فهو أول النهار والفجر . والإمساء نقيض الإصباح » .

فعجبت ووجمت حيناً وقلت : هل الإصباح الصباح ؟ ثم هل يحتاج الصباح الى تعريف ؟ ثم هل يعرّف الصباح بأنه نقيض المساء ؟

وجلست فقرأت مقدمة الكتاب . فاذا الدكتور طه يقول في آخرها :

« وللصديق الزميل ابراهيم الابياري أعظم الفضل في هذا الجهد . فهو الذي احتمل عناء التنقيب والمراجعات على اختلافها ، كما احتمل عناء الشرح اللغوي . وأنا على ذلك شريكه في تبعات ما احتمل من جهد » .

فعلمت أن التبعة على الأستاذ الذي احتمل عناء الشرح اللغوي وإن تطوّع

الدكتور باحتمال التبعة معه . ومضيت فنظرت في التعليق على مقدمة أبي العلاء ، المقدمة العروضية التي افتتح بها كتابه فنزعت كما ينزع من يرى أفعى في باقة ورد ، ولست في قولي هذا غالياً ولا متزيّداً ، نظرت في تعريف الأمكنة التي ذكرها المعري في المقدمة فاذا تعريف قاصر أو غلط واضح أو ترديد بين قيل كذا أو قيل كذا .

وأسرعت الى اللزوميات نفسها فوجدت الإبانة عن المعاني في أسلوب رصين جميل جدير بأن يكون شرحاً للزوميات أبي العلاء ولكني وجدت مع هذا وقوفاً دون دقائق المعاني أحياناً وحَيْدْاً عنها أحياناً .

ونظرت في الشرح اللغوي فاذا إسهاب في سرد ألفاظ وبيان اشتقاقها ، واذا استطراد الى ما لا يتصل اتصالاً بيّناً بشرح الألفاظ . فقلت : لكل شارح مذهبه . وهذا الاسهاب وهذا الاستطراد لا يخلوان من فائدة . ولكني لم استحسن في شرح الألفاظ الإكثار من قيل كذا وقيل كذا . وقلت في نفسي : إنّ الشارح ينبغي له أن ينظر ويختار ويفسّر بما اختاره ، أو يبين أن الكلام يحتمل هذا المعنى وذاك ، ولا ينبغي له أن يحكي اختلاف اللغويين في الكلمة الواحدة وهو يفسّرها ثم يدع القارئ وإياها .

(٢)

مضيت في القراءة أحمد الله إن عثرت صفحتين لا مأخذ فيها ، وأعوذ به كلما وقعت عيني على مآخذه على الشارح .

وبدا لي أن أسارع الى تسجيل هذه المآخذ وأبادر الى الكتابة عنها . ورأيت أن أبينها على نسقها في الكتاب وأذكر المهم منها واحدة واحدة .

وقصدت بالمبادرة الى الكتابة في هذا الشأن أن أوفّي الكتاب حقه من العناية ، وأن أنبّه الشارح الى ما في شرحه من مآخذ عسى أن يتجنبها في الأجزاء التالية . وأحسب الجزء الثاني يعدُّ اليوم للنشر .

(٣)

التعليق على مقدمة المعري

قال الشارح : (ص ١٥)

الدَّوم شجر المقل . ثم نقل عن أبي حنيفة الدينوري وصف الدوم . وليس الدوم في حاجة الى أن يصفه لنا الدينوري . فهو شجرة كالنخلة معروفة في مصر وجزيرة العرب .

وتصوَّر ما يعتري القارئ من عناء ودوار حين يقرأ : (ص ٣٥)

القلوص : الفتية من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء ، وقيل هي الثنية وقيل هي ابنة المخاض ، وقيل هي كل أنثى من الإبل حين تركب . فهل يحتاج تفسير لفظ جاء في بيت في مقدمة أبي العلاء الى نقل هذه الأقوال المختلفة ؟ وهل يجمل بالشارح أن يسردها للقارئ هذا السرد ؟

وجاء في المقدمة قول الأعشى : (ص ٣٥)

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي وراكبُها يوم اللقاء وقلّتِ
هم ضربوا بالحنو حنو قراقرٍ مقدمة الهامُرز حتى تولّتِ

فسر الشارح « قلّت » في البيت الأول بقوله : علت وسمت ، دعاء لبني ذهل . والصواب أن قلّت فعل من القلة يعني ان هذه الفدية قليلة لبني ذهل ، وليس هذا شيئاً الى الغلطة البلقاء في تفسير « حنو قراقر » . قال الشارح : حنو قراقر قرب مكة حيث كانت الواقعة بين الفرس وبكر بن وائل .

فهل سمع أحد من قبل أن وقعة الحنو وقعة ذي قار الطائرة الصيت في التاريخ العربي والأدب كانت قرب مكة . أنا أستغفر الله من نقل هذا الكلام .

وقال الشارح : (ص ٣٨)

سلع : جبل بسوق المدينة وقيل موضع بقرب المدينة .

وليت شعري كم ألف من زوار المدينة يرون جبل سلع أو يصعدون عليه كل سنة ؟ ألا نزال نشك في سلع أجبل أم موضع .

وقال الشارح : (ص ٥٠)

إضم : ماء بين مكة واليمامة . فهب أن إضماً ليس وادياً شمالي المدينة كما أعلم . فهل يجوز تعريفه بأنه بين مكة واليمامة ، وبينهما زهاء الف كيل وصحراء لا يجوزها راكب السيارة إلا في ثلاثة أيام .

هذا بعض ما أخذته على التعليق على المقدمة . والى القارئ مآخذي على شرح اللزوميات نفسها :

اللزومية الأولى

اذا نزل المقدار لم يكُ للقَطا نهوض ولا للمُخدرات إباء

في الشرح (ص ٦٠) : المخدرات صنوف الحيوان المتمنعات بالأجمات . وظاهر انها هنا الأسود ، وقد غلب عليها هذا الوصف . وقول الشاعر ولا للمخدرات إباء يدل على هذا .

وفي المتن : (ص ٦٢)

وزادك بعداً عن بنيك وزادهم عليك حقوداً أنهم نحباء

والصواب نجباء . وهو تحريف مطبعي . ومثله كثير ولن أتعرض له من بعد .

اللزومية الثانية

فان إباء الليث ماحلّ أنفه بأن محلات الليوث أباء

قال الشارح (ص ٦٧) : أنفه أشده . وما حلّ أي ما نقص ونقض من مرته ، هذا قوله . والظاهر أن الشاعر يريد أن يقول ان إباء الليث لم يحل بأنفه بأنه يسكن الأباء وهو القصب . وهذا في الرد على من يعير أهل المعرة باسم بلدهم . فيقول لا يدل اسم البلد على حال أهلها . لم يلحق التثريب أهل يثرب ، ولا كان إباء الليوث من أنها تسكن الأباء وهو قصب ضعيف . . .

اللزومية الثالثة

في الشرح : (ص ٧٤)

ورآءيت الرجل مرآة ورئاء ، أريته اني على خلاف ما أنا عليه

والصواب أريته خلاف ما أنا عليه ، وأحسبه من غلط الطبع .

اللزومية الرابعة

يقول المعري : سألت رجالاً عن معدّ وأهله

فيذكر الشارح (ص ٧٥) معد بن عدنان ويتكلم في أن ميمه أصلية أو زائدة ؛ وأن النحاة يقولون ان الأغلب على معد وقريش وثقيف التذكير الخ .

فهل ينتظر قارئ اللزوميات أن يوقف به على ميم معد .

ثم يقول الشارح في تفسير هذا الشطر : (ص ٧٥)

« سألت رجالاً من أهل العلم وأصحاب الفلسفة والبصر بحقائق الأشياء عن معد أو رهطه » . فهل ذكر المعري أهل العلم وأصحاب الفلسفة والبصر أو قال سألت رجالاً فحسب .

ويقول : وما نُوَبُ الأيام إلا كتائب

يقول الشارح (ص ٧٦) : النُّوَب جمع نادر لنائبة والأعرف نوائب . ثم ينقل عن ابن جني تعليل جمع نَوْبة بالفتح على نُوَب بالضم . فالنُّوَب إذاً جمع نوبة وليست جمعاً نادراً لنائبة كما قال .

اللزومية السادسة

وكم مضى هَجَرِيٌّ أو مُشاكله من المَقاوِل سَرّوا الناس أم ساءوا

يقول الشارح (ص ٨٠) : هجري نسبة الى هجر بفتحتين مدينة . وهي قاعدة البحرين . وقيل ناحية بها .

أهجر مدينة أم ناحية ؟ هذا ينبغي أن يعلمه الشارح ويجزم فيه برأي أمام القارئ . ثم لا توجد اليوم مدينة باسم هجر ولا ناحية . والبحرين اليوم غير البحرين في أيام المعري . فهل يتكلم الشارح عن الماضي أو الحاضر ؟ ينبغي أن يبين هذا .

اللزومية التاسعة

يقول المعري :

أكفئ سواءك في الدنيا مياسرة وأعرض عن قوافي الشعر تكفئها

يقول الشارح : (ص ٩٠)

السوام والسائمة بمعنى . وهي كل إبل خليت في الفلوات ترعى الخ .

ولست أوافقه على تخصيص السوام بالإبل . فكل ماشية خليت في المرعى تسمى سواماً وسائمة .

اللزومية الحادية عشرة

يقول المعري :

وإخوان الفطانة في اختيال كأنهم لقوم أنبياء

فيقول الشارح (ص ٩٥) في تفسير الفطانة :

« والفطانة ضد الغباوة . يقال فطن لهذا الأمر بالفتح يفطن بالضم فطنة . وفطن بالضم فطناً وفطناً وفطناً وفطونة وفطانة وفطانية فهو فاطن وفطون وفطين وفطين وفطن وفطن وفطونة . وفطن بالكسر فطنة وفطانة وفطانية . والجمع فطن والأنثى فطينة » .

فهل يحتاج قارئ اللزوميات الى هذا البيان اللغوي كله ؟ لن أعود من بعد الى نقد الإسهاب والتشكيك في الشرح اللغوي فحسبي ما قدمت من أمثلة وهما يلقيان القارئ في كل صفحة فالحديث عنهما يطول ويمل .

وقال المعري :

تعالى رازق الأحياء طراً لقد وهت المروءة والحياء

الشرح (ص ٩٤) : تعالى أي جلّ ونبا عن كل ثناء الخ . فلماذا خصص التعالي بالتعالي عن الثناء . الحق ان المراد تعالى الله عما لا يليق بالألوهية . وفي التنزيل : فتعالى الله عما يصفون . وتعالى عما يقول الظالمون . والله أهل للثناء الحسن : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » .

اللزومية الثالثة عشرة

يقول الشارح : (ص ١٠١)

الدرع لبوس الحديد تذكّر وتؤنث . ثم يقول : وتصغير درع دُريع بغير هاء على غير قياس الخ . وأقول : إن كانت الدرع تذكر كما يقول فليس في تصغيرها على دريع شذوذ إنما تزاد الهاء في تصغير الثلاثي المؤنث .

ويقول المعري :

ولست كمن يقول بغير علم سواءٌ منك فتك واتقاء

فيفسر الشارح (ص ١٠٢) البيت بما معناه اني أقول على علم . فأعلمك أن الموت واقع لا محالة لا ينجيك منه فتك أو اتقاء .

والصواب أن الشطر الثاني مقول القول أي لست من القائلين على غير علم إنّ الفتك والاتقاء سواء . ويبين هذا الأبيات التي بعده فليتأمل القارئ .

اللزومية السادسة عشرة

يقول الشارح (ص ١٢٠) :

والفرقد واحد الفرقدين . وهما نجمان في السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدي وقيل هما كوكبان قريبان من القطب كما قيل انهما في بنات نعش الصغرى .

وأقول الفرقدان ظاهران لمن ينظر الى السماء لا يحتاج تعرّفهما الى الحدس

وتعداد الأقوال . ثم هذه الأقوال التي سردها الشارح لا تختلف فيما بينها . فالفرقدان نجمان لا يغربان ، في بنات نعش الصغرى ، قريبان من القطب .

ويقول المعري :

وأرى الأربع الغرائز فينا وهي في جثة الفتى خصماء

فيقول الشارح (ص ١٢٥) : والغرائز الأربع العناصر التي يتكون منها الكون . وهي المائية والترابية والهوائية والنارية .

وأقول : ان الغرائز الأربع ليست العناصر بل هي طبائع الجسم أو الأمزجة الأربعة : الصفراوي والسوداوي والدموي والبلغمي .

وجاء في أثناء الشرح : (ص ١٢٢)

وفي حديث بيعة النساء « ولا يأتين ببهتان يفترينه » .

أقول هذا لفظ الآية . فان يكن اللفظ نفسه جاء في الحديث فالآية أولى أن تذكر ويستشهد بها .

ويقول المعري :

والبهارُ الشميمُ تحميه من وط ء معاديكَ أرنبٌ شمّاء

يعني المعري أن المرعى تحميه حميتك وأنفك الأشم والأرنب هنا أرنب الأنف . وتكلف المعري بالجناس جمع بين الشميم والشماء دون جدوى .

وقد قال الشارح اللغوي فيما قال (ص ١٢٤) : إذ المشمرم ما دام موصولاً بعرنين أنفك فهو أبعد من أن يوطأ .

وقال شارح المعنى :

فهم كالزهرة النضرة لا يذبلها وقع الأقدام ، ولكن يذبلها شم الأنوف .

وكلا الشرحين بعيد من المعنى كل البعد .

وجاء في الشرح (ص ١٣٨) الاستشهاد بقول الشاعر :

أضحت أميةُ معموراً بها الرجَم لفي صعيد عليه الترب مرتكم

والصواب لَقِيَ صعيد ، والتقى الشيء الملتقى .

وأعبر لزوميات على هنات فيها ومآخذ تتخللها الى :

اللزومية الثانية والثلاثين

مَتى آداكِ خيرٌ فافعليه   وقولي إن دعاكِ البِرُّ آرَى

يقول الشارح : (ص ١٩٥)

آرى كلة فارسية ، بمعنى نعم ومرحى وحقاً . وتكون بمعنى لا .

ولست أدري أين وجد الشارح أن آرى تكون بمعنى لا .

ويقول المعري :

فلو قَبِلَ الغواةُ عرفتِ كشفي   من الكذب المموه ، ما توارى

والمعنى بيّن . يقول الشاعر : لو قبل الغواة الحق لعرفت كشفي وإباني ما توارى من الكذب المموّه . ولكن الشارح يقول : (ص ١٩٥)

وكشفي أي ما أظهر مما لا مواربة فيه ولا مداهنة .... أي عرفت حقي من باطلهم ولم يغمّ عليك .

فانظر كيف يترك المعنى الجلي الذي يُبين منه اللفظ الى معنى لا يدل عليه اللفظ .

اللزومية الرابعة والثلاثون

يقول المعري لمن يخاطبه :

عهدتُك تُشبه سِيدَ الضَّراء   ولست مُشابهَ ليث الشَّرى

تدِبّ فان وُجدت خلسة   فيالِلسُّلَيك أو الشَّنفَرى

والمعنى بيّن . يقول الشاعر انك تختل ختل الذئاب . تمشي الهوينى حتى تجد الفرصة فتعدو اليها عدو السليك والشنفرى . ويقول الشارح :

والدنيا خادعة ماكرة ومحتالة ماهرة تدب دبيب الشيخ الخ .

وليس في هذه الأبيات ذكر الدنيا ولا الإشارة اليها .

وفي المتن :

فَهَوِّنْ عليك لقاء المنون وقل حين تطرق : أطرقْ كرا

والصواب حين تطرُق أي حين تطرق المنون .

ويقول المعري :

وتختلف الأنس في شأنها وأبعدْ بمن باع عن شرى

فيقول الشارح (ص ٢٢٦) : الضمير في شأنها للحياة وان لم يجر لها ذكر صريح فالحديث عنها .

وأقول إن الضمير هنا للانس ، أي ان الناس مختلفون في شئونهم .

(للكلام صلة) جُدَّة عبد الوهاب عزام

عثرات الأقلام والأفمام (١)

(مزاودة)

فمن عثرات الأقلام قولهم : (مزاودة) فقد نشرت بعض المصالح الحكومية إعلان مزايدة بعنوان (إعلان مزاودة) كذا بالواو مكان الياء . ثم كررت الخطأ نفسه أذ قالت (تأجيل المزاودة) (تجري المزاودة) (فمن كان له رغبة بالمزاودة) والإعلان لا يزيد على بضعة أسطر وصوابه (المزايدة) بالياء لأنه مصدر زايد بالياء وأصل فعله الثلاثي يائي وهو زاد يزيد لا زاد يزود . فكما لا يقال من فعل (بايع يبايع) المباوعة لا يقال في زايد يزايد المزاودة إذ ليس فعلها أجوف واويا كالمصاولة والمقاولة .

(١) الأفمام جمع فم المشددة الميم وهي لغة في الفم المخففة التي جمعها أفواه وقد اخترنا الأفمام على الأفواه للازدواج بالأقلام .

(استبعاد)

ويقولون (ترى الحكومة استبعاد فلان عن العمل) يعنون إبعاده وهو خطأ : لأن العرب تقول استبعد الشيء عده بعيداً غير متوقع الحصول . ويقولون استبعد فلانٌ عنا اذا تباعد وشط مزاره عنا . كأنه بمعنى طلب البعد عنا وفضّله على القرب . أما اذا أرادوا معنى التنحية عن عملٍ ما فيقولون إبعاده وتنحيته وصرفه لا استبعاده .

(الحِفاظ)

ويقولون (الوزارة الفلانية أمرت بكذا لأنها ترغب في الحفاظ على سمعة سورية) وصوابه المحافظة على السمعة بمعنى حفظها وصيانتها من قالة السوء . أما الحِفاظ فلا يكون بمعنى الحفظ في الفصيح وانما معناه الأَنَفة والحَمية والغضب للكرامة أن تمس كالحفيظة . والفعل منه (أحفظ) يقال أحفظني كذا أي أغضبني .

(كورس)

ومن عثرات الأقلام : (كَوْرَس) يلفظونه على وزان جوهر ومنهم من يضم أوله . ويضيفونه الى محطة الإذاعة فيقولون (كورس المحطة) أو (كورس الإذاعة) ويريدون بها جماعة المغنين فيها . ونرى من الصواب العدول عن كورس الى (جوقة المحطة) والجوقة ـ وإن كانت مشكوكاً في عروبتها ـ غير أنها مما عرفه العرب واستعملوه ودوّنوه في معاجمهم وفسروه بالجماعة من الناس ثم خصوا به الجماعة من المغنين . أما (الكورس) وبعضهم يلفظه كأصله (خورس) بالخاء فلفظ يوناني يراد به الجماعة من الناس أيضاً ثم خصوا به جماعة الكهنة الذين وظيفتهم إنشاد الترانيم الكنائسية في الحفلات الدينيـة . كما كنا نسمع من نصارى الساحل قولهم في صدد الكلام على الحفلات الكنائسية

(الخورس) فنسألهم ما الخورس فيقولون فئة من الخوارنة ترفع صوتها بالترانيم في حفلات عيد الشعانين مثلاً . ولم نسمع كلمة (خورس) مستعملة إلا بهذا المعنى . ونحن لا نمنع التعريب واقتباس لغة من لغة لحين الضرورة . ولكننا نفضل أن لا ندع كلمة قاموسية مأنوسة بيننا وهي جوقة الى كلمة ليست كذلك . ولا سيما إذا كانت ذات صبغة دينية ، أو ذات مقام خاص بها وهو مقام الأعياد الكنسية وقال بعض الظرفاء : لو لم أسمع شمس الدين سامي يقول في قاموسه : إن كلمة (خورس) ــ وهي اسم للديك عند الأتراك ــ فارسية الأصل لقلت أنها يونانية وان الديك بما أوتي من موهبة الصوت أشبه بالشماس الذي يترنم بتمجيد الرب .

(خطورة)

يقولون : (لاحظ فلان خطورة الموقف فتجنب الدخول في ما لا يعنيه) كلمة (خطر) المصدر تكون بمعنى التهلكة يقال (فلان على خَطَر عظيم) وبمعنى جلالة القدر ورفعة المقام يقال فلان له خَطَر . وفلان خَطِير . وليس لفلان خَطَر أي قيمة ومنزلة . فاذا أراد قائل الجملة بخطورة الموقف عظمته ورفعة شأنه صح : إذ أنهم يقولون خَطَرَ الرجل خطورةً اذا صار رفيع القدر . أما اذا أراد بخطورة الموقف أن فيه الهلاك والتلف لم يجز الاستعمال ووجب أن يقول (خَطَر الموقف) لاخطورته . والراجح أن استعمال الكتّاب لخطورة الموقف إنما يريدون أنه مؤدٍ الى التهلكة . فالأصوب إذن أن يقال خطر الموقف لاخطورته .

(رابض الجأش)

ويقولون فلان (رابض الجأش) بالضاد وصوابه (رابط) بالطاء . أي ساكن القلب لا يضطرب حين الفزع . أما الربوض بالضاد فمعناه أن تجثم الدابة على الأرض للنوم والاستراحة كما يبرك البعير ،

(القدامى)

ويقولون (أسلافنا القدامى) وقدامى جمع قديم كالقدماء لكنهم يفتحون القاف في القدامى وهو غلط صوابه الضم • ويحب قوم أن يتسامحوا في مثل ضم المفتوح أو فتح المضموم ويقولون : ولماذا هذا التنطع وما يضر اذا قلنا قدامى وفتحنا القاف ؟ ولا نطيل الجواب على هذا المعترض ونكتفي بهذا المثال الذي يذعن له الانصاف : وهو ان الفرنسيين يقولون في معنى القديم Ancien أنسيين : أي بفتح الهمزة • فلو ألقى أحد الفرنسيين حديثاً في الإذاعة وقال Oncien أُنسيين بضم الهمزة فهل تقبل منه (الاكاديمي) ذلك وهل يقبل ابن باريز منه الاعتذار الذي اعتذره ابن دمشق الذي فتح قاف (قَدامى) ويقره عليه ؟

(القد)

ويقول المذيع في الإذاعة فلان يغني (قِدّ كذا) و (تسمعون الى قدّ كذا) والمراد بالقِدّ الأغنية أو ضرب من الأغاني أو من الألحان : وهو اصطلاح قديم • وعهدنا في لفظ (قد) أنه بفتح أوله لكن المذيع يكسره • مع أن القد بالكسر معناه السير من جلد تتخذ منه الحبال والأغلال وفي أمثال العرب (امرأة السوء قِدّ قَمِل وجرح لا يندمل) • و (القد) بمعنى الأغنية لم تذكره كتب اللغة حتى نعرف إن كانت قافه مفتوحة أو مكسورة لأنه لفظ مولد وإنما رجحتُ فتح قافه لأننا كذا نسمعه من متعاطي فن الغناء من يوم أن خلقنا ونرى أن تسميتهم الأغنية به (أي بالقد) أنسب لما في الأغاني من وصف قدّ المليح والتشبيب بتثنيه - والقد بمعنى القوام قافه مفتوحة وكذلك نسمعهم يجمعون القد بمعنى الأغنية على قدود ولو كان بالكسر لجمعوه على أقداد مثل نِدّ أنداد وضد أضداد •

(تريض)

ويقولون (حديقة لتريض الأطفال) صوابه لتروّض الأطفال لأن فعله الثلاثي واوي (راض يروض) والمتعدّي (روّضه يروّضه) والمطاوع (تروّض تروّضاً) بالواو لا (تريّضاً) على أن المعروف في مطاوع روّضه (الارتياض) لا التروّض فصواب الصواب أن يقال حديقة (لارتياض الأطفال) واذا كان ولا بد من التفعل فليقل (تروّض) لا (تريّض) .

(التنويه)

ويقولون مدير الجريدة : أرجأنا المقالة الى العدد الآتي فاقتضى التنويه ، التنويه بالشيء أو بفلان معناه تعظيمه ورفع الصوت بذكر اسمه ورفعة شأنه ولكن درجت كلمة التنويه على الألسنة بمعنى التنبيه وهو خطأ فالأولى أن يقال أرجأنا المقالة فاقتضى التنبيه . ولعل التقارب بين اللفظين هو الذي أورد الأقلام والأفهام هذا المورد .

(المرابطة)

ويقولون (شارع ضيق وفيه مرآب ترابط فيه السيارات) مرادهم بفعل ترابط أن السيارات تقيم فيه أو تبيّت فيه أو تستودع فيه ونحو ذلك ، أما فعل رابط يرابط فلا يحسن أبداً أن يستعمل مع السيارات وأشباهها حتى ولا مع الحارس والشرطي حين يلازم مخفره للحراسة .

وفعل (رابط يرابط) إنما يستعمل عند البلغاء في مقامين :

(١) إقامة الجنود بخيولهم على الحدود متربصين للعدو فلا يفجأ أرض الوطن فيقال لنا جيش قوي يرابط على حدودنا . وكان صلاح الدين الأيوبي اذا هادن الصليبيين صرف جنوده الى أهليهم وبقي في فئة من مماليكه وخاصة جنده يرابط على الحدود .

(٢) إقامة الصوفي والزاهد في رباطه أي زاويته يرابط ويجتهد في العبادة وقيام الليل . كأنه يجاهد نفسه ويدافعها عن الشرور والآثام . وكان ابراهيم بن أدهم يرابط في رباطه على ساحل بحر الروم بعبد الله ويرقب قرصان العدو وكان رباطه في جبلة أو على مقربة منها فنسبت اليه وقيل جبلة الأدهمية .

في هذين المقامين يستعمل فعل (رابط يرابط) فلا يقال رابطت السيارة في المرأب ولا رابط الشرطي في المخفر ولا قاطع الطريق في مكان كذا .

(الشجب)

ومنها قولهم (عرض الأمر الفلاني على الوزير فشجبه) وهذا الخطأ في استعمال فعل (شجب) قديم على ألسنة كتابنا المعاصرين وهم يريدون به معنى استنكار الشيء واستقباحه ووجوب رده . وليس معنى (شجب) في اللغة ما توهموا . وإنما معناه الحزن والهلاك : شجب زيد حزن وشجب عمرو هلك وشجب الله فلاناً أهلكه . فيمكننا أن نستعمل مكان (شجبه) بمعنى عدم الرضا منه - تنكره وأنكره واستنكره وقبحه واستقبحه ، واستبشعه وعابه ورده ولام عليه ، ولم يرض عنه الخ الخ .

(الغيرة)

ومن عثرات الأقلام كسر أول (الغيرة) مذ يقولون (اذا ولد للصغير أخ استولت عليه الغيرة) وصواب الغين فتحها . ومثلها كلمة (الحيرة) يكسرون حاءها والصواب فتحها . ويستثنى من ذلك بلد (الحيرة) في العراق فان حاءها مكسورة .

(المرئاب)

ومن الأغلاط قولهم (فينبغي إلغاء هذا المرئاب) وصوابه (المرأب) على وزن مَفعل (اسم مكان) لا على وزن مِفعال (اسم آلة) : المرأب مكان تُرأب أي تصلح فيه السيارات أو تودع : كالمخزن مكان تخزن فيه الغلال والبضائع ونحوها .

(طِيلة)

ومن عثرات الأقلام قولهم (لم ينم المريض طيلة ليلته) كلمة طيلة شاعت على الألسنة شيوعاً ملحاً بل مملاً مراداً بها طول الزمن مع أن اختها كلمة (طول) أقدم في استعمال الفصحاء وأخف على الأفواه والأسماع : فهم يقولون طول الليل وطول النهار وطول السنة ولا يستعملون طيلة للزمان إلا في مقام واحد كما يفهم من كتب اللغة وهو مقام الدعاء بقولون (أطال الله طيلة الأمير) أي عمره ولا أظن الكاتب المتقن يستجيز لنفسه استعمال (طيلة) إلا في مثل هذا المقام وهذا إمام اللغة (ثعلب) جمع الكلمات الفصحى الجديرة باستعمال الكتاب فلم يذكر طيلة وإنما ذكر طوال بفتح الطاء فقال (لا أكلك طَوالَ الدهر) أي مدى الدهر فهو رجحها في فصاحة الاستعمال على أختها (طول الدهر) فما تراه فاعلاً لو قلنا (طيلة الدهر) ؟ بل الأغرب من ذلك أنهم استعملوها في المكان فقال قائلهم (وكانت أقواس النصر منتشرة على طيلة الطرقات) ؟ ؟ وربما فتحوا طاءها فقالوا طَيْلة ! ! !

(عِبْر)

ومثل ولوع الكتاب بكلمة (طيلة) ولوعهم بكلمة (عبر) بكسر العين وسكون الباء . وكأنه مترجماً ترجمها عن كلة فرنسية فشاعت وسواء كانت الترجمة في محلها أو في غير محلها فان الكتاب حتى المعروفين منهم أسرفوا في استعمالها . ففي صفحة واحدة تقرأ (تجارة أفغانستان عبر الباكستان) (سافروا الى الكويت في سلسلة الرحلة التي يقومون بها عبر العواصم العربية) (الولوج الى عوالم عبر هذا العالم) دع عنك قولهم (عبر الأيام) و (عبر الصحراء) . ولا نفهم لمعنى (عبر) في استعمالاتهم الا ما تفيده كلة (داخل) (خلال) بل ان حرف الجر (في) يغني عنها . ويريح الأسماع منها ، وفي القرآن (أفلم يسيروا في الأرض)

ولو قالها كتاب اليوم لقالوا (عبر الأرض) ، والعبور في اللغة مرور شيء في شيء أما (عبر) فيقال في اللغة (عبر الوادي) شاطئه أي أحد جانبيه . ومثله عبر النهر . فيكون معنى (عبر الصحراء) أحد جانبيها وهم بالطبع لا يريدون هذا وانما يريدون معنى آخر تفيده كلمة افرنسية أو انكليزية لاطئة في أذهانهم . فقولهم السابق (تجارة أفغانستان عبر الباكستان) إن أرادوا من عبرها استقرار التجارة فيها صلح أن يقولوا (في الباكستان) أو (داخل الباكستان) وإن أرادوا من عبر الباكستان ان التجارة تجتازها وتمر فيها مروراً (ترانزيت) ـ ولا نظنهم يريدون هذا ـ فعندها يصلح أن يقولوا تجارة الأفغانستان مجتازة أو مارة بالباكستان أو يقولون اجتياز التجارة أو مرور التجارة أو عبور التجارة أما (عبْر الباكستان) فلا يعرف العرب استعمالها بمعنى (في) ولا بمعنى اجتياز وانما يعرفونها بمعنى الشاطئ والجانب الآخر من الصحراء والنهر والوادي .

(سواح)

ومن العثرات قولهم (قافلة سوّاح تمر بدمشق) وصواب سواح بالواو أن يقال (سيّاح) بالياء لأن فعله ساح يسيح : أي انه فعل يائي لا واوي .

(بيعة)

ومن عثرات الأقلام قولهم (وبعد أن تمت البيعة للملك جرى كذا وكذا) يلفظون (البيعة) بكسر الباء وهو خطأ لأن بَيعة الملك بمعنى مبايعته والحلف على الإخلاص له فباؤها مفتوحة أما بِيعة المكسورة الباء فهي معبد النصارى وتجمع على بِيَع ويقال لها كنيسة أما الكنيس من دون تاء التأنيث فهو معبد اليهود .

(غيلة)

ومنها قولهم (قتلوه غيلة) يفتحون أولها أي يفتحون حرف الغين وصوابها الكسر وهي اسم مصدر بمعنى الاغتيال . وهو أن يقتل رجل آخر من حيث لا يشعره أنه يريد قتله .

(مغرّض)

ومن عثرات الأقلام تشديد (المغرض) فقد سمعت من تقول في الإذاعة وفلان معروف انه (مغرِّض) أو (من المغرِّضين) تعني أصحاب الأغراض والغَرَض الهدف وأغرض أصاب الغرض وأصبحوا يريدون من المغرض الذي له قصد سيئ أو مصلحة شخصية في أمر من الأمور . وهذا الاستعمال للغرض مولد دخيل وقد أجزناه لهم بشرط أن يشتق من أغرض فهو مغرض بتخفيف الراء أما (مغرّض) بتشديدها فله معان أخر لا تناسب معنى القصد السيئ .

(التأخلق)

ومن العثرات الغريبة قولهم في نشرة مصرية (الدعوة الى التأخلق بالأخلاق الإسلامية) ومرادهم بالتأخلق (التخلّق) أي الاجتهاد في جعل الأخلاق الاسلامية عادةً للمرء وطبعاً راسخاً في نفسه . فلماذا تركوا (التخلق) وهو المعهود الاستعمال في كلام الفصحاء وآثار السلف وعدلوا الى (التأخلق) الذي لا يمت الى اللغة ولا الاشتقاق الصرفي بصلة ما : كأنهم ظنوا أن الهمزة في كلمة (أخلاق) أصلية فهم يدخلونها في بناء فعل تأخلق وليس الأمر كذلك وهذا الخطأ يشبه خطأهم في قولهم (تأرجح الأمر بين كذا وكذا) وقولهم (كان الدخان يتأرجح في سماء المدينة) وصوابه (يترجج) لكنهم توهموا أن الهمزة في (أرجوحة) أصلية فأدخلوها في الفعل . وكانوا قديماً يقولون خطأ أيضاً (تمرجح الأمر) على توهم أن ميم (مرجوحة) أصلية وليس كذلك فلا الميم ولا الهمزة بجائز أن تدخلا في الفعل وانما الصواب أن يقال (ترجّح) أي تردد بين الجهتين والجانبين : تارةً يمنة وتارةً يسرة .

(مميّزة)

ومن عثرات الأقلام تشديد كلمة (ميزة) فيقولون مثلاً أن لتاريخنا العربي (ميّزة) على سائر التواريخ . مع أن ميزة على وزن ميرة لا تشديد فيها : وهو اسم مصدر لفعل ماز يميز كما في شرح القاموس .

(حقل)

ومن عثرات الأذهان ولوع الكتاب بكلمة (حقل) في قولهم فلان أحد العاملين في حقل الحركة التحريرية ولو حذفوا كلمة حقل لحسن المعنى ووافق أسلوب كتابنا الأقدمين ولوافقوهم أيضاً لو قالوا (في ميدان الحركة التحريرية) ولعمري ان تشبيه رجال الحركة بالعاملين في الميدان خير من تشبيههم بالعاملين في الحقل ! ! !

(آذان)

وسمعنا الراديو بل أحد المذيعين على لسانه يقول (نحن الآن بانتظار آذان المغرب) بمدّ همزة آذان ، وآذان بالمد جمع أُذُن وهي الجارحة التي نسمع بها فصوابه (أذان) من دون مد الهمزة ومعناه التأذين وإعلان وقت الصلاة . وهذه الغلطة من الراديو كانت تتكرر ثم تُصَحَّح ثم يعاد اليها . نعم إذن سبق لسان . وتكرار التنبيه يؤدي الى فرط الانتباه .

★ ★ ★

ولا ينبغي أن يستهان بتصحيحات هذه الأغلاط ولا سيما ما وقع منها في الإذاعة لأن المستمعين والمستمعات يعدون بالألوف وليس كلهم ممن ينتبه الى الصواب فيها فاذا علقت الغلطة المتكررة ـ وهي ستتكرر بالطبع ـ بسمع مثير مثلاً من الضعاف في اللغة واستأنسوا بها واستعملوها في كلامهم لا جرم أن الخطأ فيها يسهل على من حولهم . فتسري العدوى . وتعم البلوى .

المغربي

الخزانة الشرقية

الجزء الأول طبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة « ١٩٥٢ »

— ٢ —

٦ — وقال في « ص ٦٧ » من ذلك الجزء « ثم حضر الصاحب أيضاً مجلساً في عكبرا وهي بليدة في نواحي دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، مشهورة بجودة الخمر .. » .

والصحيح أن عكبرا لم تكن أيام الصاحب بن عباد من نواحي دجيل ، قال ابن عبد الحق في مَراصد الاطلاع الذي هو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي وتتبع لأوهامه «عكبرا : بضمّ أوله وسكون ثانيه وفتح الباء الموحدة ، وقد يُمدّ ويقصر بُليدة من ناحية دجيل ... قلت : كانت عكبرا من الجانب الشرقيّ على شاطئ دجلة فلما استحالت دجلة الى جهة الشرق صارت دجلة تحتها تسمى الشطيطة وخربت وانتقل أهلها الى أوانا وغيرها وصار ما في شرقيّها الى دجلة من عمل دجيل ويسمى الآن المستنصري ، لأن الامام المستنصر استخرج لها نهراً يسقيها من دجيل ووقفه على آدُر المضيف التي أنشأها في محال بغداد لفطور الفقراء في شهر رمضان» . فاستحالة دجلة الى الشرق وخراب عكبرا كانا على عهد المستنصر بالله « ٦٢٣ — ٦٤٠ هـ » أي بعد عصر الصاحب بن عباد بسنين كثيرة ، وأما قبل ذلك فكانت عكبرا من شرقي دجلة مع أنّ دجيلاً من غربيّها دائماً . فلا يصح أن تكون عكبرا من نواحيه ، وبعد انتقال دجلة عنها وخرابها لم تبقَ فائدة في ذكرها سوى الفائدة التاريخية كالتي ذكرناها الآن .

٧ — وتكلّم في « ص ٧٤ » من الكتاب على « الفقراء المخرّبين » وقال « يصعب جداً تعيين الزمن الذي أُطلق فيه لقب المخرّبين على الفقراء الذين عرفوا بالاستهانة بالشرائع والآداب واستباحة المحارم والمآثم ، ولذلك صار طابع كتاب

الحوادث الجامعة لابن الفوطي - يعنيني أنا نفسي - ولم يدْر له توجيهاً ...» .
وقد صدق الرجل في أني لم أهتد يومئذ الى معنى «التخريب» ولا هو اهتدى الى أصله بل ذكر شواهد على استعماله ، وقد إشتهر الفقراء القلندريون بالاستهانة بالشرائع واستباحة المحرّمات ، ويظهر لي أن «التخريب» مأخوذ من «خراب النفس» الذي سمّاه الفرس «خَرابات» وسموا الذي لا ينتهي عن منكر ولا يأنف من عمل قبيح ولا يلتزم الفرائض «خَراباتي» فالتخريب عندي أن يكون الانسان «خراباتياً» أي غير مبالٍ بما يجب عليه أدباً وشرعاً ؛ قال الأستاذ المحقق عباس العزاوي في سيرة «الشيخ مصطفى المولوي الخراباتي» :

« وهذا الدرويش كان من الملامتية ... أكثر الناس من التقوّل عليه بأنه لا يبالي (خراباتي) والله أعلم بحقيقة الحال »[1] . ولقائل أن يقول إنّ الخراباتي يجوز أخذه من «الخرابات» أي المواضع الخربة ، ودلت الخرابات على المغارات عند الفرس ، فالسّادر الذي لا يبالي يأوي الى المواضع الخربة كما يفعل كثير من الدراويش والفقراء وهناك يفعلون ما يفعلون ، وقد استعملت «الخرابات» في الشعر العربي كما في قول نجم الدين ابراهيم بن هاشم النيلي يهجو عز الدين أبا الفضل عامر بن عامر البصري من أهل القرن السابع :

يحبك ربع في خرابات باطني غدا عامراً والبالُ بالٍ وداثرُ
وذلك شيء من عجائب دهرنا فوا عجباً إذ في الخرابات عامر[2]

٨ — وذكر من المخرّبين «علي بن أبي الحسن بن منصور الحريري» المتوفى سنة «٦٤٥»هـ كما في ذيل الروضتين «ص ١٨٠» وتاريخ أبي الحسن الخزرجي وفيها أو في سنة «٦٤٦» كما في النجوم الزاهرة «ج ٦ ص ٣٥٩ — ٣٦٠» أو في سنة «٦٤٦» كما في الموسوم بالحوادث الجامعة « ص ٢٣٥ » وقال :
« ونشأ له تلامذة وأتباع مشوا على منهاجه في التخريب الديني والأدبي وتجاوزوهما

---

(١) العراق بين احتلالين « ج ٥ ص ٥٣ » .
(٢) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي « ج ٤ ص ١٤ » من نسختنا الخطية .

بارشاده الى التخريب المادي فكانوا يهدمون كل ما تناولتــه أيديهم من معابد النصارى ونص ابن شاكر على أن خراب كنيسة المصلّبة أي كنيسة حنانيا بدمشق سنة « ٥٨٠ / ١١٨٤ » وتحويلها الى مسجد قام به رجل حريري في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولم يدرك المستشرق سوڤير فيما نقله من عيون التواريخ الى الفرنسية معنى لقب «الحريري» فترجمه Marchand de soie بدلاً من « Partisan de la secte Haririeh » .

وهذا قول يحدو على العجب فان « عليّاً » هذا كان يقال له « الحريري » قبل أن يؤسس الطريقة الحريرية ولم يكن حريرياً وحده بل كان معه « حريريون » فان سلمنا أن ولادته كانت سنة « ٥٥٥ » هـ لأنه توفي منيفاً على التسعين كان عمره سنة أخربت كنيسة المصلبة (أي سنة « ٥٨٠ ») خمساً وعشرين سنة فكيف نشأ له تلامذة وأتباع مشوا على منهاجه في التخريب الديني والأدبي حتى تجاوزوهما الى التخريب المادي ؟ وهو في هذه السن ؟ وكيف تجوز طريقته في مثل أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب الملك الحريص على جملة الاسلام ونفصيله وتفاريقه ؟ ومتى هدم الرجل بناءاً من الأبنية حتى ينسب أتباعه وتلامذته الى مثله ، ولِمَ لَمْ يباشر ذلك بنفسه وهو في ريعان شبابه ؟ فالصحيح أن طريقة الحريرية لم تكن معروفة سنة « ٥٨٠ » هـ وأن « الحريري » الذي سعى في هدم الكنيسة كان حريرياً يحوك الحرير أو يشتغل به كسائر الحريريين يومئذ وأن المستشرق سوڤير قد أصاب في ترجمته وأن الباحث الفاضل واهم فيما قال .

٦ — وقال في « ص ٩٣ » مستقصياً ما ورد من « مفعول ومفعولة على مفاعيل » على زعمه :

« منع أهل اللغة أن يقال مشعوب بدلاً من تعب ، ومع ذلك فقد أجازه الجاحظ كما تقدم من كلامه آنفاً » . وكلام الجاحظ المقدّم هو « مباهير كثيرات التعب ومباهير متاعيب قد علاهم البهر » .

وليس في «متاعيب» دليل على أن المفرد «متعوب» كما ظن الرجل، لأنّ «مفاعيل» مشترك بين مُفعَّل كمذكَّر ومذاكير من أسماء المفعول و«مُفعَل» اسم مفعول أيضاً كمسند ومسانيد ومُرسَل ومراسيل ومصعب ومصاعيب ومنكر ومناكير ومُفرد ومفاريد، و«مُفعِل» اسم فاعل كمُطفل ومطافيل و«مِفعال» كمذباع ومذابيع و«مِفعيل» كمسكين ومساكين و«مفعول» كمضمون ومضامين (1)، فالمتاعيب جمع «المتعَب» اسم مفعول من «أتعبه إتعاباً» فتأمل ذلك واعجب من رجل لم يدرس الصرف حقّ دراسته ويدخل نفسه في مسائل صرفية كالتي قدّمنا ذكرها.

١٠ — وقال في «ص ٩٤» في الجمع المذكور «مجهود مجاهيد» ونقل من معجم البلدان «أقمت بمصر فرأيت أهلها مجاهيد» وقول القاضي الفاضل «مساكين يعملون في البحر ومجاهيد يدأبون». والمجاهيد هنا جمع «مُجهَد» اسم مفعول من «أجهده إجهاداً» فهو كالمتعب والمتاعيب، وعلى قياسه الصرفيّ. ثمّ إنّ «المجهود» من المصادر التي جاءت على «مَفعول» كالمجلود والمحلوف والعرب تخشى جمع «المجهود» اسم المفعول على مجاهيد لئلا يلتبس بجمع المصدر المذكور.

١١ — وقال في «ص ٩٤»: «محووج محاويج» لأبي العلاء:

ما اليسر كالعدم في الأحكام بل شحطت حال المياسير عن حال المحاويج

ولم يفطن إلى أنّ «المحاويج» جمع «المِحْواج» أي المحتاج أو الكثير الحاج بإجماع من ذكره من اللغويين وهم كثير. وقد أغرب أيضاً في تصحيحه «تاريخ قضاة الأندلس» بقوله «ص ١٢٤» من التصحيح «المجاذيم جمع مجذوم

(١) يضاف الى ذلك أنّ اشباع كسرة ما بعد الألف من صيغة منتهى الجموع حتى تصير كسرة جائز كزورق وزواريق ومذبح ومذابيح ومنه «ثنية المذابيح التي ذكرها الباحث الفاضل في مقالته «ص ٩٦» فظنها جمع المذبوح. وكذلك فعل بالمقول والمقاويل في «ص ١٠٣» ظنه جمع «مقول» اسم مفعول وبالملابيس جمع ملبس في «ص ١٠٣».

أو المحاويج جمع محوج أي الفقراء » فليسائل نفسه لماذا جمع هناك « المحوج » على « المحاويج » ؟ إنه بعيد عن هذا الفن الذي تكلّفه تكلّفاً ظاهراً ، فكان عليه أن يتوقّى الوهم كثيراً .

١٢ — وقال في « ص ٩٥ » من كتابه « محروق محاريق » قال العتبي :

ولي صاحب سرّي المكتّم عنده محاريق نيران بليل تحرّق

نقل ذلك من « المحاسن والمساوئ ٢ : ٥٩ » . والنصّ الذي نقله فيه تصحيف فهي « المخاريق » بالخاء المعجمة لا « المحاريق » كما ظنّ . قال المبرد في الكامل « وقال آخر :

ولي صاحب سرّي المكتّم عنده مخاريق نيران بليل تحرّق »

فقال الدلجوني الأزهري في شرحه « ج ٢ ص ٢٣٦ » من طبعته « مخاريق نيران : جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلفّ ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً ، استعارها للشعل التي تشعل النار فيها ، شبه السرّ عند صاحبه الذي أوصاه بكتمانه بشعل النار التي تحترق بالليل ، يريد أنه لا يكتم سراً » .

قلت : وأورد صاحب جمهره أشعار العرب قول عمرو بن كلثوم :

كأنّ سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدي لاعبينا

وقال « المخاريق : ثياب صغار يلعب بها الصبيان ويضرب بها بعضهم بعضاً وقيل عيدان » (ص ١٦٣) ثم أورد قول قيس بن الخطيم « ص ٢٤٧ » :

لقيتكم يوم الخنادق حاسراً كأنّ يدي بالسيف مخراق لاعب

وقال « المخراق : ثوب يجعله الصبيان مفتولاً في أيديهم يتضاربون به » . وأيًّا كان فهو ليس بمحروق .

١٣ — وقال في « ص ٩٦ » في البحث نفسه « مخموص مخاميص ، من قولهم : خمصَ الجوع فلاناً فهو مخموص قال زهير بن سهم المرادي من أبيات :

وابن المنيح ومرداساً وإخوته إذا فارقوا زهرة الدنيا مخاميصا

نقل ذلك من أنساب الأشراف للبلاذري ٤ : ٨٨ » . وكان المبرد قد نقل هذا البيت وما معه في الكامل « ج ٣ ص ١٥٦ — ٧ » ونقلها من كتابه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة « مج ١ ص ٤٥٣ » قال الدلجوني الأزهري « مخاميصا : أي ضامري البطون ، كناية عن الزهد في الدنيا وقلة ما يملكون منها رغبة عنها » . وعلى هذا يكون مفرد الخاميص « المِخماص » لا المخموص ، فهو مثل « المِحواج والمفضال والمقدام » أدلّ على المبالغة ، وليس من دليل في الشعر ولا في الكتب التي ورد فيها على أنه جمع مخموص » . والفعل « خمَص » ورد متعدياً ولازماً فالمخماص من اللازم .

١٤ — وقال في « ص ٩٦ » أيضاً مذكور مذاكير ، لأبي الشبل البرجي (كذا) في رثاء سراجه :

وليس يقوى بروقه جبل صلد من الشمَّخ المذاكير »

والصحيح أن « المذاكير » هنا جمع « المذكّر » اسم مفعول بتشديد الكاف والمذكّر عند العرب كلُّ ما يدلُّ على القوّة والشدّة والصلابة ، ولا معنى لمذكور هنا في وصف الجبل ، كما هو بيّن للمتأمل المدرك معاني كلم العرب .

١٥ — وقال في « ص ٩٧ » نقلاً من الأغاني ١٣ : ٢٨ لأبي الشبل البرجي في رثاء سراجه :

يلتهب الموت في ظباه كما تلتهب النار في المساعير

قال « مسعور مساعير » يعني أنّ « المساعير » في البيت جمع « مسعور » ، ولم يفطن للمراد بالمساعير مع أنّ استعمالها كالأسماء لا كالصفات كان حرىً [1] أن يبعثه على التفكير في حقيقتها ، فالمساعير جمع « مسعار » وهو ما تُسعر به النار كالقبَس والأشياء السريعة الاحتراق والالتهاب ، وليس بين الأسماء « مسعور » بالاطلاق حتى يدّعي أنه اسم جمع على « مساعير » وانما يقال نار

(١) بفتح الحاء والراء والقصر .

مسعورة ورجل مسعور أي أكول مستكثر وناقة مسعورة لا تستقر من القلق .

١٦ — وأثبت في «ص ١٠١» معروفاً ومعاريف قال في «العقود اللؤلؤية للخزرجي : وصل كتاب بعض معاريفه من أهل تعز» . والصحيح أن «المعاريف» أصلها «معارف» يقال «هو من المعارف أي المعروفين» ، كأنه موضع للعرفان ، ثم أشبعت الكسرة فأصبحت «معاريف» وقد ذكرنا جواز الاشباع في حاشية سابقة ، وليس في النص المنقول نصٌّ على المفرد فينبغي أن يخرّج على الوجه المستعمل المقبول .

١٧ — وقال في «ص ١٠٥» «منكول مناكيل، لابن الجندي الشاعر الحمصي:

فكيف يرجون عهداً للذين هم بهت شحاح مشائيم مناكيل»

فمناكيل ان لم يكن تصحيف «متاكيد» فهو جمع «منكال» للكثير النكول وليس للمنكول وجه لأنّ فعله لازم ولأنه لا يلائم معنى البيت .

١٨ — وقال في «ص ١٠٦» أيضاً «ميسور مياسير» والصحيح أن «مياسير» جمع «موسر» اسم فاعل من الرباعي «أيسر إيساراً» وقد ذكرنا ان «مُفعلاً» اسم الفاعل يجمع تكسيراً على مَفاعيل ، في أول الكلام على هذا الجمع ، والمُوسر : هو الغنيّ وضد المُعسر . قال الجوهري في الصحاح «ورجل مُفطر وقوم مفاطير مثل مُوسر ومياسير» .

١٩ — وتكلم في «ص ١٤٠» على رزق جماعة من وزراء بني العباس كأبي العباس الخصيبي وأبي الحسن بن الفرات وقال بعد ذكر خبر من الأخبار «ومن هذه الملحة يتضح أن رزق الوزير في أواخر الدولة العباسية في الساعة الواحدة كان يوازي رزق العامل في أوائلها الشهر كله» . والحقيقة أن هؤلاء الوزراء كانوا أقرب عهوداً وأزماناً الى أواسط الدولة العباسية فان الوزير أبا الحسن بن الفرات قتل في الربع الأول من القرن الرابع للهجرة ، وأواخر الدولة العباسية تبدأ من بعد القرن الخامس للهجرة ، ولم يبق رزق الوزير في أواسطها ولا في أواخرها على ما ذكره الباحث الفاضل ، قال ابن الطقطقي في سيرة الوزير عون الدين

يحيى بن هبيرة المتوفى سنة «٥٦٠» «وما زال ينتقل من خدمة الى أخرى أرفع منها حتى تقلد الوزارة للمقتفي فمكث فيها مدّة ومشاهرته في كل سنة مائة الف دينار[1]» . وقال ابن خلكان في سيرته «وكان اقطاعه عشر مُغلّ البلاد على جاري عادة وزراء الدولة السلجوقية»[2] . ومُرادنا إثبات تغير الرزق الوزيري في أواخر الدولة العباسية لا الاستدراك على الباحث الفاضل فذلك باب واسع .

هذا ما استوقفنا في أثناء تصفّحنا هذا النافع من الكتب ونحن نُعيد ما قاله الباحث الفاضل في «ص١١٨» خاصاً بالنقد قال «ولا بأسَ أن نعدّد كل ما مرّ بنا منها عملاً بحقوق النقد وغيرةً على العلم أن تلحقه شبهة أو ريبة» .

وهذا جدول حاوٍ غلط المؤلف في إنشائه وغلط المطبعة في حروفه .

ص	الغلط	الصواب	ص	الغلط	الصواب
د	تنبئ عما غبر	عما مضى	١٦	نيف ونصف	نصف قرن أو أكثر
د	كاف لاضاءة	كافٍ في إضاءة	٢٢	كما تدل عليها	كما تدل عليه
د	التردّد على دور	التردّد الى دور	٢٥	لا آلوك	ولا آلوك
هـ	والأنسجة	والنُّسُج	٢٦	يتطف	يُقتطف
هـ	تعريب	ترجمة ونقل	٢٦	يقتضي طبعاً	يقتضي بالبداهة
هـ	القيود	التقييدات	٢٨	لا يعرفون سواهم	لا يعرفون من سواهم
و	وسنتبعها بكتاب	... كتاباً	٢٩	كافية لتعريف	كافية في تعريف
ز	واختُصَّ كلٌّ	واختَصَّ[3]	٣٠	التعصب والتشيع	التعصب والنصب
ز	كافية لنشر	كافية في نشر	٣٠	فلقوا كافور	فلقوا كافوراً
ح	لقاء ما تقتضيه	مقابل ما تقتضيه	٣١	الى سواه	الى مَنْ سواه
ح	تكبدنا من أجله	كابدنا من أجله	٣٢	كيف أنه لم يلبث	كيف لم يلبث
ا	التوثق من	التوثق في	٣٣	اعتقاده بصحة	اعتقاده صحة

(١) الفخري «ص ٢٢٩» من الطبعة المصرية الأولى .
(٢) الوفيات «ج ٢ ص ١٨٧» من طبعة بلاد العجم .
(٣) لأن الرغبة من الفاعل .

ص	الغلط	الصواب
٣٤	أبو عمر الهذلي	أبو معمر الهذلي
٣٧	فتنذر به	فتنذّر به
٤١	ابن الطقطي	ابن الطقطقي
٤٦	والدقة في الرواية	والتدقيق في الرواية
٤٦	لم يكن ليجهل	لم يكن يجهل
٤٧	يجيز ذلك	يجير ذلك
٥٣	بعض اشارات	إشارات قليلة
٥٥	لم أشجه	لم أشجُهُ
٥٧	أثناء مروره	في أثناء مروره
٥٧	بالتروي	بالتروية
٥٨	يجيب على الكتاب	يجيب عن الكتاب
٥٩	لاتكفي لتصوير	لاتكفي في تصوير
٥٩	أنعموا العالم	أنعموا العالمين
٦٠	والشيخ أبي الحسن	... أبو الحسن
٦٠	يُغدقون الأرزاق	يُدرّون الارزان ويُجرونها
٦٧	نال الليل تحيرا	بات الليل
٧٠	أمير فارقين	أمير ميافارقين
٧٥	وضع الفقراء	وضع الفقهاء
٨٤	ابن ابي الصفر	ابن أبي الصقر أحسن
٨٧	فتيان من الشاغوري	فتيان الشاغوري
٨٨	لابن ظهير الاربلي	لابن الظهير الاربلي
٨٨	ابن نقادة	ابن نفاذة
٨٩	ازخراً وحليلاً	اذخراً لا حليل ولا منزعجا
٩٠	تعدّ بالآلاف	تعدُّ بآلاف
٩١	طافت بها الحدائق	أطافت بها الحدائق
١٠٧	أمداح	مديح ومدائح
١٢٦	راق لنا	راقنا
١٣٣	يحاجي عن نفسة	يحاجُّ عن نفسه
١٣٣	رغبت به	رغبت فيه
١٣٧	واقتدين بذلك	... في ذلك
١٤٢	عارضه على ...	عارضه به
١٤٨	أحد عشر نفراً	أحد عشر إنساناً
١٤٨	ابن أسباط المغربي	الغَرَبي
١٥١	أروبة	أوربّة
١٥٦	ادّعى أنه سعيد بن المسيّب ولا يمكن ذلك تاريخاً	
١٦٣	بقتات بها	يقتاتها
١٦٤	ابن القلونسي	ابن القلانسي

وسننشر ملاحظاتنا على الجزء الثاني من الخزانة الشرقية قريباً إن شاء الله تعالى .

(بغداد) . مصطفى جواد

غلط مطبعي

في مقالة كتاب الفنون

جاء في الجزء الأول من المجلة «مج ٢٩ سنة ١٩٥٤» :

ص ٣٧ «العاظمية» ص ٤٠ «أبو يعلى محمد بن الحسين ابن عقيل» ص ٤١ «القيّمة النسخ» ص ٤٢ «وهوى القرآن» ص ٤٣ «الدامغاني الحنفية» ص ٤٤ «يذكّر في الزبير» ص ٤٦ «الماحن» ص ٤٧ «تبلى نداك» .

والأصل «الكاظمية» «أبو يعلي محمد بن الحسين ابن الفراء وهو شيخ ابن عقيل» «السقيمة النسخ» «وهو في القرآن» «الدامغاني الحنفي» «يذكّرني الزبير» «الماجن» «يَبلى نداك» .

(بغداد) مصطفى جواد

ملاحظات على مصطلحات كيمياوية

— ١ —

في الجزء السادس من مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية المطبوع سنة ١٩٥١ (وقد حصلتُ عليه حديثاً من مكتبة السادة عيد) اطلعتُ على (مصطلحات علم الصحة ص ١٤٥) وعلى (مصطلحات كيميائية ص ٢٦٤) . وبما أنّ هذه المصطلحات تدخل في نطاق اختصاصي رأيت أن أبدي رأيي في بعض منها على صفحات مجلتنا ، فقد لا تخلو المقابلة بينها وبين ما اصطلحتُ عليه من فائدة لانتقاء الأصلح وما هو أكثر ملاءمة للمعنى المطلوب . أما مصطلحات علم الصحة فلم أتعرض منها إلا لما كانت له علاقة بالكيمياء .

صفحة ١٤٥ عمود ١ سطر ١٣ — اللبن مع عباد الشمس (tournesol) litmus Milk ·

قلت : اللبن المُعَبْشَم ، منحوتةٌ من (عباد الشمس) · وفي هذا النحت من سهولة الاشتقاق ما لا يخفى على المشتغلين بوضع المصطلحات · فيقال مُعَبْشَم tournesolé وعَبشَمَ tournesoler الخ ·

صفحة ١٤٥ عمود ٢ سطر ١ — معيار الجراثيم bacteriological standard ·

قلت : مُمَوْثَل الجراثيم ، منحوتةٌ من (نموذج ، مثال) كما تفيده الكلمة الافرنجية · ومنها يشتق : تَمَثْلَ standardiser وتَمَثْلَة standardisation ومُمَثْل standardisé · أما المعيار فهو لما يقابل كلمة titre · والمعيار آلة من (عيَّر الدنانير ، وزنها واحداً بعد واحد) فمعيار الشيء ما يختبر به صحته وجودته ، وليس هو نموذج للمقابلة عليه ·

صفحة ١٤٦ عمود ١ سطر ٨ — ماء غَرَواني colloid water ·

قلت : ماء غَرَوِيدي أو ماء مُغَرْوَد · باستعمال الوسمات الافرنجية المتفق عليها بين الكيمياويين : (ئين ine للقلويدات ، كينين مثلاً — آز ase للخمائر ، غولاز ، شحماز مثلاً) أما وزن فَعَلان فكان مجمع فؤاد نفسه قد قرر قياسيته لكثير من الحركات في علم الفيزياء [1] وليس في الماء المحتوي على الغرويد أية حركة أو اضطراب ليجوز وصفه بغَرَواني · وعندي أن المجمع لو قال (غَرْاواني) لجاء موافقاً لما قرره في جلسته السادسة ٢٢ نوفمبر [2] ١٩٤٣ !

(١) جلسته المنعقدة ١٨ شباط ١٩٣٥ انظر المجلة المذكورة ج ٢ ص ٩ .

(٢) من العجيب ألا يستبدل المجمع حتى الآن بأسماء الشهور الافرنجية الأسماء المشهورة الشائعة الوارد ذكرها في المعاجم العربية : آذار ، نيسان ، أيار ، حزيران ، تموز ، آب ، ايلول ، تشرين الأول (والثاني) ، كانون الأول (والثاني) ، شباط .

من أجل ترجمة الكلمات المنتهية بالوسمة [1] oid بالنسب مع (ان) مثل سمسماني ص ٧٥ نسبةً للسمسم .

ص ١٤٦ عمود ٢ سطر ٤ — تحلل كهربي électrolysis .

قلت : تحلل كهرباوي بالنسبة الى الكهربا لا الى الكهرب électron . فقد شاع استعمال كهرب لما يقابل (الالكترون) فلا يجوز أن يقال تحلل كهربي إلا اذا كان المقصود هو التحلل بسبب (الالكترونات) . أما التحلل الناجم عن تأثير الكهربا في المحلول فهو التحلل الكهرباوي . واصطلح بعض الزملاء بكلمة (حَلْكَبَة) . وبجمع فؤاد نفسه اصطلح على الـ alcoholyse بكلمة (التَحَلْكُل) ، والعجيب أنه لم يتخذها قاعدة ليقول (تَحَلْكُب) .

صفحة ١٤٧ عمود ١ سطر ٣ — تركيز ايونات الايدروجين hydrogen - ion concentration .

قلت : تركيز شوارد الهدرجين . ف (الايون) هو الشاردة جمعها شوارد . والهدرجين ، بالهاء لا بالألف وان كان لفظها في بعض اللغات الافرنجية (أ) لأن المجمع نفسه في ص ٢٦٤ ع ٢ س ١ يقول (الهديد) كما سيأتي ، فمن الصواب تجنب التناقض .

صفحة ١٤٧ عمود ١ سطر ٥ — طبقات لا نَفّاذة impermlable layers .

قلت : كَتيمة أو مَسِيكة . ولما كان المفهوم من الجملة (طبقات الأرض التي تمسك الماء) كان الأصلح أن يقال (طبقات كَتُوتة) . فالكَتُوت وزان فَعول الدالّ على القابلية هو ما يمسك الماء خاصةً . يقال سقاء كَتيت أي مَسيك . ومنها يسهل اشتقاق كَتُوتية لما يقابل imperméabilité .

صفحة ١٤٧ عمود ٢ سطر ٧ — تعدّن minéralisation .

(١) الوَسمة : يقابل suffixe .

قلت : تفلّز ، من (الفِلِزّ ، وهو جواهر الأرض كلها) . وأقصد به العمل الذي يتم به تحويل المعدن أو الجسم العضوي - بالحرق - الى فِلِزّ . ومنها : مفلّز mineralisé ، فلّز minéraliser . أما التعدين فهو لما يقابل استخراج المعادن من فلزاتها ، بالطرائق الصناعية métallurgie .

صفحة ١٤٧ عمود ٢ سطر ١٥ — تفاعل متعادل neutral reaction .

قلت : تفاعل معتدل ، من الاعتدال . أما المتعادل فهو المتكافئ أو المتساوي وليس هو المقصود من الكلمة الافرنجية neutre .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ١ — انحلال عضوي organic decomposition .

قلت : تحلل عضوي ، ويقصد به التفكك . أما الانحلال فيوافق dissolution وكذا الذوبان .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ٨ — غور percolation .

قلت : حَلْحَلَة ، من حلحلهم أزالهم عن مواضعهم وحرّكهم فتحلحلوا ، أقصد بها العمل الصيدلاني الذي تُستمد به جواهر النبات المؤثرة بإزالتها عن مواضعها من مسحوق النبات بمذيب مناسب . ومن مرادفات الكلمة الفرنسية : par déplacement وهو الإحلال ، من أحلّ : خرج) .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ١٤ — ت ١٠ · pH

قلت : ١ ٠ هـ ٠ من (أس المدرجين) لما يوافق puissance d'H رياضياً .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ١٥ — دلائل ت ١٠ · pH indicators .

قلت : مُشْعِرات ١ ٠ هـ ٠ ف (indicator) هو المشعر لا الدليل (guide) .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ١٦ — الفحص الطبيعي (الفيزيقي) للمياه plysical .

قلت : الفيزيائي ، مقابلة لكلمة الكيميائي . وكلمة (فيزياء) من وضع صديقنا وزميلنا الأستاذ عز الدين علم الدين منذ ٢٦ سنة ، شائعة الاستعمال . ولا يصح أن يقال (الطبيعي) نسبة للطبيعة naturel منعاً لكل لبس . وكذا القول في الكلمة التي بعدها (عوامل طبيعية) فالأصح : عوامل فيزيائية .

صفحة ١٤٩ عمود ١ سطر ٢٣ — طعم قابض styptic tast .

قلت : طعم عَفِص ، تخصيصاً للطعم . أما القابض فقد خصصناه لما يعقل البطن أي يمسكه فتقول: دواء مَسْكَلَة (وزان مَفْعَلَة) أو قابض (astringeant) .

صفحة ١٤٩ عمود ٢ سطر ١٩ — عَكَر turbidity .

قلت : كُدُورة ، من (كَدَرَ ، مثلثة الدال ، كَدَارة وكَدَراً محركة ، وكُدُوراً وكُدُورة وكُدْرَة ، نقيض صفا) . أما العَكَر فهو درديّ كل شيء أي رُسابته . وفي الكيمياء التحليلية ، مقياس يسمى (قياس الكدورة turbidimétrie) بُني على أساس الكُدُورة في المائع لا على أساس الثُّفالة أو التثفيل ، أو الرُّسابة والترسيب ، وبين المقياسين بون شاسع .

صفحة ٢٦٤ عمود ٢ سطر ٢١ — absolut alcohol .

قلت : غَوْل صِرف . كنت كتبت في مجلتنا (م ٢٩ ـ ج ٣ ـ ص ٤٧٤) كلمةً بعنوان (غول أم كحول) بيَّنتُ فيها أن الغول أصح من الكحول ، وذكرت أنه لو جاز استعمال الكحول لما يقابل alcohol لوجب أن تكون صفتها مؤنثة لا مذكرة أي (كحول صرفة) لأن (كُحُول جمع كُحْل) .

صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ٧ — قابلية الامتصاص absorbabilité .

قلت : مَصُوصية ، وزان فَعُولية من (فَعُول) الدال على القابلية . وبهذه الصيغة يسهل الوصف والإضافة كقولك مثلاً : مصوصية الجسم . أما بالمصطلح الأول أي قابلية الامتصاص فلا يمكن أن يقال إلا (قابلية الجسم للامتصاص) بإدخال لام الجر للتعليل .

صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ٨ — قابل للامتصاص absorbable .

قلت : مَصوص وزان فَعول الدال على القابلية . وبهذا الوزن يستغني عن لام التعليل .

صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ١٢ — شريط المَصّ absorption band .

قلت : شريط الامتصاص من (امتُصَّ) على المطاوعة لأن الشعاع الضوئي الوارد على السطح الماص يبدي في منظار الطيف شريطاً خاصاً به يوافق ما عاناه من الامتصاص .

صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ١٣ — طيف المَصّ absorption spectrum .

قلت : طيف الامتصاص ، وفق الشرح الآنف الذكر .

صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ١٤ — الدهيد aldehyde .

قلت : غوليد . ومنه غوليد الخل ، لما يقابل acétaldéhyde بإضافة الوَسْمة (يد) الى كلمة (غول) لأن (aldehyde) منحوتة من alcool dehydrogenatum .

صفحة ٢٦٤ عمود ٢ سطر ٦ — حمض الاسيتو أستيك aceto - acetic .

قلت : حمض خلّيل الخل (acetyl - acetic) أما (أسيتو) فقد أهملت بعد أن وضعت كلمة (أستيل) حسبما اتفق عليه في تسمية الجذور .

صفحة ٢٦٤ عمود ٢ سطر ٧ — استيل acetyl .

قلت : خلّيل ، تعريباً للكلمة الافرنجية .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٣ — لا حلقي acyclic .

قلت : لا دَوْري ، من (دَوْرة) لما يقابل cycle التي اصطلح عليها المجمع نفسه انظر ص ١٥٠ ع ١ س ٦ في كلمة (دورة الماء في الطبيعة) أما الحلقة فهي تقابل ring (anneau) ، عدا عما في استعمالها من اللبس بحلق (gorge : throat) حين النسبة اليه .

(يتبع) الكواكبي

« غيابات » (كواليس)

قرأت في العدد م ٣٠ ج ٢ ص ٣٤٧ من هذه المجلة مقالاً للأستاذ الفاضل محمد صلاح الدين الكواكبي في شأن كلمة « كوليس » ج « كواليس » ، كلمةٍ أعجمية فرنسية هجمت على متن لغتنا في هذا الزمن . وقد اقترح الأستاذ لفظة « دهليز » بإزائها . والذي يبدو لي أنْ ليس في « الدهليز » الخفاء الشديد الذي يلف « كوليس » . يضاف الى هذا أن مدلول الدهليز محدود مربوط : « ما بين الباب والدار » فمن المتعذر التلطف له من جهات . أعني إنْ جاز له من باب النقل أو من باب التخصيص أن ينم على أروقة دور الحكومة أو أبهاء الندوة النيابية حيث تجري أسرار وتحاك أمور فهيهات أن ينم على الأجزاء المستورة من بناء المسرح ، وهي « الكواليس » ، ووضعها بعيد عن هيئة الدهليز . ومن الكواليس انتقل المعنى في الفرنسية الى ميدان الأعمال وحقل السياسة .

هذا ومن قبل اقترحت لفظة « غَيابة » ج « غَيابات » لتلك الأجزاء المستورة (مسرحية « مفرق الطريق » القاهرة ١٩٣٨ ص ٣٤ ، القاهرة ١٩٥٢ ص ٥٣) . واللفظة في اعتقادي تصلح لمجال الأسرار كيفما وقع : في المسرح ثم في ميدان العمل وحقل السياسة وما اليها ، بشرط الخفاء . وفي مادة (غ ي ب) طاقة غزيرة من الخفاء ، حسبك قولهم : « سمعت صوتاً من وراء الغيب أي من موضع لا أراه » (أساس البلاغة) . و « الغيابة » فوق ذلك تفيد الاستتار في جملة مواقعها : النبات اذا أفلت من شعاع الشمس ، الأرض التي انخفضت عن مستوى الصعيد ، ومنها « غيابات الجب » (لسان العرب) ، بل « كل ما غيَّب شيئاً » (أساس البلاغة) . والذي يلزمه التغييب حتى لا يقع عليه بصر ولا ينفذ اليه سمع ولا يشهره ضوء تأهب الممثلين قبل جولانهم على خشبة المسرح وكذلك التهامس في زوايا الدوائر الحكومية والنيابية .

بشر فارس

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثلاثين

صفحة

٣٥٣	جرير (٢)	للأستاذ خليل مردم بك
٣٦٧	اللغة العربية في أفغانستان	للدكتور كارل شتولز
٣٨٠	كتاب الجليس والأنيس للمعافى بن زكرياء النهرواني	للدكتور ألبرت ديتريش
٣٩٥	فهرست مؤلفات محيي الدين ابن عربي (٥)	للأستاذ كوركيس عواد
٤١١	مقدمة المرزوقي لشرحه حماسة أبي تمام (٥)	للأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور
٤٢٧	رسالة حي بن يقظان مع شرحها لابن سينا (٥)	للدكتور محمد صغير حسن المعصومي
٤٤٠	أبو الفتح بن جني (٣)	للدكتور محمد أسعد طلس

التعريف والنقد

٤٥٨	تلخيص البيان في مجازات القرآن	للأستاذ شفيق جبري
٤٦١	بديع الزمان الهمذاني	
٤٦٤	نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب	
٤٦٧	ابن الرومي	
٤٧٠	الجزء الثالث من محاضرات المجمع العلمي العربي	للأمير مصطفى الشهابي
٤٧٢	المباحث اللغوية في العراق	
٤٧٦	المدخل الى علم النفس الجماعي	للدكتور جميل صليبا
٤٧٩	تحت قناطر أرسطو	
٤٨٠	فقه الإسلام	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٤٨٥	زبدة الحلب من تاريخ حلب	للأمير جعفر الحسني
٤٨٦	تاريخ العراق بين احتلالين (الجزء السادس)	
٤٨٧	معجم اللسان العربي الفصيح	للدكتور سامي الدهان

آراء وأنباء

٤٩٠	انتخاب أعضاء مراسلين	
٤٩١	شرح لزوم ما لا يلزم (١)	للدكتور عبد الوهاب عزام
٥٠٠	عثرات الأقلام والأقدام	للأستاذ عبد القادر المغربي
٥١٠	الخزانة الشرقية «الجزء الأول» (٢)	للدكتور مصطفى جواد
٥١٩	غلط مطبعي في مقالة كتاب الفنون	
٥١٩	ملاحظات على مصطلحات كيمياوية (١)	للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
٥٢٥	«غيابات» (كواليس)	للأستاذ بشر فارس

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٥ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٨ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١١ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٤ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف . جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٧ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٨ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش
٢٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٨ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين .
٢٩ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٣٠ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
٣١ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٢ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٣٣ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي } بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٤ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي } بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٥ — بحر العوّام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي } بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٦ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
٣٧ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
٣٨ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

الجزء الرابع — المجلد الثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٥ — ١٣ صفر سنة ١٣٧٥

جرير

— ٣ —

أما الأغراض التي نظم جرير فيها فأهمها الهجاء والغزل، ثم المدح والفخر والرثاء، ويأتي بعدها أغراض شتى لم يُعنَ بها كثيراً كالوصف والحكمة وما اليها.

الهجاء

جرير شاعر هجّاء، بل هو أكبر الهجّائين في العصر الأموي الذي استشرى فيه هذا الفن. كان الهجاء أول ما جرى على لسانه من الشعر، وظل يمارسه طول حياته حتى أسكته الموت؛ ولقد تألب عليه نحو من خمسين شاعراً فأسقطهم كلهم إلا الفرزدق والأخطل لذلك فأكثر شعره في الهجاء. قال مشيراً الى عدد الشعراء الذين تألبوا عليه وهجوه فأسقطهم: (ديوان جرير ص ٣٤٣).

أعددتُ للشعراء كأساً مُرّةً عندي مُخالطها السّمام المُنْقَعُ

هلاّ نهـاهم تسعةٌ قتّلتهم أو أربعون حدوتهم فاستجمعوا
خصيت بعضهمُ وبعضٌ جدّعوا فشكا الهوانَ الى الخصيّ الأجدع

وهو على خبث لسانه وإقذاعه في الشتيمة شريف في خصامه لم يتخذ الهجاء أداة يتكسب بها كما فعل غيره . بل كان يعتبره سلاحاً ينازل به الأنداد من الخصوم ؛ فكل من هاجاهم شعراء أو في معناهم . ولم يكن يبدأ أحداً بالهجاء بل كان الشعراء يتحرشون به فيصليهم ناراً حامية ، وكان إذا روى شيئاً من الهجاء استغفر الله وأطال التسبيح . قال له يوماً رجل : ما يغني عنك هذا التسبيح مع قذفك المحصنات ، فتبسم وقال : يابن أخي (خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم) إنهم والله يابن أخي يبدءوني ثم لا أحلم [1] .

وفي شدته على الشعراء يقول : (الديوان ص ٥١٣)

عوى الشعراء بعضهمُ لبعضٍ عليّ فقـد أصابهمُ انتقامُ
كأنهمُ الثعالب حين تلقى هزبراً في العرين له انتحام
اذا أوقعتُ صاعقـةً عليهم رأوا أخرى تَحرّقُ فاستداموا
فمصطلَمُ المسامع أو خَصِيٌّ وآخر عظم هامتـه حُطام

ويقول : (الديوان ص ٣٥٥)

كان الذين هجوني من ضلالتهم مثل الفراش وحر النار إذ يقعُ

ويقول : (الديوان ص ٤٩٥)

ترى الشعراء من صَعِقٍ مُصابٍ بصكتـه وآخر مستديم

وجرير يعتبره الرواة أكرم الهجائين لأنه لم يهجُ أحداً مدحه ولم يمدح أحداً هجاه . قال أبو عبيدة : « كان المخبَّل القريعي أهجى العرب ، ثم كان بعده حسان بن ثابت ثم الحطيئة والفرزدق وجرير والأخطل ، هؤلاء الستة الغاية في

(١) الأغاني ، ج ٨ ص ٤٤ .

الهجاء وفي غيره ، لم يكن في الجاهلية ولا في الاسلام لهم نظير ، وكان جرير أشدهم تكرماً ، لم يمدح أحداً فهجاه ولم يهج أحداً قط فمدحه ، وكان الفرزدق يمدح الرجل ثم يهجوه [1] » .

وعلى يد جرير وصاحبيه الفرزدق والأخطل استطار شر الهجاء وهتك الشعراء أعراضهم وأشاعوا المثالب وأفحشوا في القذف حتى أصبح الهجاء في العصر الأموي أوسع فنون الشعر ، ولو جمعت نقائض جرير وجميع الشعراء الذين هاجاهم لكانت أكبر ديوان عرفه الشعر العربي ، والذي وصل الينا منها نقائض جرير والفرزدق ونقائض جرير والأخطل وفيها ما يربو على الغاية ، وضاعت نقائض بقية الشعراء الذين هاجاهم وهم أكثر من أربعين شاعراً نصبوا له فرماهم واحداً بعد واحد .

وقد يعجب الإنسان لاحتمال العرب لهذه المساجلة من الشتائم مع ما عرف عنهم من الأنوف الحمية والعصبية الشديدة ، لأن الشاعر لم يكن يقتصر على قذف المهجو بل يتعداه الى أهله وقبيلته ويسهب في هذه الناحية كثيراً . ولعلهم كانوا يعتبرون الهجاء حرباً لا يجوز أن يكون السلاح فيها غير الكلام ، ولهذا الاعتبار سموا القصائد التي يتهاجى بها الشاعران نقائض ؛ فكأن الشاعر ينقض بجوابه جميع ما بناه خصمه من المثالب ويمحو ما نبزه وقومه به من المعائب ؛ ومن سقط في المعركة كف عنه خصمه ولم يعد إلى مبارزته .

وجرير في هجائه خصم شديد جريء ، واسع الحيلة بصير بالمقاتل لا يخطئ المرمى ، يهاجم خصمه في نفسه وأهله وقبيلته ، لا يعرف هوادة ولا يقف عند حد ؛ بل يقذع ويفحش ويهتك الأعراض ويشيع المثالب ويبالغ ويتزيد ويختلق ويفتري على النساء ؛ ويظهر طبعه أقوى ما يكون وأشد تدفقاً ،

(١) نقائض جرير والفرزدق ، ص ١٠٤٨ .

وبوائيه حسن التعبير وبراعة الصوغ فيكرر المعنى الواحد في قصائد متعددة فيكون له وقع خاص كأنه معنى جديد . قال البحتري : «جرير لا يتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشياء : بالقين وقتل الزبير وبأخته جعثن وامرأته النوار[1]» وتسير أبياته مسير الشمس فترويها الخاصة والعامة لسهولتها وانسجامها .

وأشد ما في هجائه السخرية والتهكم واللذع والمرارة ، يهزأ بالمهجو فيبرزه ألعوبة ممسوخة تستثير الضحك ويتهكم به وبقومه فيجعلهم سخرية لا شأن لهم ولا خطر ، يسخر من هيئآتهم ومهانتهم وأقوالهم وأفعالهم وقبح نسائهم وخساسة رجالهم وقذارتهم وسقوط هممهم ، بأسلوب مملوء بالتهكم والهزء . روي عنه أنه قال : «إذا هجوتَ فأضحك[2]» فالفرزدق قرد أصلع أو لعبة من لعب الصبيان يتزو بأثواب مصبغة مزركشة ، والأخطل خنزير هرم يتقمم الخبائث ويعب في أم الخبائث ، فاذا رأى راية حرب طار فؤاده واستجار بمار سرجس وأعلن أنه وقبيلته من القائلين بالسلام لا بالحرب والخصام . وبنو تيم همل لا يبالي بهم أحد ، يُقضى عليهم وهم غائبون ، ولا يستشارون وهم حاضرون ، وتنتف شوارب وفودهم على أبواب الملوك . ولعل نثر معانيه في هذا الباب مما يذهب بطلاوتها فسير بك بعضها .

ولا يستجيب الشعر لجرير في فن من الفنون كما يستجيب له في الهجاء ، فتراه يشتد ويقوى ويتدفق طبعه ويثقب ذهنه وتنفتح له أبواب القول وتنبسط آفاقه ، فيصيب الهدف ويرمي بالصواعق ويبعث بالشوارد ويأتي بالمضاحك والأفاكيه ولا تغيب عنه النكتة ، ويسلس له عنان المقال فيبلغ منه ما يشاء ويجمع ثلاثة في قرن واحد :

(١) الموشح للمرزباني ، ص ١٢٤ .
(٢) العمدة لابن رشيق ، ج ٢ ص ١٤٠ .

لما وضعتُ على الفرزدق ميسمي وضغا البعيث جدعتُ أنف الأخطلِ

ويصل بين اثنين بأدهى صلة :

ترى برصاً بأسفل إسكتيها كعنفقة الفرزدق حين شابا

ويسقط قبيلة ببيت واحد :

فغض الطرف إنك من نُمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

ويعبث بالمهجو وقبيله فيصورهم صورة مضحكة فيجتنبون الإتيان بما هجاهم به خلفاً عن سلف ، روي عنه أنه قال : لقد قلت في تغلب بيتاً لو لذعتهم الأفاعي بأستاههم بعده لما حكوها :

والتغلبي إذا تنحنح للقِرى حك استه وتمثـل الأمثالا

ومر (١) بلال بن جرير بمنازل تيم ، فقال النساء : مرحباً بابن جرير انزل فلك ما شئت من شواء وأقط وتمر ، أما الطحين فلا طحين . يردن بذلك ما قاله فيهن جرير :

إذا حركت تيمية هاديَ الرحى تنفس قُنباها فطار طحينهـا

ولو خلا هجاء جرير من الإقذاع لكان في دراسته متعة ولذة وفائدة لما فيه من قوة العارضة وحسن البادرة وشيوع النكتة ولذع التهكم ومر السخرية ، أضف الى ذلك بعض الحوادث التاريخية كالمثالب التي يعيب بها قبيلة المهجو ، والمفاخر التي يفخر بها عليه في الجاهلية والإسلام مما يحمل للقارئ كثيراً من أيام العرب وحوادث القبائل وأخبار بعضها مع بعض .

وهجاؤه كله قوي معدود من أجود شعره وجامع لأكثر خصائصه التي امتاز بها . من ذلك قوله يهجو الفرزدق : (الديوان ص ٥٥٩)

لقد ولدت أمُّ الفرزدق فاجراً فجاءت بوزوازٍ قصير القوائمِ

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ، ج ٣ ص ٣٩٧ .

وما كان جارٌ للفرزدق مسلمٌ ليأمن قرداً ليله غير قائم
يوصِّل حبليه إذا جنّ ليله ليرقى إلى جاراته بالسلالم
تدليتَ تزني من ثمانين قامةً وقصَّرتَ عن باع العلى والمكارم

وقوله فيه : (الديوان ص ٢٨١)

وهل كان الفرزدق غير قردٍ أصابته الصواعق فاستدارا
وكنتَ إذا حللتَ بدار قومٍ رحلتَ بخزية وتركتَ عارا

وقوله فيه : (الديوان ص ٤٨٢)

لبستُ سلاحي والفرزدقُ لعبةٌ عليه وشاحا كُرَّجٍ وجلاجلُهْ
أعدوا مع الحلي الملاب فانما جريرٌ لكم بعلٌ وأنتم حلائله

وقوله فيه وكان الفرزدق قد حلف ليقتلن مربعاً راوية جرير : (الديوان ص ٣٤٨)

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربعُ

وقوله يهجو الأخطل : (الديوان ص ٥٢)

أبا مالكٍ مالت برأسك نشوةٌ وبالبِشر قتلى لم تطهر ثيابُها
ظللت تتيء الخندريس وتغلبٌ مغانم يوم البشر يُحوى نهابها
أيفخر عبدٌ أمه تغلبيةٌ قد اخضرّ من أكل الخنانيص نابها
غليظة جلد المنخرين مصنةٌ على أنف خنزيرٍ يُشدّ نقابها

وقوله فيه : (الديوان ص ٤٥١)

والتغلبي إذا تنحنح للقِرى حك أسته وتمثل الأمثالا
حملتْ عليك حماةُ قيسٍ خيلها شعثاً عوابس تحمل الأبطالا
ما زلتَ تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تشد عليكمُ ورجالا
قال الأخيطل إذ رأى راياتهم يا مار سرجس لا نريد قتالا
لو أن تغلب جمّعتْ أحسابها يوم التفاضل لم تزن مثقالا
تلقاهمُ حلماء عن أعدائهم وعلى الصديق تراهمُ جهالا

وقوله فيه : (الديوان ص ٤١٤)

لقيتم بالجزيرة خيل قيس … فقلتم مار سرجس لا قتالا
تسوف التغلبية وهي سكرى … قفا الخنزير تحسبه غزالا
من المتولجات على النشاوى … ولا تلج الخدور ولا الحجالا
تظل الخمر تخليج أخدعيها … وتشكو في قوائمها امذلالا
إذا انفتقت عباءتها وضاقت … رأى الراءون داهيةً عُضالا
ألبس أبو الأخيطل تغلبياً … فبئس التغلبيُّ أباً وخالا
إذا ما كان خالك تغلبياً … فبادل إن وجدت له بدالا

وقوله يهجو التيم (الديوان ص ٥٥)

تيميةٌ هَمَشَى[1] تقول لبعلها … لا تنظرنَّ إذا وضعتُ ثيابي
وكأن عربتها إذا واجهتها … جُعْلانِ مكتنفانِ فرخَ غراب
أعرابكم عارٌ على حضّاركم … والحاضرون خزاية الأعراب
قومٌ إذا حضر الملوكَ وفودُهم … نتفت شواربهم على الأبواب

وقوله فيهم : (الديوان ص ١٦٥)

ويُقضى الأمرُ حين تغيب تيمٌ … ولا يُستأمرون وهم شهودُ
وإنك لو لقيت عبيد تيمٍ … وتيماً قلتَ أيهمُ العبيد

وقوله فيهم : (الديوان ص ٤٣٨)

كأن التيم إذ فخرت بسعدٍ … إماء الحي تفخر بالحمولِ[2]
ترى التيمي يزحف كالقرنبى … إلى تيمية كعصا المليل[3]

(١) الهمشى : الكثيرة الاختلاف التي لا تقر في بيتها .

(٢) اي كالإماء يفخرن بأحداج ساداتهن .

(٣) القرنبى : خنفس طويل القوائم . وعصا المليل : العصا التي يحرك بها ما يمل في النار .

إذا كشرت إليه يقول بلوى ... بلا حسنٍ كشرت ولا جميل
تشين الزعفران عروس تيمٍ ... وتمشي مِشية الجُعَل الزحول
يقول المجتلون عروس تيمٍ ... شَوَى أم الحُبَيْنِ (١) ورأس فيل

الغزل

برع جرير بحلاوة الغزل كما برع بمرارة الهجاء ، يتجلى طبعه في نسيبه رقيقاً عذباً سمحاً سهلاً ، فهو من أنسب الشعراء الإسلاميين وأرقهم غزلاً ؛ وغزله بدوي عفيف بريء يمثل مروءة البداوة وصيانة الإسلام ، حتى قيل إن جريراً لم يتغزل إلا بأزواجه أو بمن يملك ، وهو يترجم عن عاطفة رقيقة ونفس حساسة بالرغم من قوله : « ما عشقت قط ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها » وأظهر ما في غزله الحنين والتشوق والشكوى والذكرى ويقل فيه المرح شروى قوله :

أزمان يدعونني الشيطان من غزلي ... وكن يهوينني إذ كنتُ شيطانا

وقوله :

يقول العاذلات علاك شيبٌ ... أهذا الشيب يمنعني مرامي

ولا تكاد تجد في غزله قصصاً أو ما في معناه من الوصف المتتالي ، وإنما هناك بدوات وأفكار متداعية تمثل عاطفة وثابة ولوعة تتنزى ، والمقطوعة من غزله تعرض على القارئ صوراً شتى من ذكرى تهيج إلى دمعة تجري إلى قلب يخفق إلى حنين يشجي ، تثيرها الدور الخالية والأطلال البالية والظعائن الراحلة والبروق المتألقة والحمائم المغردة ، ولا تجد غزلاً أرق ولا أعف من غزله . سمع الفرزدق بالمدينة قينة تغني بشعر جرير فقال : « ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه

(١) الشوى : اليدان والرجلان والأطراف . وأم الحبين : دويبة كالحرباء .

إلى صلابة شعري وأحوجني مع شهواتي الى رقة شعره [١] » والذي يرى عفافه في غزله يستغرب ذلك الإقذاع في هجائه ٠

والأمثلة على إحسانه في الغزل كثيرة نورد منها هذه الأبيات : (الديوان ص ٦٠١)

ألا أيها الوادي الذي ضَمَّ سيله إلينا نوى ظمياء حُييتَ واديا
إذا ما أراد الحي أن يتفرقوا وحنَّتْ جمال الحي حنتْ جماليا
الى الله أشكو أن بالغور حاجةً وأخرى إذا أبصرت نجداً بداليا
نظرت برهبَى والظعائن باللوى فطارت برهبى شعبةٌ من فؤاديا
إذا ذُكرتْ ليلى أُتيح لي الهوى على ما ترى من هجرتي واجتنابيا
ولو أنها شاءت شفتني بهيِّن وان كان قد أعيا الطبيبَ المداويا
فإنكِ إن تعطي قليلاً فطالما منعتِ وحلأتِ القلوب الصواديا
إذا اكتحلتْ عيني بعينك مسني بخيرٍ وجلى غمرةً عن فؤاديا
تخطّى إلينا من بعيدٍ خيالها يخوض خُداريّاً من الليل داجيا
فحييتَ من سارٍ تكلف موهناً مزاراً على ذي حاجة متراخيا

الرثاء

الشاعر المرهف الحس يحسن الرثاء فيمن يحب من قريب أو صديق ، وهكذا الشأن في مراثي جرير ، فما كان منها في أهله فجيد بارع ، وما سوى ذلك فليس له تلك المنزلة ٠ ومما أجاد فيه وبرع وفاق جميع معاصريه من الشعراء رثاؤه لامرأته أم حزرة ، وقلَّ من الشعراء في جميع العصور من وفق في رثاء النساء كما وفق جرير في قصيدته هذه ، فقد كان فيها زوجاً أميناً رقيق العاطفة حسن الرعاية وافر المودة عميق الحزن شديد اللوعة ، وصف امرأته

(١) الأغاني ، ج ٨ ص ١٢ ٠

بأكرم ما توصف به الحرائر وبكاها بكاء مخلص في حبه مفجوع في حبيبه وعيده ، حتى صارت تلك القصيدة مما يناح به على النساء في المآتم ، فقد روي أنه نيح بها على النوار امرأة الفرزدق . وكان جرير يسمي هذه القصيدة الجوساء لذهابها في البلاد . وهاك أبياتاً من أولها : (الديوان ص ١٩٩)

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ ولزرتُ قبركِ والحبيبُ يُزارُ
ولقد نظرتُ وما تمتع نظرةٍ في اللحد حيث تمكن الحفار
فجزاكِ ربكِ في عشيرك نظرةً وسقى صداك مجلجلٌ مدرار
ولَّهتِ قلبي إذ علتني كبرةٌ وذوو التمائم من بنيك صغار
ولقد أراكِ كسيتِ أجمل منظرٍ ومع الجمال سكينةٌ ووقار
صلى الملائكة الذين تُخُيِّروا والصالحون عليك والأبرار

وكذلك قصيدته التي يرثي بها ابنه سوادة والتي مطلعها :

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلت لهم مَن للعرين إذا فارقت اشبالي

فهي دمعة مصبوبة ولوعة مشبوبة وحزن ينطق . كان بشار بن برد ينشدها يوم فقد ولده ويقول : لله در جرير . أما مراثيه في غير أهله فأكثرها مقطعات لا تعرب عن نفس حزينة وإنما هي تقريظ وتفجع مصنوع .

الفخر

أكثر شعر جرير في الهجاء ، والهجاء في القرن الأول لا يكاد يخلو من الفخر ، لأن الشاعر يرمي خصمه بكل نقيصة وينسب لنفسه وقبيلته كل مكرمة ، ولا تكاد تجد قصيدة في الهجاء لجرير إلا وجدت فيها فخراً مثل قوله يهجو الأخطل :

إن الذي حرمَ المكارم تغلباً جعل الخلافة والنبوة فينا
مضرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم يا خزر تغلب من أبٍ كأبينا

ولا يكاد جرير يفتخر بكليب لقلة مفاخرها بل يتخطاها الى يربوع وتميم فينوّه بمفاخرهم والأيام التي كانت لهم وأخبارهم الجيدة في الجاهلية والاسلام . وهذا الفن من الشعر يصور عصبية العربي الى قبيلته التي ورثها عن الجاهلية ولم يستأصلها الاسلام . ولا ينسى جرير إلى جنب ذلك ان يفتخر بنفسه فينسب اليها الشجاعة والكرم والنجدة وطيب العنصر ، ولا سيما التفوق في الشعر والسبق في مضماره وكبت خصومه من الشعراء على كثرتهم . وقصائده التي صرفها للفخر خاصة قليلة ومنها مقطعات وأبيات وأراجيز . ولكن أكثر فخره في أهاجيه ، وهو لا يسامي الفرزدق في هذا الباب وإن فضّله بعضهم عليه في الفخر أيضاً مثل بشر بن مروان [1] .

المدح

ليس المدح من أبواب شعر جرير البارعة إذا قيس بهجائه وغزله ، فقد كان يقوله مستجدياً ، ولا تكاد قصيدة من مدائحه تخلو من الاستجداء وشكوى الفاقة والإلحاح بالمسألة ، مثل قوله : (الديوان ص ١٥٦)

« لولا رجاؤك قد قتّلت أولادي »

وقوله : (الديوان ص ٣٥٤)

أشكو إليك فأشكني ذريةً — لا يشبعون وأمهم لا تشبعُ
كثروا عليّ فما يموت كبيرهم — حتى الحساب ولا الصغير المرضع
وإذا نظرت يريبني من أمهم — عينٌ مهججةٌ [2] وخدٌّ أسفع
واذا تقسمت العيالُ غبوقَها — كثر الأنينُ وفاض منها المدمع
رِشْني فقد دخلتْ عليّ خصاصةٌ — مما جمعتَ وكلٌّ خيرٍ تجمع

---

(١) الأغاني ، ج ٨ ص ٣٧ .
(٢) أي عين غائرة .

ولكنه لا يذهب عن فطنته تقريظ الممدوح بما ينبغي أن يمدح به ، فقد اتصل بالحجّاج بن يوسف ومدحه بالقوة وشدة الشكيمة وقمع الفتن وإخماد النوائر وصمة السطوة وأن الله أمده بالملائكة واستجاب دعاءه . قال يمدح الحجّاج (الديوان ص ٩٠)

من سدّ مُطّلَعَ النفاق عليهم ِ أم مَن يصول كصولة الحجّاج
أم من يغار على النساء حفيظةً إذ لا يثقن بغيرة الأزواج
إن ابن يوسف فاعلموا وتيقنوا ماضي البصيرة واضح المنهاج
ماض ٍ على الغمرات يُمضي همّه والليل مختلف الطرائق داج
منع الرُّشى وأراكمُ سبل الهدى واللصَّ نكّله عن الإدلاج

فلما اتصل بعبد الملك بن مروان بشفاعة الحجاج مدحه مدحاً سياسياً ، فنال من عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب ، وجعل من يخالف بني أمية ملحداً أو مبتدعاً . قال في القصيدة التي يمدح بها عبد الملك وينال من ابن الزبير : (الديوان ص ٩٩)

دعوتَ الملحدين أبا خُبيب[1] جماحاً هل شفيتَ من الجماح ِ

ومنذ ذلك الحين علقت حباله بحبال بني أمية فمدح جميع الخلفاء الذين تتالوا بعد عبد الملك الى هشام ، كما مدح عدداً من أمراء بني أمية ، وكان يسمي الخليفة منهم بالمهدي ، قال في سليمان بن عبد الملك : (الديوان ص ٤٦٢)

سليمان المبارك قد علمتم هو المهدي قد وضح السبيلُ

وقال في أخيه هشام : (الديوان ص ١٤٧)

فقلتُ لها الخليفةُ غيرَ شك ٍ هو المهدي والحكم الرشيدُ

وقال فيه أيضاً : (الديوان ص ٥٠٥)

الى المهدي نفزع إن فزعنا ونستسقي بغرته الغماما

(١) يريد بأبي خبيب عبد الله بن الزبير .

وكان يصرح بأن هواه السياسي مع بني أمية قال : (الديوان ص ٥٠٦)

وريشي منكمُ وهواي فيكم وإن كانت زيارتكم لماما

ويمدح الشاميين وسياستهم ، قال في القصيدة التي يمدح بها يزيد بن عبد الملك : (الديوان ص ٣٩٠)

تدعو فينصر أهل الشام إنهمُ قومٌ أطاعوا ولاة الحق وائتلفوا
ما في قلوبهمُ نكثٌ ولا مرضٌ إذا قذفتَ محلاًّ خالعاً قذفوا
قد جرب الناس قبل اليوم أنهمُ لا يفزعون إذا ما قعقع الحجف

ويعتذر عما فرط من قومه بني تميم في نصرة عبد الله بن الزبير ويشفع بهم لأنهم تابوا توبةً نصوحاً ، قال لهشام بن عبد الملك : (الديوان ص ٥)

لاتجفونّ بني تميمٍ إنهم تابوا النصوحَ وراجعوا حسن الهدى
من كان يرض قلبه من ريبةٍ خافوا عقابك وانتهى أهل النهى

وينوه ببلاء بني أميــة بالفتوح وسعة السلطان ، ولقد مدح طائفة من أمرائهم وولاتهم ، ولم يروَ عنه أنه مدح أحداً من خصومهم لأنه كان معروفاً بمداراة السلطان ، ولأنه كان يتكسب بمدحهم فلا يتورط فيا يغضبهم أو يقطع صلتهم عنه ، ومع أن الاستجداء أظهر ما يكون في مدحه فقد أشار الى فتوح بني أمية أكثر من جميع شعرائهم .

بقية الأغراض

تلك أهم الأغراض التي عالجها جرير في شعره ، ولكلٍ منها فروع تسوقها المناسبات ليس بالسهل استقصاؤها ؛ وهناك أغراض أخرى نظم بها جرير كالوصف والعتاب والشكوى والأدب والحكمة وبعض حوادثه الخاصة . وأهم ما يعنينــا أن نتكلم عنه في هذا الفصل هو الوصف .

إذا أردنا بالوصف الوصف الفني المتتالي المتسلسل الذي يصور الموصوف صورة واضحة لم نجد جريراً من السابقين في هذا الباب ، لأن شعر جرير في جملته بدوات ولمحات ، لا يصبر على الاستمرار في وصف ما يتناوله حتى ينتصف منه ، بل تتداعى أفكاره فينتقل من معنى الى آخر دون استقصاء ، ولا تكاد تجد له قصيدة أو مقطوعة صرفها لوصف شيء واحد ، وإنما كان يصف عرضاً وبالمناسبة على سبيل الاقتضاب ؛ وأكثر ما عالج وصفه البادية وعالمها من سهل وجبل ورسم وطلل وركب وإبل وسراب وواد ووحش وطير وشيح وقيصوم وغضا وما الى ذلك مما يتعلق بالبادية التي كان يقطعها في وفوده على الخلفاء بالشام .

وقد وصف — على طريقته التي ذكرناها — أسطولاً حربياً للحجّاج في قصيدة مدحه بها قال : (الديوان ص ٤٤١)

سلكتَ لأهل البَرّ بَرّاً فنلتَهم ... وفي اليم يأتم السفينُ الجوافلُ
ترى كل مِرْزابٍ[1] يُضَمِّنَ بَهْوُها ... ثمانين ألفاً زايلتها المنازلُ
جَفُولٍ ترى المسمار فيها كأنه ... إذا اهتز جذعٌ من سُمَيْحة ذابل[2]
إذا اعترك الكَلاَّءُ والماء لم تُقَدْ ... بأمراسها حتى تثوب القنابل[3]
تَخَال جبال الثلج لمّا ترفّعتْ ... أجِلّتُها والكيدُ فيهن كامل[4]
تشق حَباب الماء عن واسقاته ... وتفرس حوت البحر منها الكلاكل

وألمّ بشيء من وصف الرصافة التي كان ينزلها هشام بن عبد الملك وبما بذله هشام في إصلاحها وتزيينها قال : (الديوان ص ٥٠١)

---

(١) المرزاب : السفينة الضخمة .

(٢) المسمار : الدقل . وسميحة : بئر بالمدينة .

(٣) الكلاء : مجتمعها . يريد أنها لا تضبط إلا بأعوان كثيرة .

(٤) أجلتها : شرعها . والكيد : السلاح .

شققتَ من الفرات مباركاتٍ جواري قد بلغن كما تريدُ
وسخَّرتَ الجبال وكنَّ خُرساً يقطِّع في مناكبها الحديد
بلغتَ من الهنيء[1] فقلتَ شكراً هناك وسُوِّل الجبلُ الصَّلُود
بها الزيتون في غَلَلٍ[2] ومالت عناقيد الكروم فهن سود
فتمت في الهنيء جنان دنيا فقال الحاسدون هي الخلود
يعضون الأنامل أن رأوها بساتينا بوآزرها الحصيد
ومن أزواج فاكهةٍ ونخلٍ يكون بحمله طلعٌ نضيد

وقال أيضاً : (الديوان ص ٤)

إن الرصافة منزلٌ لخليفةٍ جمع المكارم والعزائم والتقى
أوتيت من جذب الفرات جوارياً منها الهنيءُ وسائح في قرقرى
والجد للزند الذي أوريتم بحرٌ يمدُّ عُبابُه جُوف القُرى

ومن هذا الوصف يرى القارئ بداوة جرير في تناوله وصف الماء والشجر وإغفاله وصف قصور الرصافة العظيمة وبنيانها الفخم .

ولعل أصدق ما يقال في جرير أنه أطبع الشعراء الإسلاميين وأهجاهم ومن أرقهم نسيباً .

خليل مردم بك

---

(١) الهنيء والمريء : نهران بإزاء الرقة حفرهما هشام بن عبد الملك .
(٢) الغلل : الماء الجاري تحت الشجر على وجه الأرض .

وصية

لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
الى ولده رحمة الله عليهما

استرعى نظري الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب ، في أثناء بحثه عن المخطوطات العربية في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ، الى رسالة لطيفة لابن قتيبة تقع في ثماني صفحات مثبتة في آخر مجموع مخطوط رقمه ١٧٠ ي ٢١ س ١ . والمجموع يحتوي على (١) الصحيفة المعروفة بالغراء والصحيفة المعروفة بالرحمة والصحيفة المعروفة بالصفراء لادريس النبي عليه السلام منقولة ألفاظها من اليونانية الى العربية (٢) رسالة دواء داء القلوب ومعرفة همم النفس وآدابها وغير ذلك (٣) كتاب الشبهات (٤) وصية لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الى ولده . وذكر الناسخ في آخر كتاب الشبهات أنه فرغ من نسخه سنة ٤٨٦ هـ ، في ثغر الاسكندرية .

ورسالة ابن قتيبة كثيرة الثقوب ، قد أصاب العطب أطراف بعض صفحاتها فألصقت أوراق بيض عليها لصيانتها . وخط الناسخ فيها وفي سائر المجموع واحد . وهو خط مشرقي قاعدته مغربية . بيد أن خط الرسالة أدق . وعلى ذلك يكون تاريخ نسخها بعد وفاة ابن قتيبة بـ ٢١٠ سنوات . وطول الصفحة ١٨٫٥ سم . وعرضها ١٤ سم . وفي كل صفحة ٢٨ سطراً ، وفي كل سطر نحو ١٥ كلمة .

والرسالة فريدة لم يرد ذكرها في أي مصدر - حسب علمنا - ولعل السبب أنها كتبت قبيل وفاة صاحبها كما يذكر ، وانها تقع في بضع صفحات . فهي ليست كتاباً . على أنه لا شبهة في أنها لابن قتيبة نفسه . فالمباحث التي طرقها تتفق وآراءه في سائر كتبه ، وأسلوبه فيها يطابق أسلوبه في سائر مؤلفاته ،

لا سيا في تأويل مختلف الحديث ، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة . ويغلب على الظن أن ولده الذي كتب اليه هذه الوصية هو أحمد ابن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الذي روى كتب أبيه كلها بمصر حفظاً ، بعد أن قدمها على القضاء سنة ٣٢١ هـ . وتوفي فيها سنة ٣٢٢ هـ .

ويسعدنا حقاً أن نظفر بهذا الأثر النفيس الفريد لإمام من أئمة الأدب والفقه في القرن الثالث الهجري . وقد طبع بعد تأليف كتابنا عنه بالانجليزية [1] (من منشورات الجامعة الأميركية في بيروت رقم ٢١ سنة ١٩٥٠) كتاب الأشربة بتحقيق المرحوم محمد كرد علي سنة ١٩٤٧ ، وكتاب المعاني الكبير في ثلاثة أجزاء ضمن منشورات مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن (الهند) سنة ١٩٤٩ . وبلغنا ان الأستاذ السيد صقر يحقق كتابين من كتبه هما مشكل القرآن وغريب القرآن . ويبقى من كتبه المخطوطة : الانواء ، وتأويل الرؤيا ، وغريب الحديث ، وكتاب العرب المعروف بالرد على الشعوبية (انظر كتابنا بالانجليزية ص ٥٠ و ٥٣) .

وقد أثبتنا الرسالة كما هي ، واجتهدنا في ملء الفراغ الناجم عن الثقوب . وهي في جملتها تامة ، وان كنا نظن ان الناسخ أغفل سطراً أو سطرين في مكان واحد فقط عند كلامه على أوجه الايمان الثلاثة .

وأشكر للأستاذ عبد المطلب إرشادي الى هذا المخطوط النادر ومساعدتي في نسخه . وهو في الحق يبذل جهداً محموداً في البحث عن المخطوطات العربية وتصوير النادر منها لقسم المخطوطات في اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية . والله يجزل ثوابه ويتولى مسعاه بالتوفيق .

(الجامعة الأميركية) اسحق موسى الحسيني

(١) نقله الى العربية الأستاذ هاشم عبد الوهاب ياغي وستنشره دار بيروت للطباعة والنشر قريباً .

وصية لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الى ولده رحمة الله عليهما

بسم الله الرحمن الرحيم . يا بني أوصيك بوصية ان تمسكت بها رجوتُ لك النجاة ، وان استعملت ما فيها سُعدت ان شاء الله . واعلم يا بني ان أساس الدين كله التقوى والعاقبة لمن اتقى «والآخرة عند ربك للمتقين» (١) «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه» (٢) «ومن يتق الله يُكفر عنه سيئاته ويُعظم له أجراً» (٣) . وأصل الدين التقوى الذي مدار الأمور كلها عليه ، وهو قول لا إله الا الله لقوله عز وجل : «وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها» (٤) . فمن قام بحقوقها وشروطها وأدّى ما عليه فيها حتى يستكملها فهو من أهلها (بإذن) (٥) الله ، لأن الله عز وجل يقول : «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكةُ ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة» (٦) .

يا بني ألزم التقوى قلبك والعمل الصالح جوارحك فان الله عز وجل يقول : «أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خير» (٧) . فقد جمع الله عز وجل الخير كله في التقوى والعمل الصالح في قوله عز وجل «اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» (٨) . فمن اعتصم بقول لا إله إلا الله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها . ومن يعتصم بالله فقد هُدي الى صراط مستقيم .

---

(١) الزخرف ٣٥ . (٢) الطلاق ٢ و ٣ . (٣) الطلاق ٦ .
(٤) الفتح ٢٦ . (٥) الكلمة مطموسة في الأصل ولعلها بإذن .
(٦) فصلت ٣٠ و ٣١ . (٧) التوبة ١٥٩ . (٨) فاطر ١٠ .

واعلم أن التقوى أصل كل طاعة واجتناب كل معصية . وسبب ذلك كله العصمة والتوفيق ، وان من التوفيق أن يتقي العبدُ كل ما نهاه الله عنه ورسوله في السر والعلانية لقول الله عز وجل : « وذروا ظاهر الاثم وباطنه »[1] . والانسان عريان ولباسه التقوى فمن استتر بغير التقوى لم يستره شيء وتكشفت عورته لقول الله عز وجل : « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خيرٌ ذلك من آيات الله »[2] .

يا بني التقوى أصل كل طاعة وهو اخلاص العمل لله ، وفرع التقوى اليقين ، فضع أساسك عليه يَعْلُ بنيانك ويقو إيمانك ويزدد يقينك .

يا بني اتق الله ونَمْ حيث شئت ، فان من اتقى الله في الأصل والفرع وما بين ذلك فقد فاز فوزاً عظيماً . واجعل التقوى زادك فان خير الزاد التقوى .

والتقوى اسم . وهو كلمة الاخلاص . والمتقي العبد الذي يتقي الكفر والشرك والنفاق وجميع العصيان حتى يخلص عبادته للرحمن . واتق الأهواء المضلة وجميع الحوادث في الدين واتبع السنة واقتد بالسلف وتمسك بالكتاب فان الله عز وجل يقول : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول »[3] يعني سنة رسوله صلى الله عليه . ولا دين إلا دين محمد ولا سنة إلا سنة محمد عليه السلام .

يا بني قد جمعت لك السنة بحرفين فتمسك بها واعتمد عليها «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . »[4] ومع هذا فقد بينت لك شروطها وما يلزمك فيها . ومن السنة أن تقدم من قدم الله ورسوله ـ وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر رضوان الله عليه ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ـ وتترحم على أصحاب النبي

(١) الأنعام ١٢٠ .
(٢) الأعراف ٢٦
(٣) النساء ٥٩ .
(٤) الحشر ٧ .

صلى الله عليه وسلم ، لأن الله عز وجل يقول : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا » [1] واترك النظر فيما شجر بينهم لقول الله عز وجل : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » [2] .

ومن السنة الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وان الخير والشر من الله ابتلى به عباده لقوله عز وجل : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون » [3] واعلم انه لا يكون في الأرض ولا في السماء إلا ما شاء الله وان الأمور كلها بيد الله وفي (قبضته) [4] ولا ضار ولا نافع غير الله . وسبب كل طاعة التوفيق من الله . وترك كل معصية (التوفيق) [5] من الله . ولا يقدر أحد يعصي إلا بعد ترك الله . ولا عذر لأحد عند المعصية غير الاعتذار الى الله مع الندم والتوبة الى الله . وأصل التوبة رحمة من الله فتح الله تعالى لآدم (بابها) [6] وعم بها ذريته . والتوبة على العباد فريضة من الله لقوله عز وجل : « وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » [7] وقوله عز وجل : « ثم تاب عليهم ليتوبوا » [8] وباب التوبة (مفتوح) [9] الى يوم القيامة . وتوبة العباد من توبة الله عز وجل لهم . والله يتوب على من يشاء من عباده . ولا تصح التوبة لأحد إلا بتوبة الله له فطوبى لمن رزقه الله التوبة والحمد شكر النعمة . واحذر يا بني أن تعصي الله وتعتل بالقضاء والقدر لأن المعصية مصيبة في دين العبد وإن جرت عليه بالقضاء والقدر . والذنب لازم له . والعبد مستعبد ان يقول

(١) الحشر ١٠ .
(٢) البقرة ١٣٥ .
(٣) الأنبياء ٣٥ .
(٤) نصف الكلمة مطموس في الأصل .
(٥) الكلمة مطموسة في الأصل .
(٦) الكلمة مطموسة في الأصل .
(٧) النور ٣١ .
(٨) التوبة ١١٨ .
(٩) الكلمة مطموسة في الأصل .

ربي اني ظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وتب عليّ انك أنت التواب الرحيم .
ومن أخرج ذنبه من القدر فقد أشرك لأنه زعم انه قدر على الذنب بغير قدر ، ومن لم يؤمن بالقدر فقد كفر ، ومن أحال دينه على القدر ليعذر نفسه بالقدر فقد فجر ، ومن ادعى أن الاستطاعة والقدر والمشيئة اليه مع الله أو دون الله أو ملكه لله أو جعل الله أمر ذلك اليه دونه فقد أشرك نفسه مع الله . والشرك ظلم عظيم . لأن الله عز وجل يقول : «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» [1] فويل لمن لا يؤمن بالقدر أو يرى انه قادر ، لأن القدر من صفات الله لا صفات الخلق . ومن صفات الخلق الضعف والجزع والعجز . وكل من أضاف صفاته الى صفات الله فقد أشرك ، لأن الله عز وجل بان بصفاته عن صفات خلقه ، وثبت صفاته لنفسه ، وان الله تعالى أمر العباد أن يعبدوه باخلاص الوحدانية بقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأعجزهم عن أنفسهم عن إخلاص الوحدانية ولم يعنهم عما أمرهم به ولم يقصرهم عليه واضطرهم في ذلك اليه بطلب المعونة والعصمة والتوفيق منه مع إظهار الفقر اليه والفاقة والمسكنة والاستعانة اليه حتى يتولى ذلك منهم لقوله عز وجل : «ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ، ولكن الله يزكي من يشاء» [2] . فلا يزكى أحد من العباد وان بذلوا مجهودهم وطاقتهم إلا من زكاه الله عز وجل بحوله وقوته . وان الله عز وجل نهى العباد عن أمر ولم يحل بينهم وبينه وأعجزهم عنه ولم يضطرهم اليه ليكون له الحجة عليهم .

يا بني فابرأ الى الله عز وجل من حولك وقوتك واستطاعتك واسأله أن ينقلك بحوله وقوته مما يكره الى ما يحب ويرضى .

---

(١) النساء ٤٨ و ١١٦ . (٢) النور ٢١ .

يا بني إن الله عز وجل ركب في أنفس بني آدم خصلتين ، وهما من أعظم البلاء عليهم ، الهوى والشهوة . وركب فيهم الحرص وطول الأمل وأعظم من ذلك كله الشرك الخفي اذا عمل عملاً لله يريد أن يحمد عليه . وأدنى الشرك الرياء ، ورياء الأعمال كلها من الشرك الخفي . وان من السنة التبري من القدرية والمرجئة الذين يقولون الايمان قول والعمل شرائعه ، ويقولون من قال لا إله إلا الله مصدقاً به قلبه فهو مؤمن حقاً وان أتى الكبائر والفواحش . ويقولون ان ايمان الملائكة والأنبياء وسائر الخلق كلهم واحد لا يزيد ولا ينقص .

واعلم يا بني ان الايمان قول وعمل ونية وموافقة السنة . والشرائع كلها من الايمان . والايمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . والايمان إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأبدان . والايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل . والايمان يتصرف على ثلاثة أوجه ، الايمان من الله كله [1] شهادة الله لنفسه بالوحدانية وهو قوله عز وجل « شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة » [2] فهو الذي يزيد ولا ينقص [3] لأنه من الله لله وايمان الخلق بعدها وهو [4] يزيد وينقص بالطاعة . ومن قول أهل السنة أن يحمدوا الله عز وجل على جملة الايمان لأن الله عز وجل هداهم للايمان ويستثنون في الحقيقة إشفاقاً على الإيمان وإذا تحقق بالايمان (لحقهم الاشفاق وكل ما لم يحقق بالايمان) [5] فهو على النقصان من الاشفاق ، والاشفاق وقع على الصحة والنقصان على العلة ، والاشفاق للعبد يقين ، وسائر الناس في نقصان من المجتهدين والباقي هم من الجهال الغافلين . واعلم ان العبد اذا جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل وبذل مجهوده لله على قدر طاقته واستغفر الله عز وجل من النقصان والتقصير الذي يدخل عليه فقد أدى لله ما يجب لله عليه في حق العبودية .

(١) هكذا في الأصل ولعلها لله . (٢) آل عمران ١٧ .
(٣) هكذا في الأصل ولعل العبارة لا يزيد ولا ينقص .
(٤) في الأصل ولا . (٥) زيادة في الهامش .

ومن السنة أن يعلم أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق في جميع ما قرئ وتلي ووعي ، منه نزل واليه يعود . ومن السنة صلاة الجمعة والعيدين والحج والجهاد مع كل امام برّاً كان أو فاجراً ولزوم الجماعة والصبر تحت لواء السلطان على ما يكون فيه من عدل أو جور ما لم يدع الى بدعة أو يترك سنّة أو ينقض شريعة ، ودفع الصدقات اليهم ، والمحافظة على صلاة الجماعة من السنة المذكورة ، وتركها من غير عذر ضلالة ، وأشياء كثيرة قد بينتها لك في غير هذا الكتاب فتمسك بها .

واعلم يا بني أن أصول البدع كلها من خمسة : من القدرية والمرجئة والجهمية والرافضة والخوارج . ومنها تتشعب الفرق كلها حتى تنتهي الى ثلاث وسبعين فرقة الذي[1] جاء به الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، اثنتان وسبعون منها هالكة ، والواحدة منها ناجية الذي أنا عليه وأصحابي » . والجهمية الذين يقولون ان القرآن مخلوق ويؤمنون بالقدر ويقولون ان الله عز وجل حال في كل شيء كالشيء في الشيء وكالروح في الجسد والخوارج هم الذين يقولون بتقديم الشيخين أبي بكر وعمر ويرون إمامتها ويتبرءون من عثمان وعلي . وقد بينتهم وسميت أئمتهم في هذا الكتاب .

واعلم أن العلم علمان : علم باللسان فذلك حجة الله عز وجل على خلقه ، وعلم بالقلب فذلك العلم النافع وهو التقوى والخوف والوجل والاشفاق من علم الله تعالى والخشية من الله ، وكفى بخشية الله علماً : « ومن يخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون »[2] وليس لمريد العلم غاية ولا نهاية . والمعرفة معرفتان : معرفة إلـهية وهي الاقرار بالربوبية . وهي مع كل ذي روح خلق الله . وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها . وهي وديعة الله فيهم وحجته عليهم . والثانية معرفة التوحيد الذي استعبد الله عز وجل عباده بها . وهي معرفة الديانة لله . والذي

(١) لعلها للذي . (٢) الأعراف ٢٣ .

عرّف محمد صلى الله عليه وسلم بمعرفة الالهية عرّف الله عز وجل العباد نفسه وهي الفطرة . والمعارف كثيرة . وكل إنسان له مقام من المعرفة على قدر قسمه منه . والذكر ذكران : فذكر باللسان وذكر بالقلب . والأفكار كثيرة . وكل طاعة لله فهي ذكر ، ومن أطاع الله فقد ذكر الله .

يا بني أنت ولدي وقرة عيني وحقك واجب علي ببذل النصيحة لك ، وقد أصّلتُ لك أصالك ، وأسست لك أساساً ان استقمت عليه فقد اهتديت وهديت الى صراط مستقيم ، وبالله اهتديت . « وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . »[1]

يا بني قد صحبت لك طوائف من الناس وبلوت أخبارهم فما رأيت طائفة أجل وأعظم قدراً من أهل الفقر الى الله عز وجل والفاقة والمسكنة الى الله عز وجل ، فالزمهم وجالسهم واخدمهم بنفسك وتواضع لهم بجسمك وتقرب الى الله عز وجل بالنظر اليهم ، وواسهم بما قدرت عليه ، وتغافل عن زلاتهم ، وأحسن ظنك بهم ، فان الله عز وجل يؤيدهم إذا ماتوا إن شاء الله .

يا بني إن استطعت أن تخالط الناس كلهم بخلق حسن تخالطهم ، وان لم تقدر فجانبهم وفارقهم على السلامة ، وخالص أولياء الله مخالصة ، وخالف أبناء الدنيا مخالفة ، وباينهم بالأعمال مباينة ، ولا تعير أحداً بذنب فتبتلي به ، ويشغلك ما تعلم من نفسك عن الاشتغال بغيرك ، واسع في صلاح قلبك يكفك الله شر نفسك .

يا بني اعمر قلبك بذكر الله عز وجل ، وجوارحك بطاعة الله ، وكف أذاك عن الناس تسلم لك حسناتك يوم القيامة من المظالم والقصاص . وإن أردت أن تكون أكرم الناس فتوكل على الله . وإن أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما عند الله أوثق منك بما عندك .

---

(١) الأعراف ، ٢٣ .

يا بني ان الدنيا دار غرور ، وقد اغتر بها الأولون وستغر الباقين إلا من عصمه الله ، وقليل ما هم ، فتزوّد منها لمعادك ، وارض من الدنيا بما قسم الله لك ، ولا تغفل عن أيامك فتقع بك الحسرة والندامة عند الموت . وبادر الأوقات قبل فوتها من قبل أن يحال بينك وبينها ، واعلم ان الله عز وجل جعل الدنيا قنطرة الآخرة ، فاعبرها ولا تعمرها ، ولا تغتر بزينتها . واعلم أن متاع الدنيا قليل ، وانظر الى عاقبة أمرها في آخرها حتى لا تغتر بأولها .

يا بني من عقل عن الله سارع الى الخيرات وعمل في الباقيات الصالحات . واعلم أن الناس خلقوا للآخرة وابتلوا بالدنيا فهم سكان الدنيا أبناء الآخرة ، ينقلون بالموت من دار الى دار ، فاتعب نفسك في طاعة الله عز وجل قليلاً تنعم في دار الآخرة طويلا .

يا بني انه كان من وصية يعقوب لولده بنيامين : يا بني لا تتبع هواك فتفارق ايمانك ولا تسيء الظن بالله فيحجب دعاؤك عن الله . ولا تتكلم بما لا يعنيك فتسقط من عين الله . ولا تظلم أحداً من خلق الله فان الجنة لم تخلق للظالمين .

يا بني لا يكن شيء آثر عندك من الله ، وتحبب الى الله عز وجل بمخالفة نفسك لله يحبك الله ويُحبّبك الى عباده ، ولا تتعب نفسك فيما تكفل الله لك به من الرزق المضمون ، واشتغل بالعمل المفروض . واعلم أنه لا عدو لك أعدى من نفسك فعاد نفسك برضا ربك .

يا بني أرض الخلق برضاء الله ، فان رضوا عنك فذلك من الله الذي أرضاهم لك ، وان لم يكن رضاء الله إلا بسخطهم فأسخطهم ولا تبال من سخط منهم عليك ، واقبل على شأنك ، وكن عارفاً بأهل زمانك ، وأحسن جوار من جاورك ، وعشرة من عاشرك ، وصحبة من صاحبك ، وعليك بمجالسة الفقراء أهل الفقر والفاقة والمسكنة الى الله واخدمهم بنفسك . وتحبب الى الله عز وجل في المحبة لهم وابذل لهم مالك وجاهك ، وتبرك بدعائهم ، ودم على صحبتهم ، فان

لهم يوم القيامة دولة ، وعند الله تعالى شفاعة ؛ وجانب الأغنياء المترفين الذين يتزينون بعمل الآخرة . واحذر مجالس علماء السوء الذين يتزينون بالعلم ويأكلون الدنيا أكلاً ، وان من شرار العلماء الذين يزورون السلاطين ويتصنعون لأبناء الدنيا لينالوا من دنياهم شيئاً . واعلم أن الزاهد من زهد في أموال الناس ، وبذل ماله ابتغاء مرضاة الله ، وقنع باليسير من الدنيا . والفقير الصادق من كتم فقره عن الناس ، ولم يشك ما به الى أحد من المخلوقين ، وقطع أسباب الطمع عن نفسه ، وصبر عند عدم الأشياء حتى يكون الله عز وجل موضع فرجه .

يا بني لا تطلب الدنيا لتستغني بها ، فانه ليس في الدنيا ما يغني العباد غير القناعة والبلغة منها .

يا بني خف الله خوفاً لا يكون شيء أخوف له منك ، وارج الله رجاء لا يكون أحد أرجى له منك ، وأحب الله حب من خالط لحمه ودمه وعروقه وشعره وبشره من فرقه الى قدمه ، وتوكل على الله تكف ، وثق بالله تقنع ، واذا أصابتك شدة أو نائبة أو مصيبة فتعز بثواب الله واصبر على بلاء الله وارض بقضاء الله تكن مؤمناً تستحق من الله حسن ولايته .

يا بني اذا أقبلت عليك الدنيا فلا تفرح لها ، واحذر أن تكون وبالاً عليك ، واذا أدبرت عنك فلا تحزن عليها رجاء أن يكون لك عند الله منزل ؛ وخذ من الدنيا ما ينفعك ودع منها ما يضرك ، ولا تستكثر منها فيطول حسابك ، فان السلامة منها ترك ما فيها ، وان أقبلت عليك الدنيا وأنت زاهد فيها لم يضرك وان أدبرت عنك وأنت راغب فيها أضرت بدينك ، فخذ منها القوت ، وقدم الفضل منها لنفسك ؛ ولا تكثر الضحك والمزاح فان كثرتها تميت القلب وتذهب بنور الوجه ؛ وجالس العلماء ؛ واستمع كلام الحكماء يحيي قلبك بنور

الحكمة وتزدد في كل يوم علماً وفهماً ؛ واستشر في أمرك الذين يخشون الله ؛ واعرض حالك على العلم ، فان رأيت العلم يحمد حالك فذاك نعمة من الله عز وجل ؛ وازدد شكراً تزدد من الله قرباً . ومن شكر الله عز وجل استحق المزيد من الله . ومن استغفر الله استوجب الغفران من الله . ومن نسي الله غفل عن أمر الله .

يا بني أنا راغب الى الله في مسألتي له أن يجعلك خلفاً من بعدي تخلفني في علمي ومذهبي . وقد أملت ذلك من الله أن يجري الله منافع الخير على يدك ، ويكون ذلك سريعاً ان شاء الله .

يا بني إذا لقيت أحداً من اخواني واصحابي فأقرهم مني السلام وأخبرهم عني بالله عز وجل ، قال : «أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا» [1] . «فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور» [2] . واعلم أن الله عز وجل بنى داراً لمن لا دار له يجمع فيها من لا عقل له . فلا تتعب نفسك وقلبك في شيء يصير مهناه لغيرك وحسابه عليك ، فاطلب من الدنيا الكفاف وتزود منها للمعاد . واعلم انك ميت لا محالة ، فكن من الموت على يقين ، ولا تطل أملك في الدنيا ، فانه ليس فيها ما يغني عن الفقر والرضى ، فاسأل الله عز وجل القنوع والرضا ، ولا تبسط يدك كل البسط ولا تقبضها كل القبض ، ولتكن بين ذلك قواماً . واقصد في معيشتك واحذر الاسراف والتبذير ، فان من علامة فقه الرجل القصد في المعيشة .

يا بني من ترك الدنيا زاهداً فيها أقبلت عليه الآخرة وأتته الدنيا راغمة . ومن كانت الدنيا همه قلت عن الآخرة رغبته . وكل من أعطي من الدنيا شهوة

---

(١) القصص ٦١ . (٢) لقمان ٣٣ .

يحال بينه وبين أمنيته من الآخرة واعلم ان الدنيا حلوة خضرة ، والآخرة مرة كريهة ، فمن صبر على مكاره الدنيا وصل الى نعيم الآخرة .

يا بني لا تسل الناس شيئاً واستغن عنهم بغنى الله ، ولا تطمع بأحد غير الله وإن أصابتك شدة فاستعد لها الصبر ، فان الفرج كله مع الصبر ، ولا تشك ما بك إلا إلى الله عز وجل ، واكتم حالك في نفسك جهدك ، فان قل صبرك فاشك ما بك إلى إخوانك وخاصة أصحابك .

يا بني إن أباك قد عزى نفسه عند إخوانه وأصحابه بأنه أيقن بالرحيل فهو يتوقع الأمر صباحاً ومساءً فعز نفسك فان الله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم «إنك ميت وإنهم ميتون»[1] ، فاستعد للقاء وتزود للرحيل ، ولا تغتر بالبقاء إذ كان آخر الدنيا الى فناء وكل ما فيها الى زوال . واعلم أن الدنيا بحر عميق لا غور لها قد غرق فيها الماضون وسيغرق الباقون فان استطعت أن تخطو الدنيا الى الآخرة خطوة واحدة فافعل ، وإن كانت عليك فيها مشقة . ان العامل[2] اللبيب من قدم دنياه لآخرته ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، وخالف نفسه ولم يتبع هواها .

يا بني ان أردت أن يرفع الله قدرك ويعلو في الملكوت ذكرك ويحبك الله ويحببك الى عباده فعليك بلين الكلام وإفشاء السلام وخفض الجناح لمن اتبعك من المؤمنين ، واجهد نفسك الى أن تحسن الى كل من أساء اليك ، واعف عمن ظلمك ، وكن كهفاً لمن التجأ اليك ، وخالق الناس بخلق حسن . ولا تعبس وجهك فيغلظ كلامك ؛ وان اعتراك الغضب فاذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل ، وراقب الله جل ثناؤه حق مراقبته ، واستحي من الله كل الحياء .

---

(١) الزمر ٣٠ .

(٢) هكذا في الأصل ومن الجائز أن تكون العاقل .

واعلم أنه معك يسمع ويرى فالزم قلبك علم هذا ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان» .

يا بني اذكر الله يذكرك ، وتقرب (الى)[1] الله يقربك ، وتحبب الى الله يحبك . واذا شرع لك أمران ، أمر دنياك وأمر آخرتك ، فآثر أمر آخرتك على أمر دنياك ، وقدم أمر الله في كل حال واعلم أنه من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه في دنياه وآخرته . احفظ الله يحفظك معناه احفظ سريرتك يحفظ الله لك علانيتك . من أصلح سريرته أصلح الله له علانيته . ومن أصلح بينه وبين الله أصلح الله بينه وبين الناس . وتعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة معناه اشكر الله في الرخاء لا ينسك في الشدة .

واعلم يا بني أن الله عز وجل على لسان كل قائل فاعرض كلامه على قلبك ، فما كان لله فيه رضى فتكلم ، وما كان للنفس فيه هوى فاصمت ، وان كان حقاً . واذا تكلمت فتكلم لله ؛ واذا سكت فاسكت لله ، واذا أعطيت فأعط لله ، واذا أمسكت فأمسك لله . واجعل حركاتك وسكونك كلها لله ، حتى تكون عند الله عبداً خالصاً مستخلصاً من الأهواء كلها . واحذر مجالسة كل غني أبطره غناه ، ولا تمدن عينيك الى زينة المترفين في أموالهم ، فربما ذهب بشعاع أبصار القلوب . وإياك والخلوة بالنساء والأحداث فان الشيطان يزين للعبد في نفسه الفاحشة بالمحادثة لهم والنظر اليهم حتى يوقعه فيها . واحذر المراء والجدال والخصومات في الدين ، فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه . وقال جل ثناؤه : «ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا»[2] . واعلم أن الدين نصيحة والمجالس بالأمانة . وعلينا النصيحة وقبول الحق لمن أوضح الله حجته ووفقه لإصابة الحق . ومن لم ينتفع بقليل الحكمة ضره كثيرها . ومن

(١) زيادة منا يقتضيها المقام . (٢) غافر ٤ .

عمل بقليل العلم أداه قليل العلم الى كثيره . وخير العلم ما نفع . وأعوذ بالله من علم لا ينفع . وانما يراد من العلم العمل . ومن عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم . وانما نزل العلم والقرآن من عند الله ليعمل به ، فاتخذوه لباس رياسة وضيعوا العمل به فصار حجة عليهم لأنهم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده ، وتزينوا به عند العامة وأكلوا به الدنيا ، فاستعذ بالله من فتنة العلماء ومن منافقي القراء ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها » وقال صلى الله عليه وسلم : « يكون قوم من أمتي في آخر الزمان مساجدهم منهم عامرة وقلوبهم من الهدى خربة ، علماؤهم شر من تحت أديم السماء ، منهم بدت الفتنة وفيهم تعود » . واعلم أن الله عز وجل جعل الخير في قليل من الناس لا في كثير لقوله عز وجل : « وقليل من عبادي الشكور » (١) ، وقوله عز وجل : « وقليل ما هم » (٢) ، و « قليلاً ما تذكرون » (٣) ، « وما آمن معه إلا قليل » (٤) وما قل وكفى خير مما كثر وألهى . والله عز وجل يقول : « من رضي مني بقليل من الرزق رضيت منه بقليل من العمل » فأقل من الطعام والشراب والنوم ؛ واقلل من الكلام فيما لا يعنيك . وليكن كلامك حكمة ، ونظرك اعتباراً ، وصمتك تفكراً . فان الله عز ذكره لم يخلق هذا الخلق عبثاً ، ولم يتركهم سدى ولم يهملهم كالهمج همجاً . وخير العلماء الحكماء الرحماء الحلماء ثم المتمسكون بعلمهم والمتبعون لآثارهم والباقي همج لا خير فيه . وعليك بالجوع والزهادة ، فان لله عز وجل عباداً لهم درجات عند الله لا ينالونها (٥) إلا بذلك ، وفي الدنيا يعطيهم الحكمة . ولم أر شيئاً مما يستعمله المبتلى ببطنه وفرجه أنفع له من الجوع والعطش والخوف من الله ، وان ينصب الموت بين عينيه ، ويذكر

(١) سبأ ١٣ . (٢) ص ٣٤ . (٣) الأعراف ٣ .
(٤) هود ٤٠ . (٥) في الأصل ينالوها .

وقوفه بين يدي الله عز وجل خائفاً ذليلاً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . وأكثر آفة الناس من البطن والفرج وهما الأجوفان ، فطوبى لمن عصمه الله عز وجل من بطنه وفرجه .

يا بني ارحم الأغنياء لقلة شكرهم ، وارحم الفقراء لقلة صبرهم ، وارحم الغافلين لكثرة غفلتهم واغترارهم بالدنيا ، كل من عليها مرحوم من الجن والانس والطير والدواب والسباع والأنعام مبتلى بعضهم ببعض ومسلط بعضهم على بعض . وأعظم البلاء لبني آدم لأنهم مأمورون منهيون ، والبهائم وغيرها من الدواب مصابون بسبب بني آدم وليس لهم عقوبة ولا لهم ثواب ، ولا عليهم عقاب في الآخرة ، حكم الله جار عليهم في الدنيا وما الله بظلام للعبيد .

يا بني احذر من الناس من يخدعك بالله ويجرك الى نفسه ليستأصلك ويستخدمك وهم العلماء السوء الذين يحتالون على الدنيا بالدين ويأكلون أموال الناس بالباطل فانهم شرار الناس في كل زمان . واعلم أنك إن أطعت الله عز وجل بالصدق والاخلاص أطاعك كل شيء وهابك الفجار وعلتك السكينة والوقار وأثبت في ديوان الأخيار .

يا بني أحسن جوار نعم الله عليك بالشكر له . فما زالت نعمة عن قوم فكادت أن ترجع اليهم سريعاً .

يا بني طب عن الأمة نفساً وارض بالرحمن أنساً ، فما عليها أحد يعدل في الخيرة فلساً .

يا بني وفقنا الله وإياك لمحابه وجميل مواهبه وجعلك أهلاً للموعظة ونفعك بها .

تمت الوصية لابن قتيبة رحمة الله عليه وصلى الله على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

في إعجاز القرآن (١)

... وبعد فما زال هذا القرآن المجيد ، الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » آية باقية على وجه الدهر ، وقد أولع العلماء به بحثاً ودرساً ، فعنوا بتدوينه وجمعه ، ومكيه ومدنيه ، وترتيبه وترتيله واختلاف مرسومه ، ومعنى أحرفه السبعة وطرق أدائه ، ووصف قراءاته السبع وقرّائه ، وبيان الحق في ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وبأقسامه وأمثاله ، وفواتح سوره وخواتيمها ، وما في قصصه من عظات وعبر ، وكون إعجازه بلغته ، وتعذر ترجمته الحرفية (لا التفسيرية) .

ولكنّ أعلى هذه المباحث خطراً ، وأجلها قدراً ، وأبقاها أثراً ، ذكر خصائصه ومزاياه التي كان بها وحياً معجزاً ، فقد ألفت في إعجازه كتب مستقلة ، وتجلت مباحثه في المصنفات الكلامية والبلاغية ، بلهَ ما فسر به المفسرون ما جاء في آية الاسراء ٨٨ : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » وفي سورة يونس ٣٨ : « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » وفي هود ١٣ : « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

وقد نزلت هذه السور الثلاث بمكة متتابعات كما رواه رواة المأثور ، وفي رواية عن ابن عباس أن سورة يونس مدنية ، والراجح الأول ، لأن أسلوبها

(١) مقدمة للمقالات المتسلسلة في إعجاز القرآن للأستاذ نعيم الحمصي التي نشرتها المجلة في المجلدات : (٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠) .

مكي ، وجاء في سورة البقرة المدنية : «فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين» ٢٣ .

وقد توالت الأزمان ، والقرآن يتحدى أهلها بالإتيان بقرآن مثله في جملته ، أو بعشر سور تضاهيه في بعض أنواع إعجازه ، بل بسورة واحدة أيضاً تماثله بلفظه ونظمه وأساليبه ، وهدايته وتأثيره وعلومه ، وقد تبين بعد طول هذا التحدي بأنه كتاب الله المنزل ووحيه المعجز ؛ لكنّ ما ألفه أمراء البيان يوقف على مواضع من حقيقة القرآن ومجازه ، ويجلي للناظر مطالع من إيجازه وإعجازه ، وإن كان هذا الوحي المعجز كالكهرباء وضيائها تستنير بنوره الأبصار ، ولا تحيط بكنهه الأفكار ، أو هو :

كالبدر من حيث التفتّ وجدته ... يهدي الى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها ... يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

هذا ويودُّ كل باحث في أسرار القرآن ومقاصده أن لو جمع ما دوّنه البلغاء في كنه هذا الإعجاز على تراخي العصور ، واتساع دائرة العلوم ، فانتدب لهذا الأستاذ نعيم الحمصي ، فلخص ما سطرته الأقلام ، مما جادت به القرائح والأفهام ، وجمعها في كتاب واحد سماه (تاريخ فكرة إعجاز القرآن) من بعد ما نشره مقالات في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، بادئاً بتاريخ استعمال كلمتي : معجزة وإعجاز ، مفسراً لها لغة واصطلاحاً ، مشيراً الى أنها بمعنى ما ورد في القرآن من الآية والبرهان والسلطان ، ذاكراً أول كتاب عُنون باسم : (إعجاز القرآن) في أواخر القرن الثالث أو مطلع القرن الرابع ، وكتب تحت عنوان (المعركة الفكرية الكلامية بين القرآن والعرب) صفحات كثيرة (مج ٢٧ ص ٢٤٣ — ٢٦٣) ضمنها محاجة الرسول لقومه بهذه المعجزة العظمى ، وما كان من إنكارهم لها ، واستكبارهم عن الإيمان بها ، وعجزهم عن الإتيان بمثلها ، ووضعهم

السيف والسنان مكان الحجة والبرهان . وهنا يظهر استقلال المؤلف عن جمهرة القائلين بأن العصر الجاهلي هو أكثر عصور الأدب ازدهاراً ، فإذا عجز أهله عن محاكاة القرآن فغيرهم أعجز ، ويرى أنهم كانوا مرحلة تمهيدية لمن جاء بعدهم من الكتاب والشعراء والخطباء في العصرين الأموي والعباسي ، وهو لا يرى أن الزمان قد رجع في البيان العربي القهقرى في عهد عز العرب الإسلامي . واستدرك على من يفهم من قوله أن ليس القرآن إلا طوراً من أطوار النثر العربي ، وأنه فوق النثر الجاهلي ودون النثر العباسي ، من حيث الفن والمرونة والقدرة على الأداء ، قال : « وهذا غير صحيح ولا أقصده ، ذلك لأن القرآن في تاريخ الأدب العربي قائم بنفسه ، لأنه فذ في بيانه ، ويكفي لإدراك تفوقه أن يكون الناقد قد استوفى حظه من النقد الأدبي الفني ، فيقارن بينه (أي النص القرآني) وبين نص أدبي آخر ليشعر بالفرق المحسوس بينهما ، ذلك الفرق الذي جعله معجزاً رائعاً ، والذي يرجع الى أسباب سأذكرها في حينها » .

وقد أنشأ فصلاً أبان فيه رأيه في إعجاز القرآن ، وجاء في أوله : « والذي أراه أنا هو أن القرآن باغتهم بمميزات فيه أدركوا جمالها وعجزهم عن مثلها » وردّ هذه المميزات الى أمرين اثنين ، أولها لفظي يرجع الى أسلوب القرآن المخالف لأساليبهم جميعاً ، وثانيهما خفي أو داخلي يدرك بالذوق ويصعب بيانه وتعليله ، وفصّل القول في هذين تفصيلاً (مج ٢٧ ص ٤١٨ — ٤٢٣) وهنا انتهى المؤلف من الكلام على الجدال بين القرآن وبين العرب في عهد الرسول كما قال .

ثم قدّم (مقدمة) للإعجاز بعد عصر النبي (ﷺ) ذكر فيها ما خلاصته أن الصحابة الكرام ، كانوا قبل الاتصال بالأعاجم وعقائدهم ، على سلامة

في الفطرة ، وصفاء في العقيدة ، وقوة في الإيمان ، ووحدة في الأمة ، ثم امتد الزمان ، فاشتعلت الفتن ، ونشأت الفرق ، واقتتل المسلمون أنفسهم اقتتالا شديداً تحت راية القرآن وتأويله ، وفي عهد الفتوح ، وامتزاج المسلمين بشعوب البلاد ، كانت دعوتهم وجدالهم مع أهل الأديان « وكانت المناقشات الدينية قائمة فيها قبل الإسلام بزمن طويل على ساق وقدم ، تدور حول مسائل دينية فلسفية عويصة ، أهمها قضية لاهوتية المسيح أو ناسوتيته ، وقضية القضاء والقدر ، فكان حتماً عليهم أن يخوضوا غمار هذه المناقشات ، واصطدموا في العراق وفارس بأتباع المذهب الزردشتي وأتباع المذهب المانوي وبغيرهم ، فاضطروا الى مناقشة أصحاب الأديان في أديانهم ، والدفاع عن الإسلام الذي ينكره خصومهم ، وكان في مقدمة المسائل التي تستدعي الجدل والمناقشة مسألة نبوة النبي ، ومسألة تحدي القرآن للعرب في أن يأتوا بمثله ، ومسألة أنه وحي منزل من عند الله ، لا كلام ألفه الرسول » .

ومن هنا أخذ المؤلف يتكلم على فكرة إعجاز القرآن وتاريخها في العصور ، وأشهر من كتب فيها أخذاً ورداً وقبولاً ورفضاً ، الى عصرنا هذا . ثم أخذ يصف كلام البلغاء في إعجاز القرآن وكتبهم التي ألفوها فيه خاصة ، وفي طليعتهم الجاحظ والواسطي وإن كان كتابه مفقوداً ، والجرجاني والفخر الرازي ، والزملكاني والقرطاجني ، وبين أن الجماعات التي بحثت مسألة الإعجاز هي أربع : جماعة المعتزلة ، والمتكلمين ، والمفسرين ، والادباء ، وأن هذه الجماعات ليست متباينة ، فقد يجمع الرجل بين الأدب والاعتزال كالجاحظ ، وقد يجمع بين الاعتزال وعلم الكلام والتفسير كالزمخشري ، وتراهم جميعاً يستمد بعضهم من بعض ، وختم البحث بقوله (مج ٢٧ ص ٥٧٣) ومن الخير أن أنتقل بعد هذه المقدمة التي بينت فيها خطوط فكرة الإعجاز الرئيسية ـ الى الكلام على من بحثوا فيها واحداً واحداً ، أصنفهم على حسب العصور التي عاشوا فيها ، ثم بحسب الجماعة التي ينتمون اليها اه .

وقد طبق مارسمه بدقة وعناية ، ومشى في العصور عصراً فعصراً ، مبتدئاً من العصر الثاني ، مختتماً بالعصر الرابع عشر ، مراعياً زمن الكتّاب ، واصفاً روح عصورهم الأدبية ، ونحلهم التي يميلون اليها . هذا وقد كنت اطلعت على هذه الأقوال أو كثير منها ، وأمرّ عليها الآن مجموعة في كتاب يذل صاحبه فيه جهداً يشكر عليه ، وهو ناقل ناقد مستقل ، قلما يتيسر لغيره مثل ما وفق اليه وناقش فيه . وظاهر أن الغرض منه تأييد إعجاز القرآن لا نفيه ، بدليل أنه أثبت لنفسه رأياً في إعجازه ، وكتبه تحت عنوان (رأيي في إعجاز القرآن) واستدلّ على ما ذهب اليه بأدلة أوضحها (مج ٢٧ ص ٤١٨ وما بعدها) .

ومن سبر هذه الأقوال والآراء سبراً بعيداً عن العصبية والتقليد ، وجد فيها الصواب الذي لا يحتمل الخطأ ، والشاذ الذي لا مرية في شذوذه ؛ وإني ذاكر مايجول في الخاطر عوناً للمؤلف الكريم على تنقية مؤلفه من الشوائب ، لا سيما ماهو فيه ناقل غير قائل ، وما عرفناه إلاّ مسلماً منصفاً ولله الحمد .

١ — في (مج ٢٧ ص ٢٤٩) : « وإذا رجعنا إلى الاعتبار الديني ، كان فيض هذا الشعور النفسي الديني لدى النبي أمثل وأقوى في أذهاننا ، سواء أكنا مع القائلين من علماء المسلمين بأن معاني القرآن منزلة وأن اللفظ من النبي ، أو مع القائلين بأن القرآن بمعناه ولفظه وحي من الله ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

القول الثاني هو الصواب ، والأول خطأ صرف ، قال به بعض فلاسفة الغرب كتوماس ، ودينيه ، ودرمنغام وأمثالهم ، وقد كانوا كتبوا في السيرة النبوية شيئاً حسناً ، وبسطوا للأمم حقائق منها لولاهم لطمسها الجهل والتعصب ، غير أن هؤلاء عرضت لهم شبه وأوهام ، فحسبوا الوحي الإلهي النبوي عموماً ، والمحمدي منه خصوصاً ، ضرباً من الاستعداد النفسي والفيض الذاتي ، أي

انه نابع من قلب الرسول (ﷺ) ، غير نازل من عند الله (ويدخل في هذه الشبهات ما جاء وصفاً للقرآن (مج ٢٧ ص ٢٥٨ و ٤٢١) من قولهم : تفكير ناضج عميق شامل بعيد النظر ، وتغذيها (أي الغاية الإصلاحية) عاطفة متأججة وخيال خصب) .

وقد بسط السيد الإمام (محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى) هذه الشبه ، وأبرز معانيها ، وصوّرها بأجلى صورها ، ثم كرّ عليها بالنقض والإبطال ، وبين فسادها واستحالتها من عشرة وجوه لا تحتمل الرد ولا المراء . (ص١٠٢ — ١١١ من كتاب الوحي المحمدي) . وقريب من ذلك جعل المعتزلة القرآن مخلوقاً لا وحياً منزلا ، ففيه نفي صفة الكمال عنه تعالى وهي الكلام ، وردّ لقوله « وكلم الله موسى تكليما » ويدفع قولهم (بالصرفة) — وهي في حقيقتها نفي الإعجاز عن القرآن — أن ليس للعرب من قبل ولا من بعد ما يماثله أو يدانيه .

ويقرب من هذه الأقوال بل يؤول اليها إثبات الكلام النفسي لله عز وجل دون الكلام اللفظي ، فيكون معنى تنزيل الكتاب من عند الله هو إظهار صورة حسية عن تلك الصورة النفسية الإلهية ، كما تؤخذ نسخة من الكتاب بآلة التصوير فتكون نسخة طبق الأصل ! والأصل هنا ما في نفس الله عز وجل من الكلام المسمى بالقرآن ، والمأخوذ عنه هو هذا القرآن المحفوظ في الصدور وفي السطور ، ومعنى ذلك أن الله لم يتكلم حقيقة ! ! وقد عاب الله من يعبد إلهاً لا يتكلم فقال : « ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا » وقد أنطق العلم الحديث الآن الجمادات فنطقت بغير فم ولسان كالحاكي مثلاً ، أفتأبى قدرة الله وحكمته أن يتكلم إلا بفم ولسان كالإنسان ؟ ! أفليس هو القادر على أن يختم على فم الانسان وينطق جسمه كما قال : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم ... » الآية ، فهل يكون عاجزاً عن النطق من يفعل ذلك ؟ سبحانك اللهم وغفرانك .

٣ – (مج ٢٩ ص ٥٧٦) قول الرافعي: «في اشتمال القرآن على مبادئ العلوم وعلى كثير من المخترعات والنظرات العلمية الحديثة» لا يدل على أنه «يجعل من القرآن موسوعة دينية دنيوية لعلوم الأرض! ؟» وإني مورد أمثلة توضح هذه المشكلة:

أ) قال تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ولا يخفى أن (ما) من ألفاظ العموم عند علماء العربية والأصول، فقوله: «وأعدّوا» هو أمر عام، موجب على الأمة والدولة بذل أقصى المستطاع في إعداد القوة، للدفاع عن الملة والحوزة، وقد جاء اللفظ منكراً (من قوة) ليشمل كل قوة، وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان، وفي عصرنا تعم بعموم اللفظين «(ما) استطعتم من (قوة)» القوى البرية والبحرية والجوية.

ب) ومن معناها قوله سبحانه: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» فهي آمرة بصدّ كل عدوان يصدر من المجرمين أو الأعداء المحاربين وبإعداد سلاح من جنس سلاحهم مهما اختلفت أنواعه، وتعددت أسماؤه، فهو شامل للقذائف النارية اليدوية، والمدافع والرشاشات، وللسفن الحربية والغواصات والطائرة النفاثة وغيرها، بل تعم الآن القنابل الذرية والهيدروجينية، ولا بد من إنشاء المعامل والمصانع لصنعها، فهل في دلالة هذه العمومات العربية والأصولية الشرعية، على ما قدمنا، افتئات على اللغة أو الدين، ولماذا نقصر العام على بعض أفراده كالسيوف والسهام وهو أضعفها في هذا الزمان، ونقول هذا هو الاسلام ؟

ج) وفي صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر أنه سمع النبي (ﷺ) – وقد تلا هذه الآية – يقول: «ألا إن القوة الرمي» قالها ثلاثاً، ولفظ الرمي كما يدل على قذيفة السهم والمنجنيق، فهو يشمل القذائف النارية التي تقذف من المدافع والطائرات وغيرها، ونحن لا نقول: إن النصوص دلّت

على هذه القوى والأسلحة بأعيانها ، أو سمتها بأسمائها ، بل تقول: إنها شملتها بعمومها لأنها من أفراد هذا العموم .

د) وفي سورة يس : «وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون» وهذه الآية كما تدل على «سفائن برّ والسراب بحارها» تدل بعمومها على القطر الحديدية ، والسفن الهوائية وغيرها مما ظهر وسيظهر في عالم الوجود ، ومثلها آية : «ويخلق ما لا تعلمون» أفما يصح أن يكون هذا الايجاز الشامل طريقاً من طرق الإعجاز ؟ بلى ، وإلا فما معنى كون القرآن لكل زمان ومكان ، وكونه لا تتناهى عجائبه ؟

٣ — (مج ٢٧ ص ٢٥٥) : «وذكر الألوسي ذهاب ابن عطية والمبرد إلى أن التحدي بسورة ، وقع قبل التحدي بعشر سور ... وذكر في تبرير ذلك ما قاله ابن الضريس نقلاً عن ابن عباس في أنه تحدّاهم بسورة مثله في البلاغة والاشتمال على الغيب والأحكام ، فلما عجزوا تحدّاهم بعشر مثله في النظم ، وأيّد الشهاب رأي المبرد في أن التحدّي كان أولاً بسورة ثم بعشر» قلت : وأيدهم في هذا السيد صاحب المنار في تفسيره وبيّن أن حكمة التحدّي بالعشر بعد الآية الواحدة هو التوسعة بالإتيان بالخبر الواحد بأساليب متعددة متساوية في البلاغة ، وان القاموس الأعظم لإعجاز القرآن اللفظي هو تكرار المعنى الواحد بالعشرات والمئات من العبارات المختلفة في النظم والأسلوب ، وبلاغة العبارة وقوة تأثيرها في قلوب القارئين والسامعين لها ، وعدم وقوع الاختلاف بالتناقض أو التعارض في شيء منها .

٤ — يسرد الأستاذ المؤلف أسماء طائفة من أشهر المفسرين الذين خاضوا في الإعجاز من الطبري إلى طنطاوي جوهري في تفسير «الجواهر» ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار ، قال «من الجزء الثاني حتى العاشر» ثم أفرد آراءهم

بالذكر ، ولم يُبين عن تفسير المنار شيئاً ، والظاهر أنه سها عنه ، أو لم يتمكن من تلخيص رأيه .

والذي أعرفه أنه تكلم في إعجاز القرآن في الجزء الأول ، وفي الحادي عشر والثاني عشر مفسراً فيها آيات التحدي في البقرة ويونس وهود ، ومما كنت كتبته في إعجاز القرآن من تفسيره ما نصه ، انه يضيف إلى وجوه إعجاز القرآن ، ومعجزات النبي (ﷺ) التى ذكرها سلفنا وجوهاً أخرى لم تكن معروفة من قبل ، وانكشفت الآن لدى المحققين الباحثين في خواص الكون ، وتاريخ البشر ، وسنة الله في الخلق ، وقد حققها القرآن الذي جاء به النبي عن ربه قبلهم بثلاثة عشر قرناً ، ككون الرياح تلقح الأشجار والثمار ، وكون السموات والأرض كانتا مادة واحدة ، وجعل كل شيء حي من الماء ، وجعل النبات مؤلفاً من زوجين اثنين ، والرياح هي التي تنقل مادة اللقاح من الذكر الى الأنثى (راجع تفصيلها من ص ٢١٠ ج ١) قال السيد المفسر : وفي هذا المعنى عدة آيات ، أعمها وأغربها وأعجبها قوله تعالى : «سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون» .

٥ — للإمام ابن القيم كتاب مطبوع سماه «كتاب الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان) وكله شواهد لما وقع في الكتاب العزيز من فنون الفصاحة وعيون البلاغة ، وفي آخره فصلان في وجوه الإعجاز وأمثلة منه .

٦ — كتبت تصحيحاً لما رأيت من سهو في بعض الآيات الكريمة وها هي ذي مصححة :

(مج ٢٧ ص ٢٥٠ س ٨) «وكذلك ...» : «كذلك ...» السورة ٢ الآية ٢٤٢ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٠ س ١٠) «... وإن الله ...» : «... وأن الله ...» الحج ، ١٦ :

(مج ٢٧ ص ٢٥٠ س ١٥) نبي أعطي: نبيّ إلا أعطي «حديث» .

(مج ٢٧ ص ٢٥٢ س ٨) «إنه أساطير ...» : «وقالوا أساطير ...» الفرقان ، ٥ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٢ س ٩) «... تتلى عليه ...» : «... تُملَى عليه ...» الفرقان ، .

(مج ٢٧ ص ٢٥٣ س ٩) «إنه افتراه ...» : «إن هذا إلاّ إفك ...» الفرقان ، ٤

(مج ٢٧ ص ٢٥٣ س ١) «وقال الذين كفروا ...» : «قال الذين لا يرجون لقاءنا ...» يونس ، ١٥ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٤ س ٨) : «... لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم ...» : «ولمّا يأتهم ...» يونس ، ٣٩ .

(مج ٢٧ ص ٤١٨ س ١٢) «يأيها الذين أسرفوا ...» : «قل يا عبادي الذين أسرفوا ...» الزمر ، ٥٣ .

٧ — (وفي مج ٢٧ ص ٤٢٣) : «فالذي أعتقده أن النبي لو فشل أو قتل لفاز قرآن مسيلمة أو أمثال مسيلمة» .

لِمَ لا يقال : لو فشل النبي الصادق لكان مسيلمة وأمثاله من الكذابين أشد فشلا ، وأقل ناصراً وعددا ، ولا يمكن أن تقيم نبوة الكذب طويلا .

٨ — في (مج ٢٧ ص ٥٧٧) : «فأما ابن الراوندي فقد ذكر الرافعي أنه كان يقول إن في القرآن كذباً وسفهاً» !! «وأما عيسى بن صبيح المزدار فـ .... حتى انه كفّر مرة أهل الأرض قاطبة» وقد صنف الأستاذ الحمصي من تناول قضية الإعجاز في العصر الثالث الى أصناف : ١ — من ضعفت عقيدتهم وأنكروا الإعجاز من أحرار الفكر ، وأرباب الأديان ، ويمثلهم ابن الراوندي من المتفلسفة ، وعيسى بن صبيح المزدار من المعتزلة» . وقال : «كما كان من واجب المعتزلة أن يردّوا على أحرار الفكر والفلاسفة في مطاعنهم في الإسلام» .

فتبين من هذا كله أن هذه الفوضى في الدين تسمى بحرية الفكر ، والمؤلف يسمي من اتهموا بالمعارضة للقرآن أو الزندقة بالمفكرين الأحرار ، والصواب أن هذا الصنف الأول وغيره من الطاعنين في الإسلام ، ومكذبي القرآن هم من أهل الكفر أو المكر والسفه فكيف يصح أن يلقبوا بهذه الألقاب : أحرار الفكر أو الفلاسفة ؟

٩ — المؤلف صافي الديباجة ، فصيح الأسلوب ، وقد مرّت بي وأنا أطالع الكتاب هنات هينات ، أرجو أن تلاحظ في الطبعة الثانية إن شاء الله :

جاء في آخر (ص ٢٤٧ مج ٢٧) : وإنما يقضي فقط على فكرة المعتقدين بأن الأدب الجاهلي هو أكمل مثال في تاريخ الأدب العربي » : لا محلّ للفظ (فقط) هنا ، لأنّ (إنما) تفيد الحصر وتغني عنها . ومثلها (في مج ٢٨ ص ٦١) : يمكن (فقط) أن تعرف ، ولا يمكن أن توصف . (وفي مج ٢٨ ص ٦٦) : كالمتنبي الذي لم ينسب اليه (فقط) عدم اعتقاده بإعجاز القرآن ، بل يرى الخ ومحلّ (فقط) بعد (بإعجاز القرآن) . ومثلها في (مج ٢٨ ص ٧٧) : أسلوب القرآن ليس أعلى (فقط) من أسلوب الإنس ، بل الخ فان محلها قبل (بل) .

(وفي مج ٢٧ ص ٢٤٩ س ٧) : برغم أن الرأي الذي تريد دعمه (ومج ٢٧ ص ٤١٩ س ١٤) برغم بساطتها . (وفي مج ٢٧ ص ٤٢٠ س ٧) : على الرغم من أنه يتناول الخ (وس ١١) برغم تقدمها النسبي .

أقول إن الأستاذ المؤلف يكتب في إعجاز القرآن وهو يحب أسلوبه ، وقد قال تعالى : «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً» الآية ، ولم يقل برغم حبه أو على الرغم من حبهم إياه ، فالأفصح على هذا أن يقال : على أن الرأي : على بساطتها : على كونه يتناول : على تقدمها النسبي الخ .

١٠ — جاء في الخاتمة (مج ٣٠ ص ٣٠٨) قول المؤلف: ولا أرى الآن بدًّا من القول بأن فكرة الإعجاز عقيدة دينية مثل غيرها من العقائد التي لا يمكن أن يؤيدها برهان عقلي أو حسي حاسم، يكون له قوة البرهان الرياضي، فيقنع الخصم المعاند».

قلت: أما الخصم المعاند فيعارض حتى البرهان العقلي أو الحسي «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» «فاستحبوا العمى على الهدى». ولكن الذي يجعل مسألة الإعجاز قطعية وقضية مسلمة هو التجربة، فكل معتقد أو منتقد في وسعه أن يمتحن نفسه أو من شاء بالاتيان بسورة أو عشر سور كالقرآن، فاذا استبان له عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله، آمن عقله وحسّه بالمعجز الذي آمنت به نفسه.

ألا وإن هذه لحركة مباركة، ونهضة قرآنية بالغة، تدعو حماة اللغة والقرآن في المدارس والجامعات، ودعاة القومية العربية في كل مكان، أن يمعنوا النظر فيما كتب هذا الأخ الكريم في إعجاز القرآن، ليضاعفوا نشاطهم ويعيدوا الى هذه اللغة الكريمة عهدها الأول الأغرّ المحجّل، ولقد زرت مدارس الاستشراق في بلاد الأجانب فرأيت فيها الدارسين والدارسات للقرآن، ومن يتكلم منهم باللغة الفصحى، وما ينبغي أن يكونوا بدراستهم للغتنا وكتابنا أسعد حظاً منا. والله تعالى يشكر للمؤلف ما بذله في هذه السبيل من عناء وجهد، ويبارك فيه ويكثر من أمثاله، والسلام.

محمد بهجة البيطار

مقدمة المرزوقي

لشرح لحماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

— ٦ —

(ويروى عن عمر أنه قال في زُهير : كان لا يمدح الرجلَ إلا بما يكون للرجال) .

أراد الاحتجاج بكلمة صدرت من أحد أهل الذوق العربي بالسليقة وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه قدّم زهيراً بن أبي سلمى على غيره من الشعراء بثلاثة أمور سيجيء ذكر الأول والثاني في كلام المؤلف وثالثها هو أنه لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال وفي رواية إلا بما فيه . وما اقتصر عليه المؤلف أظهر في الغرض يعني أنه يصيب الحز من وصف الممدوح فاذا مدح أحداً مدحه بصفات الكمال في الرجال كقوله في معلقته يخاطب هرم بن سنان والحارثَ بن عوف .

تداركتما عبساً وذبيان بعد ما　　تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

عظيمين في عليا معد هديتما　　ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم

فهذا مدح بصفات الكمال والفتوة وهو أفضل من قول النابغة :

رقاق النعال طيب حجزاتهم　　يحيون بالريحان يوم السباسب

ولما مدح عبيد الله بن قيس الرقيات عبد الملك بن مروان بقوله :

يأتلق التاج فوق مفرقه　　على جبين كأنه الذهب

عتب عليه عبد الملك وقال إنك قلت في مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

وإنما أنكر عليه من أجل أنه عدل به عن بعض الفضائل النفسية الى ما هو من صفات الجسم في البهاء والزينة فكان كالذي ينسب بمحاسن الحسناء .

واعلم أن هذا الأصل يختلف باختلاف العوائد واختلاف أغراض الناس من عناية بالفضائل النفسية أو المزايا الجسمية أو كليهما قال تعالى : « وزاده بسطة في العلم والجسم » . وكذلك اختلاف أحوال المدنية والبداوة وانظر قول جعفر بن علبة :

إذ هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

تجد ما مدح به نفسه جارياً على خلق الأبطال ولو سمعه الحكيم لعده تهوراً .

(فتأمل هذا فان تفسيره ما ذكرناه) .

أمر بالتأمل لظهور أن عمر لا يريد بما يكون للرجال الاحتراز عن صفات النساء لأن ذلك لو وقع لكان غلطاً ولا يريد أيضاً أن يكون ما يمدح به ليس بمدح ولكنه أراد انه يمدح بما هو كمال حق . وقوله فان تفسيره ما ذكرناه أي هو جزئي من جزئيات قاعدة إصابة الوصف أي توصيف المعاني المقصودة فان المديح نوع من أغراض الكلام ومعانيه فأراد بالتفسير التمثيل .

(وعيار المقاربة في التشبيه الفطنة وحسن التقدير فأصدقه ما لا ينتقض عند العكس) .

لأن الفطنة هي التي ترشد الى مشابهة شيء لشيء أو أشياء وأما حسن التقدير فهو الذي يختار الشاعر بواسطته أشبه الأشياء بالمشبه به في الصفات المقصودة ومعنى أصدق التشبيه انه الأشد مطابقة لما في نفس الأمر بحيث لو عكس التشبيه فجعل المشبه به مشبهاً لكان صادقاً وهو التشبيه المقلوب لأنه يتأتى عن شدة المشابهة كقول المتنبي :

وقابلني رمانتا غصن بانة يميل به بدر ويمسكه حقف

فشبه الثديين برمانتين وقال الآخر :

ورمانة شبهتها إذ رأيتهـا بثدي كعاب أو بحقة مرمر

(وأحسنه ما أوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما) .

هذه الكلمة لقدامة في كتاب نقد الشعر .

(ليتبين وجه التشبيه بلا كلفة إلا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبه به وأملكها له لأنه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس) .

أي أحسن التشبيه ما كان وجه الشبه فيه ظاهراً حتى لا يحتاج الى ذكره فان كان خفياً كان من المناسب التصريح به كقول المعري في التشبيه المفرد :

رب ليل كأنه الصبح في الحسـ ـن وان كان أسود الطيلسان

وقول النابغة في التشبيه المركب :

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع

(وقد قيل أقسام الشعر ثلاثة : مثل سائر وتشبيه نادر واستعارة قريبة) .

لم يعز هذا القول الى معين .

وظاهر هذا الكلام حصر الشعر في هذه الثلاثة وهو حصر للمبالغة تنويهاً بهذه الثلاثة كما لا يخفى والمراد بالتشبيه النادر هو الذي لا يهتدي اليه عامة الناس فالآتي به يدل على حسن فطنته وتخيله . قال في أسرار البلاغة [1] : «والمعنى الجامع في سبب الغرابة أن يكون التشبيه المقصود من الشيء مما لا ينزع اليه الخاطر ولا يقع في الوهم عند بداهة النظر الى نظيره الذي يشبه به بل بعد تثبت وتذكر وفكر للنفس عن الصور التي تعرفها وتحريك الوهم في استعراض ذلك» . وقال [2] : ومما يزيد به التشبيه دقة وسحراً أن يجيء في الهيئات التي عليها الحركات كقول الوزير المهلبي :

(١) ص ١٢٥ طبع المنار .
(٢) صفحة ١٤٥ .

الشمس من مشرقها قد بدت مشرقةً ليس لها حاجب
كأنها بوتقة أحميت يجول فيها ذهب ذائب

وقول المؤلف « واستعارة قريبة » كذا في سائر النسخ بالقاف قال ابن رشيق[1] :
« إنما يستحسنون الاستعارة القريبة وعلى ذلك مضى جلة العلماء واذا استعير للشيء ما يقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه في شيء ولو كان البعيد أحسن استعارة من القريب لما استهجنوا قول أبي نواس :

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح

فأي شيء أبعد من صوت المال فكيف حتى يبح من الشكوى والصياح • اهـ » •

وحاصل مرادهم أن يكون وجه الشبه الذي بنيت عليه الاستعارة واضحاً وأن تكون إرادة الاستعارة واضحة حتى لا يحتاج الى القرينة أو الى تقوية القرينة •

(وعيار التئام أجزاء النظم والتئامه على تخير من لذيذ الوزن الطبع واللسان) •

أراد بالطبع طبع الممارس للأدب كما قدمناه في شرح قوله « اتسع مجال الطبع » وباللسان لسان الممارس كذلك وقد فصّله بقوله :

(فما لم يتعثر الطبع بأبنيّه وعقوده) •

التعثر اضطراب الرجل في المشي من تعرض شيء في الأرض • وأراد بالأبيّ الكلام المتكلف المستكره كما تقدم في تفسير قوله « من الأبيّ المستنكر » وفي إحدى نسختيْ تونس ونسخة الآستانه بأَبَنه وضبط بضمة على الهمزة وفتحة على الباء فهو جمع أُبَنَة وهي العقدة تكون في العود فتتعرض لكف المثقف فتضطرب اليد كأنها عثرة وهذا أنسب بقوله يتعثر • وفي نسخة دار الكتب مثل ذلك لكن بلا ضبط • والعقود جمع عَقد بمعنى المعقود وأكثر ما يطلق هذا الجمع على عقود البناء دون عُقد الخشب وفي نسخة مكتبة طلعت وعُقده وهو جمع عُقدة وهي أنسب بالجمع •

---

(١) صفحة ١٨١ من العمدة ، مطبعة هندية بالقاهرة ، سنة ١٣٤٦ .

(ولم يتحبس اللسان في فصوله ووصوله) .

إن أراد بالفصول والوصول المعنى الاصطلاحي عند علماء المعاني المتقدم في تفسير قوله « تناسب الفصول والوصول » تعين أن يكون المراد بتحبس اللسان في ذلك أن يثقل عليه ما اختل من ربط الجمل بعضها مع بعض حتى خرج عن معتاد أهل الاستعمال فيعطف الجملة حيث اعتيد فصلها ويفصلها حيث اعتيد وصلها وفي إطلاق التحبس على هذا تكلف . ويجوز أن يكون أراد بالفصول والوصول المعنى اللغوي فالوصول اتصال أبيات القصيدة بعضها ببعض في تناسب معاني الأبيات والفصول فصول معاني البيت الواحد وهذا أنسب بقوله :

(بل استمرا فيه واستسهلاه بلا ملال ولا كلال فذلك يوشك أن تكون القصيدة منه كالبيت والبيت كالكلمة تسالما لأجزائه وتقارُناً) .

وفي نسختيْ دار الكتب وطلعت وتقارباً بالموحدة والمعنيان متقاربان .

(والا يكون كما قيل فيه :

وشِعر كبعر الكبش فرّق بينه لسانُ دعيّ في القريض دخيل)

في إحدى نسختيْ تونس ضبط بفتحة على نون يكون فتعين أن تكون همزة الا مفتوحة . وهي انْ المصدرية ادغمت في لا النافية وهو عطف على قوله ان يكون من قوله يوشك أن يكون . وأما ضبطه بهمزة في أسفل الألف فيقتضي أن يجزم يكن .

والبيت المذكور هنا نسبه الجاحظ في البيان لأبي البيداء الرياحي واسم أبي البيداء أَسْعَد ترجمهُ ياقوت في معجم الأدباء .

(وكما قال خَلَف :

وبعض قريض الشعر أولاد عَلّة يكُدّ لسانَ الناطق المتحفظ)

نسخة يكد بالدال أحسن من نسخة يكل باللام وأشهر وكذلك هو في

نسختي تونس ونسخة الآستانة والعَلّة بفتح العين ضرة المرأة وأولاد العلة الأخوة للأب وشاع أن يكون بينهم جفوة لأجل جفاء الأمهات ويضرب مثلاً للأشياء المتقاربة غير المتناسبة . وخلَف هو خلَف الملقب بالأحمر ابن حيان مولى بلال ابن أبي بردة وهو بصري علاّمة في العربية وكان قريب الأصمعي وأعلمَ أهل عصره بالشعر توفي في حدود الثمانين ومائة .

(وكما قال رؤبة لابنه عقبة وقد عرض عليه شيئاً مما قاله فقال : قد قلتَ لو كانَ له قِران) .

كلمة رؤبة هي من الرجز . وفي البيان للجاحظ قال نوفل بن سالم أو عبيد الله ابن سالم لرؤبة بن العجاج : « يا أبا الجحّاف مُتْ متى شئتَ - قال وكيف ذاك - قال - رأيتُ عقبة بنَ رؤبة ينشد رجزاً أعجبني - قال - إنه يقول لو كان لقوله قِران » يريد بالقِران التشابه والموافقة كما فسره الجاحظ .

فالمراد بالقول في « قد قلت » في الخبر الذي حكاه المؤلف ومعنى « انه يقول » في الخبر الذي رواه الجاحظ هو القول الحسن المقبول أي هو يقول الرجز الحسن ولكنه يأتي بالبيتَ الحسن ومعه البيت الذي لا يماثله في الحسن وهذا كما قال عُمر بن لَجَأ لبعض الشعراء [1] : « أنا أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه » [2] . أراد بكونه أخاً شدة المشابهة في معنى الشعرية بحيث يحق أن يوضع الى جنبه .

(وانما قلنا على تخير من لذيذ الوزن لأن لذيذه يطرب الطبعُ لايقاعه ويمازجه بصفائه . كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه ولذلك قال حسان :

تغن في كل شعر أنت قائله   إن الغناء لهذا الشعر مضمار)

(١) عمر بن لَجَأ التيمي من تيم الرّباب شاعر معاصر لجرير بن عطية الشاعر وقد تهاجيا ولعل كلمته هذه قالها لجرير .

(٢) صفحة ١٢٩ من البيان للجاحظ جزء ١ طبع المطبعة التجارية .

ساق بيت حسان حجة على أن ميزان الشعر من نوع الموسيقى فأوزان الشعر وضروبه تتفاضل بمقدار شدة تناسب الحركات والسكنات كما هو شأن الموسيقى ، فحسان يرشد الشاعر الى اختبار استقامة ميزانه بأن ينشد أبياته بالترنم كالغناء ليستبين له مستقيم الوزن فانه اذا أنشده فلم يتعثر لسانه في تساوي أجزائه علم استقامتها وإلا شعر باختلال فأصلحه بمقدار ما تحصل به المساواة وذلك انهم لم تكن عندهم قواعد العروض وانما كانوا يدركون الميزان بالسليقة . والمضمار المسافة التي تحدد للسباق بين الخيل والمعنى ان الغناء تظهر به خصال الشعر كما تظهر بالمضمار خصال خيل الحلبة .

(وعيار الاستعارة الذهن والفطنة وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به ثم يكتفى منه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان له في الوضع الى المستعار له) .

إدراك حسن الاستعارة كإدراك قرب التشبيه ولذلك جعل ملاك أمرها قرب التشبيه . وملاك الشيء بفتح الميم وكسرها قوامه الذي يملك به أي ما يملك به حسن الاستعارة ويحقق هو تقريب التشبيه وتقريب التشبيه تقدم وقوله «لأنه المنقول عما كان له في الوضع الخ» تعليل ليكتفى منه أي لأنه ادعى ان المشبه من أفراد المشبه به فنقل اسم المشبه به الى المشبه وأطلق عليه مع عدم ذكر حرف التشبيه لأن الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه .

(وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية طول الدربة ودوام الدراسة فاذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض لا جفاء في خلالها ولا نبو ولا زيادة فيه ولا قصور وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جعل الأخص للأخص والأخس للأخس فهو البريء من العيب) .

أحال المؤلف في هذا على طول الدربة ودوام المدارسة أي مدارسة أهل الفن في مختلف الشعر من نقد واختيار وهذا من الحوالة على الذوق وقد قدمناه .

وقوله لا جفاء في خلالها وقع في نسختي تونس ونسخة الآستانة لا خفاء بالخاء المعجمة من فوق في خلالها بضمير التثنية والظاهر ان ذلك تحريف •

والمراد بالأخص الكامل كأنه جعل من الخاصة أي أصحاب الكمال ولذلك قابله بالأخس •

(وأما القافية فيجب أن تكون كالموعود به المنتظر يتشوقها المعنى بحقه واللفظ بقسطه والا كانت قلقة في مقرها مجتلبة لمستغن عنها) •

قوله (يتشوقها المعنى بحقه) أي يقتضيها فجعل اقتضاء معنى البيت للقافية كالتشوق وهو شدة الشوق وجعل ذلك الشوق ملابساً للحق أي يتشوقها تشوقاً حقاً وجعل اللفظ متشوقاً للقافية بقسطه أي بحظه من البيت فان للألفاظ حظوظاً من المناسبة كما تقدم •

ألا ترى قول أبي الطيب :

رأيتك في الذين أرى ملوكا   كأنك مستقيم في محال

فانك تجد كلمة القافية مغتصبة مجتلبة لأجل الروي وإلا فان الاستقامة يقابلها الاعوجاج بيد انه غفر له ذلك قوله بعده :

فان تفق الأنام وأنت منهم   فان المسك بعض دم الغزال

فجاء بمعنى بديع وقافية متشوقة بحيث لا يمكن أن تعوض بغيرها • وقد تقدم بيان بقية كلام المؤلف في عد الأبواب السبعة •

(فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها فهو عندهم المفلق المعظم • والمحسن المقدم • ومن لم يجمعها كلها فبقدر سهمته منها يكون نصيبه من التقدم والاحسان • وهذا اجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن) •

قال قدامة في نقد الشعر «ما يوجد من الشعر الذي اجتمعت فيه الأوصاف المحمودة كلها وخلا من الخلال المذمومة بأسرها ، يسمى شعراً في غاية الجودة

وما يوجد بضد هذه الحال يسمى شعراً في غاية الرداءة وما يجتمع فيه من الحالين أسباب ينزل له اسماً (كذا) بحسب قربه من الجيد أو من الرديء أو وقوعه في الوسط الذي يقال لما كان فيه صالح أو متوسط أو لا جيد ولا رديء» .

(واعلم ان لهذه الخصال وسائط وأطرافاً فيها ظهر صدق الواصف وغلو الغالي واقتصاد المقتصد وقد اقتفرها اختيار الناقدين) .

أثبت الدكتور الناشر كلمة اقتفرها بتقديم القاف على الفاء وكذلك هي في نسخة الآستانة وهي كما فسرها الدكتور الناشر بمعنى تتبع الأثر وسياق الكلام يرجح هذه النسخة وذكر الناشر انها في نسخة ط بتقديم الفاء وكذلك هي في نسختي تونس ويظهر انه تحريف .

(فمنهم من قال أحسن الشعر أصدقه قال لأن تجويد قائله فيه مع كونه في اسار الصدق يدل على الاقتدار والحذق ومنهم من اختار الغلو حتى قيل أحسن الشعر أكذبه لأن قائله اذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتد فيما يأتيه الى أعلى الرتبة وظهرت قوته في الصياغة وتمهره في الصناعة واتسعت مواله ومخارجه فتصرف في الوصف كيف شاء لأن العمل عنده على المبالغة والتمثيل لا المصادقة والتحقيق وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له . وبعضهم قال أحسن الشعر أقصده لأن على الشاعر أن يبالغ فيما يصير به القول شعراً فقط فما استوفى أقسام البراعة والتجويد أو جلها من غير غلو في القول ولا إحالة في المعنى ولم يخرج الموصوف الى أن لا يؤمن بشيء من أوصافه لظهور السرف في آياته وشمول التزيد لأقواله كان بالإيثار أولى) .

هذا مقام شاع خوض البلغاء فيه من عهد الجاهلية وقد رويت قصة طعن النابغة على حسان في عكاظ ـ قول حسان :

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وهي مشهورة في دواوين الأدب العربي وقد ذكرها قدامة في باب المعاني الدال عليها الشعر . وقد اختار أئمة الأدب الغلو كما صرح به المؤلف هنا وسبقه اليه قدامة في نقد الشعر إذ يقول « إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب اليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً ـ قال ـ وقد بلغني عن بعضهم أنه قال أحسن الشعر أكذبه اهـ » . والاستعارة مبنية على الكذب وكذلك المبالغة وعلى هذا الاختلاف جرى كلامهم في المبالغة المقبولة والمردودة كما هو مبين في فن البديع .

وقد نبه المرزوقي تبعاً لقدامة على أن مرادهم بالأكذب هو الغلو وهو كذب تصاحبه قرينة على انه مخالف للواقع لغرض لطيف وليس مرادهم الكذب مطلقاً .

وقوله « فمنهم من قال أحسن الشعر أصدقه » قال حسان بن ثابت وربما نسب الى زهير (١) :

وانما الشعر لب المرء يعرضه   على البرية ان كيساً وان حمقا
وان أشعر بيت أنت قائله   بيت يقال اذا أنشدته صدقا

يعني بذلك أن يكون الشعر تعبيراً عن الأمر الواقع وقد قدمنا الكلام عليه عند الكلام على شرف المعنى . وقوله « كان بالإيثار أولى » في نسختي تونس ونسخة الآستانة « كان بالإيثار والانتخاب أولى » .

(ويتبع هذا الاختلافَ ميلُ بعضهم الى المطبوع وبعضهم الى المصنوع . والفرقُ بينهما أن الدواعي اذا قامت في النفوس وحركت القرائح أعملت القلوب واذا جاشت العقول بمكنون ودائعها وتظاهرت مكتسَبات العلوم وضرورياتها نبعت المعاني ودرّت أخلافُها وافتقرت خفيات الخواطر الى جليات الألفاظ فمتى رفض التكلف والتعمل وخلي الطبع المهذب بالرواية المدرب في الدراسة لاختياره

(١) كما في صفحة ١٤٢ ج ٣ العقد الفريد والمشهور في كتب الفن نسبته الى حسان .

فاسترسل غير محمول عليه ولا ممنوع مما يميل اليه ـ أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفواً بلا كدر وعفواً بلا جُهد وذلك هو الذي يسمى المطبوع . ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف عاد الطبع مستخدماً متملَّكاً وأقبلت الأفكار تستحمله أثقالها وتردده في قبول ما يؤديه اليها مُطالبةً له بالإغراب في الصنعة وتجاوز المألوف الى البدعة فجاء مؤداه وأَثَرُ التكلف يلوح على صفحاته وذلك هو المصنوع . وقد كان يتفق في أبيات قصائدهم من غير قصد منهم اليه اليسيرُ النزرُ ، فلما انتهى قرض الشعر الى المحدَثين ورأوا استغراب الناس للبديع على افتنانهم فيه أولعوا بتورده إظهاراً للاقتدار وذهاباً على الإغراب فمن مفْرط ومقتصد ، ومحمود فيما يأتيه ومذموم ، وذلك على حسب نهوض الطبع بما يُحمَّل ومدى قواه فيما يطلب منه ويكلَّف . ـ فمَن مال الى الأول فلأنه أشبه بطرائق الأعراب لسلامته في السبك واستوائه عند الفحص ، ومن مال الى الثاني فلدلالته على كمال البراعة والالتذاذ بالغرابة) .

كلام المؤلف هنا منصح أتم الإفصاح غير محتاج الى الشرح .

ويجب التنبيه على كلمات : فقوله « واذا حاشيت » في نسختي تونس ونسخة الآستانة فاذا بالفاء وهو أحكم ربطاً . وقوله « لاختياره » متعلق بقوله « وخلي الطبع » .

(وأما تعجبك من أبي تمام في اختيار هذا المجموع وخروجه عن مَيدان شعره ومفارقته ما يهواه لنفسه وإجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق في قصده ، فالقول فيه ان أبا تمام كان يختار ما يختاره لجودته لا غير ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته ، والفرق بين ما يشتهى وبين ما يستجاد ظاهر ، بدلالة ان العارف بالبَزّ قد يشتهي لبس ما لا يستجيده ويستجيد ما لا يشتهي لبسه وعلى ذلك حال جميع أغراض الدنيا مع العقلاء العارفين بها في الاستجادة والاشتهاء . وهذ الرجل لم يعمد من الشعراء الى المشهرين منهم دون الأغفال ولا من

الشعر الى المتردد في الأفواه والمجيب لكل داع ، فكان أمره أقرب ، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليّهم ومخضرمهم واسلاميّهم ومولدهم فاختطف منها الأرواح دون الأشباح واخترف الأثمار دون الأكمام وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه ، لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه وطرق الاحسان والاستحسان لم تستتر عنه) .

ليست بعد هذا الكلام حاجة الى الشرح .

(حتى انك تراه ينتهي الى البيت الجيد فيه لفظة تشينه فيجبر نقيصته من عنده ويبدل الكلمة بأختها في نقده) .

ان ما حدا أبا تمام الى ذلك أنه لما قصد الى اختيار ما يختار من الشعر لم يقصد صحة رواية أشعارهم لأنها كانت مجموعةً مروية وانما أراد تقريب المختار منها الى أذواق الناشئين في صناعة الشعر لتكون لهم مثالاً تحتذيه أذواقهم ومنوالاً تنسج عليه أشعارهم ومع هذا فانه لا يصير الى هذا التغيير إلا نادراً عند الاقتضاء فقد عمد الى قول الربيع بن زياد في رثاء مالك بن زهير :

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ فليأت نسوتنا بوجه نهار

فغيره وجعله فليأت ساحتنا وحمله على ذلك كراهية تعليق فعل الإتيان بالنسوة . وكذلك عمد الى قول تأبط شراً :

وأُبتُ الى فهم وما كدت آيباً وكم مثلها فارقتُها وهي تصفِر

فغيره ولم أكُ آيباً مراعاةً لكون ما كدت يقتضي أنه نفي اقتراب إيابه مع أنه قد آب وفي داعي تغييره نظر يعلم من قوله تعالى : «فذبحوها وما كادوا يفعلون» .

(وهذا يبين لمن رجع الى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها . ولو أن نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس .

ويكشف هذا انه قد يميز الشعر من لا يقوله ويقول الشعر الجيد من لا يعرف نقده ، على ذلك كان البحتري لأنه فيما حكي عنه كان لا يعجب من الشعر إلا بما يوافق طبعه ومعناه ولفظه) .

قال في دلائل الاعجاز : روي ان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر سأل البحتري عن مسلم بن الوليد وأبي نواس أيهما أشعر فقال : أبونواس . فقال : ان أبا العباس ثعلباً لا يوافقك على هذا . فقال : ليس هذا من شأن ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله إنما يعلم ذلك من دُفع في سلك طريق الشعر إلى مضايقه وانتهى الى ضروراته اهـ .

(وحكي الصولي أنه سمع المبرد يقول سمعت الحسن بن رجاء يقول : ما رأيت أحداً قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام . وحكي عنه أنه مر بشعر ابن أبي عيينة فيما كان يختاره من شعر المحدثين فقال : وهذا كله مختار . هذا وشعره أبعد الأشياء من شعره وهذا واضح) .

تقدمت ترجمة الصولي . وأما المبرد فهو أبو العباس محمد بن يزيد المبرِد بكسر الراء الأزدي البصري المولود سنة ٢١٠ والمتوفى سنة ٢٨٥ إمام العربية ببغداد إذ كان فصيحاً علاّمةً في العربية صنف كتاب الكامل جمع فيه من أبلغ الكلام وأفصحه نظماً ونثراً . ولقب المبرد أي المثبت للحق وله تآليف جمة . وأما الحسن بن رجاء فهو أديب شاعر كان زمن الواثق ولم أقف على سنة وفاته وذكر له في الأغاني أبياتاً أربعة كتب بها الى الحسين بن الضحاك الشاعر في ترجمته . وابن أبي عيينة اسمه أبو عيينة [1] وكنيته أبو المنهال ونسب الى جده فهو أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي [2] البصري

---

(١) جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٢٤٩ طبع دار المعارف بمصر .
(٢) الأغاني ج ١٨ ص ٨ طبع بولاق .

كان شاعراً مطبوعاً من شعراء[1] دولة الأمين[2] ومدح طاهر بن الحسين في خلافة المأمون . قال ابن الأثير في الكامل انه أنشد طاهر بن الحسين :

ما ساء ظني إلا بواحدة في الصدر محصورة عن الكلم

يعرض بقتل طاهر محمداً بن يزيد المهلبي فتبسم طاهر وقال أمَا والله ساءني من ذلك ما ساءك وآلمني ما آلمك الخ ترجمه في الأغاني[3] وقال « كان ابن أبي عيينة يهوى فاطمة بنت عمر بن حفص الملقب هزارمرد من قواد الدولة العباسية . وعن المبرد أنه قال لم يجتمع لأحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومديح أبيه كما اجتمع لابن أبي عيينة في قوله يهجو خالداً عمه :

أبوك لنا غيث نعيش بكنفه وأنت جواد ليس يبقي ولا يذر

وعاش ابن أبي عيينة بعد موت المأمون ولم أقف على تعيين عام وفاته . وقول أبي تمام في شعره « وهذا كله مختار » هو السبب في أنه لم يثبت شيئاً من شعره في ديوان الحماسة .

(وأما ما غلب على ظنك من أن اختيار الشعراء موقوف على الشهوات إذ ما كان يختاره زيد يجوز أن يزيفه عمرو ، وان سبيلها سبيل الصور في العيون الى غير ذلك مما ذكرته ، فليس الأمر كذلك لأن من عرف مستور المعنى ومكشوفه ومرفوض اللفظ ومألوفه وميز البديع الذي لم تقتسمه المعارض ولم تعتسفه الخواطر ونظر وتبحر ، ودار في أساليب الأدب فتخير ، وطالت مجاذبته في التذاكر والابتحاث ، والتداول والابتعاث ، وبان له القليل النائب عن الكثير ، واللحظ الدال على الضمير ، ودرى تراتيب الكلام وأسرارها ، كما درى تعاليق المعاني وأسبابها ، الى غير ذلك مما يكمل الآلة ويشحذ القريحة ؛

(١) تاج العروس .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٩٥ .

(٣) جزء ١٨ صفحة ٨ .

تراه لا ينظر إلا بعين البصيرة ولا يسمع إلا باذن النصفة ولا ينتقد إلا بيد المعدلة فحكمه الحكم الذي لا يبدل ونقده النقد الذي لا يغير) .

قال الآمدي في الموازنة[1] : «وأنبه على الجيد وأفضله على الردي . وأبين الردي وأرذله وأذكر من علل الجميع ما ينتهي اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى ما لم يمكن إخراجه الى البيان . ولا إظهاره الى الاحتجاج ، وهي علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة مَن سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبُّل لتلك الطباع وامتزاج وإلا لا يتم ذلك اهـ» .

(واعلم انه قد يعرف الجيد من يجهل الردي والواجب أن تُعرف المقابح المتسخَّطة كما عُرفت المحاسن المرتضاة) .

هذا شروع في التنبيه على علل اختلال الشعر وصفات رديئه بعد أن انتهى من بيان أسباب الجودة والاختيار . وأراد بقوله قد يعرف الجيد من يجهل الردي انه قد يتمحص بعض الأدباء للانكباب على مطالعة المختارات والدواوين المشهود لها بالإجادة ولا يشتغل بتتبع ساقط الأشعار لأن في طباع الناس اتباعَ الكمال ومحبةَ العكوف على الحسن إرضاءً لميل النفس الى محاسن الأشياء وجمالها فيبقى غير عالم بالردي ، وبتطاول الإعراض عن تتبع الردي يضعف انتباهه الى علل السقوط وأسباب الرداءة . وليس مراده بجهل الردي العجز عن أن يدرك رداءة الردي فان من عرف الجيد لا يعدم إدراك ما ليس بجيد كما دل عليه قوله «والواجب أن تُعرف المقابح الخ» فكما يجب معرفة أسباب الاختيار يجب معرفة علل النقد . فلا جرم ان كان واجباً على من يُعنى بالأدب اهتمامُه بمطالعة ما للشعراء من أسقاط[2] وأغلاط كما يهتم بما لهم من بدائع انماط .

(١) صفحة ١٦٧ .

(٢) جمع سقط وهو الشيء الساقط .

فان ذلك يزيد الحسن في نفسه حسناً ولأن ذلك يكسبه ملكة الحكم مقدرة الاقناع بأسباب الارتفاع والانحطاط .

(وجماعها اذا أجملت انها أضداد ما بيناه من عمد البلاغة وخصال البراعة في النظم والنثر) .

أراد بعمد البلاغة ما سماه فيما تقدم عمود الشعر وهو الأبواب السبعة وبخصال البراعة ما سبق من شروط الإجادة عند البلغاء .

(وفي التفصيل كأن يكون اللفظ وحشياً) .

قوله وفي التفصيل عطف على قوله اذا أجملت وهذا تفصيل ما أجمله آنفاً .

وقوله «كان يكون اللفظ وحشياً» يقال وحشي ويقال حوشي بطريق القلب المكاني والوحشي اللفظ الذي يقل استعماله في الكلام الفصيح أو يكون مراد الشاعر به غير معلوم ومثاله ما وقع في شعر أبي حزام غالب العكلي من شعراء زمن المهدي قوله :

تذكرتُ سلمى وإهلاسَهـا فلم أنس والشوق ذو مطرُؤة

وأنشد أحمد بن جحدر ابن الأعرابي أبياتاً منها قوله :

حلأت بـها أرقلت نحوه همرجلة خلقهـا شيظم

فقال له ابن الاعرابي إن كنت جاداً فحسبك الله .

(أو غير مستقيم) .

أراد به ما خالف قياس اللغة كقول أبي النجم «الحمد لله العليّ الأجلل» بفك الادغام ، أو ما خفي اشتقاقه كقول العجاج «وفاحماً ومرسناً مسرجاً» فلم يدر أأراد أنه منسوب الى السيف السريجي في الدقة والاستواء أم الى السراج في البريق .

(أو لا يكون مستعملاً في المعنى المطلوب) .

يعني به الغلط في استعمال اللفظ كما تقدم من قول المسيب بن علس :

«بناج عليه الصيعرية مكدم»

ومثله الاستعارة المذمومة كقول أبي تمام :

لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكائي

(فقد قال عمر رضي الله عنه في زهير : لا يتتبع الوحشي ولا يعاظل في الكلام) .

ساقه المؤلف حجة على السلامة من الوحشية ومن عدم الاستقامة ولذلك لم يقتصر على إحدى الجملتين كما اقتصر على الجملة الثالثة فيما تقدم من قول عمر «ولا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال» حيث كانت ترجع الى حسن معنى الوصف .

وقول عمر «لا يعاظل في الكلام» وقع في نسختي تونس وفي نسخة الآستانة ولا يعاظل الكلام بسقوط حرف الظرفية وكذلك في النسخة الشنقيطية من النسخ التي اعتمدها الناشر ولا وجه لسقوط «في» إذ لا يتعدى فعل يعاظل الى الكلام بنفسه . وفي كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد [1] «ولا يعاظل بين الكلامين» وفي نقد الشعر والموازنة والمثل السائر «ولا يعاظل بين الكلام» وإضافة بين الى الكلام وهو مفرد لأنه على تقدير الأجزاء أي بين أجزاء الكلام ومفرداته . ومعنى يعاظل يجعل الكلام متعاظلاً كما جاء في الحديث : «سابَقَ بين الخيل» أي جعلها تتسابق والمؤلف غير كلام عمر بأن جعل حرف الظرفية في موضع بين ليوضح معنى بين . واختلفت أقوالهم في تفسير المعاظلة اختلافاً يتبعون فيه ما يقتضيه اشتقاق اللفظ : ففسر أبو زيد المعاظلة بأن يردد الكلام في القافية لمعنى واحد (يعني الإيطاء) . وفسرها قدامة بأنها أن يدخل الكلام ما ليس من جنسه وما هو غير لائق به وهذا تفسير غلط فيه الآمدي في الموازنة . وفسر هو المعاظلة بأنها شدة تعليق الشاعر ألفاظ البيت بعضها ببعض وان يداخل لفظة من أجل لفظة تشبهها أو تجانسها وان اختل المعنى بعض الاختلال كأنه يعني الافراط في التجنيس ومثلها بقول أبي تمام :

(١) صفحة ٢٥ طبع بولاق سنة ١٣٠٨ .

خان الصفاء أخ خان الزمان أخا ... عنه فلم يتخون جسمه الكمدُ

لكثرة ألفاظ خان وتخون وأخ وأخا . وفسرها ابن الأثير في كتاب المثل السائر بما يشمل التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي والتنافر وتكرار العوامل وتتابع الاضافات . ويظهر أن المؤلف يجعل المعاظلة كون اللفظ غير مستقيم الدلالة أو غير مستعمل في المعنى المطلوب وهذا تفسير يشمل جميع ما فسروا به المعاظلة فلله دره في إيجازه وإعزازه وأيا ما كان تفسير المعاظلة فهي عيب يتعلق بالألفاظ من حيث هي دالة على المعاني التي تفهم منها .

(أو يكون فيها زيادة تفسد المعنى أو نقصان) .

أما الزيادة المفسدة فكقول الشاعر :

بأطيب من فيها لو أنك ذقته ... اذا ليلة أسحت وغارت نجومها

فقوله لو انك ذقته زيادة تفسد المعنى لأنها توهم أنه لو لم يذقه لم يكن طيباً .

وأما النقصان المفسد للمعنى فهو أن يترك من اللفظ ما به تمام المعنى المراد كقول الشاعر :

لا يرمضون اذا حرّت مشافرهم ... ولا ترى منهم في الطعن ميالا

ويفشلون إذا نادى ربيئهم ... ألا اركبن فقد آنست أبطالا [(١)]

فقوله ويفشلون أراد ان يقول ولا يفشلون فحذف لا فصار الى ضد المعنى .

ومن هذا النوع الايجاز الذي لا يفي بالمقصود كقول الحارث بن حلزة :

والعيش خير في ظلا ... ل النوك ممن عاش كدا

أراد العيش الناعم في حالة الحماقة خير من العيش بكد في حالة العقل فقصر عن المراد .

(تونس) محمد الطاهر ابن عاشور

« يتبع »

---

(١) يصف قوماً باباء الضيم فشبههم بابل لا ترمَضُ أي لا ترعى الرَّميضة وهي الأرض التي اشتدت حرارة مرعاها من شدة الرمضاء . وفي لا يرمضون استعارة مكنية ووصفهم بالنشاط اذا دُعوا الى منازلة الأبطال .

كتاب اللمعة

في صنعة الشعر

لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري



زار دمشق منذ أسابيع الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد إحياء المخطوطات العربية في جامعة الدول العربية بالقاهرة ، وعرّج في أثناء زيارته على المجمع العلمي العربي وأطلع معالي رئيسه الأستاذ خليل مردم بك على صورة شمسية لصفحات من مجموع موجود في مكتبة سليم آغا في اسكودار باستانبول كان المستشرق الكبير ريتر قد قام مشكوراً بتصويرها وإرسالها الى المعهد المذكور .

وهذه الصفحات تشتمل على كتاب (اللمعة في صنعة الشعر) للأنباري . والأنباري هذا هو كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن أبي سعيد الأنباري [1] . ولد سنة ٥١٣ هـ (١١١٩ م) في مدينة الأنبار على الفرات وأخذ عن كبار علماء عصره كالرزاز والجواليقي وابن الشجري ودرس في النظامية في بغداد ثم توفي سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) [2] بعد أن صنف

(١) بين المؤرخين خلاف حول أسماء أجداد الأنباري ، فمنهم من يُغفل عبيد الله من سلسلة نسبه ومنهم من يجعل اسم أبيه محمداً واسم جده محمد بن عبيد الله . . . .

(٢) ترجم للأنباري من المتقدمين السبكي والسيوطي وابن خلكان والكتبي في (فوات الوفيات) وابن قاضي شبهة ، ومن المتأخرين بروكلمان وڤايل ودائرة المعارف الاسلامية وغيرهم .

أكثر من سبعين كتاباً تجد ثبتاً بالمهم منها في (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) للسيوطي وفي (تاريخ الأدب العربي) لبروكلمان (ج ١ ص ٢٨١) وذيله (١/٤٩٥) وفي كشف الظنون لحاجي خليفه وفي مقدمة گوتهولد ڤايل التي صدّر بها كتاب الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف) الذي نشره في ليدن سنة ١٩١٣ . . . . . على أن أكثر مؤلفات الأنباري لم يطبع[1] . ومن هذه المؤلفات (كتاب اللمعة في صنعة الشعر) .

أشار إلى هذا الكتاب بعض من ترجموا للمؤلف من القدامى والمحدثين كالسيوطي وحاجي خليفة ـ وقد ذكر فاتحة مقدمته وهي وفق فاتحة المخطوط الذي نتحدث عنه ـ وبروكلمان[2] . وفي آخر المخطوط يحيل الأنباري على كتاب آخر كان قد ألفه من قبل واسمه (الموجز في علم القوافي) . ومترجمو الأنباري يثبتون له كتاباً بهذا الاسم أو باسم قريب منه فيسميه السيوطي (الموجز في القوافي) ويجعله حاجي خليفة (شرح الموجز في القوافي) . وعلى ذلك فلا مجال للشك في نسبة (كتاب اللمعة) للأنباري .

ومخطوط خزانة سليم آغا الذي ننشره هنا يشتمل على أربع ورقات رقمها في المجموع ٩٦ — ٩٩ وفيها سبع صفحات ، في الصفحة قرابة عشرين سطراً ، في كل سطر اثنتا عشرة كلمة في الغالب . ويبدو لي أن هذا المخطوط كتب

---

(١) يقوم الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار عضو المجمع العلمي العربي بتحقيق كتاب من أجل مؤلفات الأنباري وهو (أسرار العربية) وسيصدر قريباً بإذن الله في (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) .

(٢) يسميه بروكلمان في متن تاريخه (١/٢٨١) : كتاب اللمعة . . . وفي ذيله (١/٤٩٥) كتاب اللُّمَع . . . ويقول إن له مخطوطاً في خزانة سليم آغا رقمه ١٠٧٤ (وهو الذي نقلت صورته إلينا) وقد تحدثت عنه مجلة ZDMG ٦٨/٥٩ ومخطوطاً آخر في خزانة أحمد تيمور وقد تحدثت عنه مجلة RAAD ٣/٣٤١ .

أولاً حوالي القرن السابع ثم جاء ناسخ آخر في القرن العاشر فأجرى قلمه من جديد على الكثير من سطور المخطوط لتتضح حروفها وتسهل قراءتهـا . وعلى الصفحة الأولى من هذا الكتاب نجد ما يلي (من كتب الفقير الى رحمة الله تعالى اسمٰعيل بن خوبدار البزاز الاسعردي[1] غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين) . ويبدو أن اسمٰعيل هذا قد استنسخ الكتاب لنفسه ، فقد ذكر في خاتمته قوله : (ووقع الفراغ من نسختها . . . . غفر الله لكاتبها اسمعيل بن خوبدار البزاز الأسودي) . ولعل (الأسودي) هنا خطأ في النسخ صوابه (الاسعردي) كما جاء في صفحة الكتاب الأولى .

أما تاريخ كتابة هذا المخطوط فمشكل تعيينه ، فنحن نجد في آخر المخطوط (ووقع الفراغ من نسختها ثالث شوال سنة تسع ء وستماية ٩١٩) وقد كتب شطر الجملة الأول بخط يختلف عن خط الشطر الثاني ، كما نجد عسراً في معرفة المقصود من الكلمتين اللتين تليان (تسع) وهما (ء وستماية) فالكلمة الثانية يمكن أن تقرأ (تسعماية) وقد أضيف الرقم (٩١٩) إلى الجملة ترجيحاً من الناسخ الذي ختم بهذا الرقم الكتاب بعد قوله (ولوالديه ولجميع المسلمين) .

الخط واضح في الجملة والكتابة أقرب إلى الصحة . ومن عادة الناسخ تسهيل الهمزات غالباً وإثبات كراسيها ، فهو يكتب (لبيست) بدل (لبئست) . . . وهو يضع أحياناً نقطتين تحت الألف المقصورة ويهملها تحت الياء . ومن عادته الوصل بين صدر البيت وعجزه في الأغلب . أما الشكل فلا يُركَن اليه دائماً لوقوع كثير من الغلط فيه .

---

(١) إسْعِرْد : جعلها صاحب القاموس بالكسر وباثبات الألف في أولها ، على ان المتأخرين كشمس الدين سامي صاحب قاموس الأعلام حذفوا الألف . واسعرد لا تزال عامرة إلى اليوم وهي قائمة بالقرب من الحدود السورية الشمالية في الأناضول جنوبي بتليس بقرب دجلة . ومن سكانها عرب كثيرون .

كتب الناسخ اسماعيل على صفحة الكتاب الأولى البيتين التاليين :

إن عيشاً يكون آخره المو ت لعيش معجّلُ التنغيص

رحم الله مَن قرا خط كفي ودعا لي بالعفو والتمحيص

ثم يلي ذلك خاتَمُ خزانة الكتب التي أودعت اللمعةَ وعليه : « حسبي الله . قد وقف هذا الكتاب المستطاب لوجه الله الملك الوهاب الحاج سليم آغا وشرط بأن لا يخرج ولا يرهن فمن بدله بعدما سمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه » . وفي تضاعيف ذلك تاريخ الخاتم وهو غير واضح . وفي آخر الورقة الرابعة في الصفحة الثامنة أبيات بالتركية في ذم الدنيا والشكوى من غدر الصديق ، كتبت في عصر متأخر .

* * *

كانت المطولات قد كثرت في القرن الثالث والرابع بعد ازدهار العلم واستبحار الحضارة وانتشار الثقافة . فلما جاء عصر الأنباري عكف العلماء على اختصار هذه المطولات في رسائل موجزة تقتصر على إيراد زبدة ما في تلك المطولات ليسهل حفظها على الناشئين وتخف مؤونتها على الشادين . وكما ألف الأنباري كثيراً من المطولات فقد ألف عدداً وافراً من هذه الرسائل الموجزة ومنها (كتاب اللمعة في صنعة الشعر) . وقد جهد في تضمينه كثيراً من الوجوه البلاغية المستعملة في الشعر بأوجز عبارة ، حتى ليبلغ الأمر بالمؤلف أن يجتزئ غالباً باسم الوجه وذكر شاهده عن تعريفه وتحديده . وقد يلقى المطالع في اللمعة عسراً في تبين الوجه من المثال وحده . والمؤلف يغفل اسم قائل البيت إلا الخنساء فقد ذكر اسمها مرتين . وقلّما يثبت للوجه الواحد أكثر من مثال واحد . وقد يكتفي من بيت الشاهد بذكر صدره أو بذكر البيت السابق اعتماداً على ذيوع تلك الأبيات ومعرفة الناس لها . على أن أكثر شواهد

اللمعة مشهور مذكور في كتب البلاغة المطوّلة . وهذه الأشعار مستقاة من الشعر الجاهلي والأموي والعباسي . ورواية الأنباري لبعضها قد تختلف أحياناً عما جاء في دواوين أصحابها .

وفي نسخة اللمعة هذه (٤٦) وجهاً من الوجوه البلاغية أطلق عليها الأنباري أسماء تختلف أحياناً عن أسمائها المشهورة بها ، فما يسميه المجانسة مثلاً يسميه البلاغيون المشاكلة ، والإعنات عنده هو لزوم ما لا يلزم عندهم . وهذا أمر يجدر الوقوف عنده للاطلاع على أطوار نشوء علم البلاغة .

وقد ساق الأنبارى هذه الوجوه تباعاً ولم نستطع تبيّن النسق الذي اتبعه في إيرادها وترتيبها [1] ، ولعله لم يتقيد في ذلك بمعيار .

بقيت كلمة واحدة وهي أن المؤلف ينتقل في صدر كتابه من الحمدلة والصلاة على النبي إلى ذكر هذه الوجوه دون توطئة ولا تمهيد ، فهو يقول :

(.... انه جواد وهاب فمنها الاستعارة) ويخيّل إليّ أن في الكلام نقصاً ، اللهم إلا إذا بلغ حرص الأنباري على الايجاز مبلغ حرص ذلك الشاعر الذي أنشد الأمير قصيدة في مدحه أطال فيها الغزل فعاتبه الممدوح ، فجاءه الشاعر في الغد بقصيدة مطلعها :

هل تعرف الدار لأم عمرو دع ذا وحبر مدحة في نصر

(دمشق) عبد الهادي هاشم

(١) وضعنا لهذه الوجوه أرقاماً متسلسلة لتسهل مراجعتها .

كتاب اللُّمْعة في صنعة الشعر (٩٦)آ

صنَّفه الشيخ الإمام العالم كمال الدين أبو البركات[1] عبد الرحمن ابن محمـد بن أبي سعيد الأنباري النحوي قدّس الله روحه ونور ضريحه

بسم الله الرحمن الرحيم (٩٦) ب

الحمد لله رب الأرباب ، والصلوٰة على محمد خيرته سيد الأحباب ، وعلى آله وأصحابه أولي البصائر والألباب ؛ وبعد فهذه لُمعة في صنعة الشعر مُعَرّاة عن الإطناب ، مجردة عن الإسهاب ، فالله تعالى ينفع بها إنه جواد وهاب .

فمنهـا

١ ـ الاستعارة : وهي أن تعلّق العبارة على غير ما وُضعت له في أصل اللغة ، كقول الشاعر :

أصبحَ المُدام بريق الغمام وقد زُرّ جيب قميص الظلام
فشابت نواصي الدجى وانثرى عن الصبح سربال ليل التمام

فاستعار للظلام قميصاً ، وللقميص جيباً ؛ واستعار للدجى نواصي ، وللنواصي شيباً ؛ الى غير ذلك من فنون الاستعارة ، وهي أكثر فنون الشعر استعمالاً .

ومنهـا

٢ ـ المطابقة : وهي على ضربين : ذكر المعـنى وضدّه ، ورد آخر الكلام على أوله .

(١) وردت هذه الجملة في المخطوط : صنعة الشيخ الإمام العالم كالال (كذا) أبي البركات . وكلمة (كالال) كان موضعها بياضاً ثم أضيفت بحبر مختلف .

فذكر المعنى وضده كقول الشاعر :

تحيي الروامسُ ربعَها فتُجدّه بعد البلا وتميته الأمطار [1]

فطابق بين الإحياء والإماتة وهما ضدان .

وَرَدُّ آخر الكلام على أوله كقول الشاعر :

جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم لبئستِ الخلتان : الجهلُ والجُبنُ

ومنها

٣ ـ المجانسة : وهي على ضربين : مناسبة ومزاوجة .

فالمناسبة كقول الشاعر :

فما زال معقولاً عقالٌ عن الندى وما زال محبوساً عن المجد حابسُ

والمزاوجة كقول الشاعر :

ألا لا يجهلنْ أحد علينا فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا

فاستعار للثاني لفظ الأول وهو الجهل لمزاوجة الكلام ، كقوله تعالى : فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم [2] ؛ فاستعار للثاني لفظ الأول وهو الاعتداء لمزاوجة الكلام ، وهذا يقع كثيراً في الجزاء فاعلم .

ومنها

٤ ـ المشاكلة ، وهي [3] أن تذكر كلمتين سلكُها واحد ومعناهما مختلف ، كقول الشاعر :

---

(١) من معاني الروامس : الرياح التي تنطي آثار الديار بما تثير ، وأجدّ الشيءَ صيره جديداً ، والبَلا بفتح أوله وحذف همزة الآخر هو كالبِلى بكسر أوله من بَليَ الثوب : رثّ .

(٢) البقرة ١٩٤ .

(٣) في المخطوط : وهو .

كادت تسافطني والرحل أن نطقت حمامة فدعت ساقاً على ساق (٩٧) آ

(فالساق) الأول ذكر القماري (والساق) الثاني ساق شجرة والحمامة هاهنا قمرية .

ومنها

٥ ـ الموازنة : وهي أن تكون أوزان الكلام متساوية [1] وأجزاؤها متوالية كقول الشاعر :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال [2]

ومنها

٦ ـ الترصيع : وهو أن تكون مقاطع الأجزاء مسجعة متقاصة النظم، متعادلة الوزن ، كقول الخنساء :

حامي الحقيقة محمود الخليقة مهـديّ الطريقة نفاع وضرار [3]

جواب قاصية جزاز ناصية عقاد ألوية للجيش جرار [4]

---

(١) في المخطوط : اوزازن الكلام مشاذاً ؛ ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) ورد البيت في المخطوط بالرسم التالي :

سليم الشظا عبل الشوى اشج النسا له حجبات مشرقات على القلي

وما أثبتناه رواية اللسان في مادة : شظى .

(٣) لم يرد هذا البيت في مخطوطات ديوان الخنساء التي اعتمدها لويس شيخو في طبع « أنيس الجلساء في ديوان الخنساء » بيروت ١٨٩٦ . ولكنه ورد في العقد الفريد (٢٢/٢) وفي المثل السائر لابن الأثير في (الترصيع) وهو النوع الثالث من المقالة الأولى في الصناعة اللفظية .

(٤) ما أثبته الأنباري هنا هو رواية أبي هلال العسكري في كتاب (الصناعتين) ورواية صاحب الحماسة البصرية . أما رواية ديوان الخنساء الذي طبعه شيخو لهذا البيت فهي :

حمال ألوية هباط أودية شهاد أندية للجيش جرار

ومنها

٧ ــ التسميط : وهو أن تكون الأجزاء متوالية مسجوعة أو كالمسجوعة ، كقول الشاعر :

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معاً

ومنها

٨ ــ التصحيف : وهو كقول الشاعر :

فلم يكن المغترّ بالله إذ سرى ... ليُعجز والمعتزّ بالله طالبه

ومنها

٩ ــ الغلوّ : كقول الشاعر :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحرم

يكاد يمسكه عرفانَ راحته ... ركنُ الحطيم اذا ما جاء يستلم

ومنها

١٠ ــ . . . . . . (١) وهي أن يؤكّد معنى لو اقتُصر عليه لكان كافياً ، كقول الشاعر :

وأقبح من قرد وأبخل بالقِرى ... من الكلب أمسى وهو غرثان أعجف

ومنها

١١ ــ . . . . (٢) وهو تأكيد التشبيه بالقافية ، كقول الشاعر :

كأن قلوبَ الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العنابُ والحشف البالي (٣)

(١) بياض في الأصل .

(٢) شبه بياض في الأصل لم تتبين ما فيه .

(٣) في المخطوط : البال .

ومنهـا

١٢ ـ المقابلة : وهو أن يذكر فيما يوافق ما يوافق وفيما يخالف مايخالف ، كقول الشاعر :

فتى تم فيه ما يسر صديقـه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

ومنهـا

١٣ ـ التكافؤ : وهو قريب من المطابقة كقول الشاعر :

اذا أيقظتك حروب العـدى فنبهْ لهـا عُمَراً ثم نَمْ

ومنهـا

١٤ ـ القَسْم : كقول الشاعر :

بقّيتُ وَفري وانحرفتُ عن العلى ولقيتُ أضيافي بوجه عبوس
إن لم أشنّ على ابن حرب غارة لم تخل يوماً من نهاب نفوس (٩٧) ب

ومنهـا

١٥ ـ صحة التقسيم : وهو أن يذكر جميع أقسام ذلك المعنى لا يغادر منها شيئاً ، كقول الشاعر :

فقال فريق القوم لا وفريقهم بلى وفريق قال ويحك ما ندرى

ومنهـا

١٦ ـ الاستثناء : وهو كقول الشاعر :

ولا عيبَ فينا غير عرق لمعشر كرام وأنا لا نخط على النمل (١)

(١) كـذا في المخطوط ، والثُّمْلة : بقية الماء في الحوض . وقد تكون : ... وأنا لا نخط على الرمل .

ومنهـا

١٧ ـ الاستدراك : كقول الشاعر :

أليس قليلاً نظرة إن نظرتُها إليكِ وكلّا ليس منكِ قليل

ومنهـا

١٨ ـ الاشارة : وهي أن تدل الألفاظ اليسيرة على المعاني الكثيرة ، كقول الشاعر :

فظل لنا يوم لذيذ بنعمة فقِل في مَقيلٍ نحسُهُ متغيب

ومنهـا

١٩ ـ التذييل : وهو ضد الإشارة ، كقول الشاعر :

فدعوا نزالِ فكنتُ أول نازلٍ وعلامَ أركبه إذا لم أنزلـــ

ومنهـا

٢٠ ـ التفريع : كقول الشاعر :

فما نطفة من حب مزن تقاذفت به جنبتا الجوديّ والليل دامس

فلما أقرته اللصـاب تنفست شمال لأعلى مائه فهو قارس (١)

بأطيبَ مِن فيها وما ذقتُ طعمه ولكنني فيما ترى العين فارس

ومنهـا

٢١ ـ التكرير : كقول الشاعر :

وكادت فزارة تشقى بنـا فأولى فزارة أولى فزارا

(١) في المخطوط : شمال لا علا مايه فهو قاوس . ولعل الصواب ما أثبتناه . واللصاب جمع اللصب وهو الشعب الصغير في الوادي أضيق من اللهب وأوسع من الشعب أو مضيق الوادي .

ومنها

٢٢ ـ التكميل : وهو أن تذكر المعنى بجميع ما تتم به صحته ، كقول الشاعر :

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى   بالحسن عند موفق لقضى لها

فقوله (عند موفق) تكميل المعنى .

ومنها

٢٣ ـ التوشيح : كقول الشاعر :

وليس الذي حللته بمحلّل   وليس الذي حرّمته بحرام

ومنها

٢٤ ـ المساواة : وهي أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى من غير زيادة ولا نقصان ، كقول الشاعر :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة   وإن خالها تخفى على الناس تُعلَم

ومنها

٢٥ ـ التبيين : وهو كقول الشاعر :

لقد خفتَ قوماً لو لجأتَ إليهم   طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم

لألفيت فيهم معطياً ومُطاعناً   وراءك شزراً بالوشيج المقوّم (٩٨) آ

بيّن (حاملاً ثقل مغرم) بقوله (معطياً) ، وبيّن قوله (طريد دم) بقوله (مُطاعناً) .

ومنها

٢٦ ـ التتميم : وهو أن يبتدئ بمعنى غير مشروح فيتوهم أن السامع لم يفهمه فيرجع إليه فيكشفه ، كقول الشاعر :

ليست عليهم إذا يغدون أردية ... إلا جيادُ قسيّ النبع واللجمُ
من غير عدم ولكن من تبذلهم ... للصيد حتى يصيح القانص اللحم

فكشف المعنى في البيت الأول بالبيت الثاني وتممه به .

ومنها

٢٧ ـ التفويف : وهو من البرد المفوّف ، وهو الذي في وشيه شيء من البياض ، كقول الشاعر :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم ... أسود لها في غيل خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما ... لجارهم بين السماكين منزل
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا ... أجابوا وإن أعطَوا أطابوا وأجزلوا

ومنها

٢٨ ـ التعطف : وهو أن يعلق كلمة بمعنى ثم يعيدها ويعلقها بغير ذلك المعنى ، كقول الشاعر :

مَن يلق يوماً على علاته هرِما ... يلق السماحة منه والندى خُلُقا

ومنها

٢٩ ـ الإرداف : وهو[1] أن تقصد معنى فتعدل عن اللفظ الذي يدل عليه الى لفظ هو تابع له ، كقول الشاعر :

ويضحي فتيتُ المسك فوق فراشها ... نؤوم الضحى لم تنتطق[2] عن تفضل

(١) في المخطوط : وهي .
(٢) في المخطوط : لم ينتطق .

ومنهـا

٣٠ ـ الالتفات : وهو أن يكون في كلام فيعدل عنه [١] الى غيره قبل تمامه ثم يعود إليه فيتمه ، كقول الشاعر :

فلو أن ريحاً بلغت وحي مرسل خفيّ لناجيتُ الجنوب على النقب
فقلتُ لها : أدي اليهم تحيتي ولا تخلطيها طال سعدك بالترب

فقوله (طال سعدك) التفات .

ومنهـا

٣١ ـ السلب والايجاب : كقول الشاعر :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

ومنهـا

٣٢ ـ الكناية والتعريض [٢] : كقول الشاعر :

وأحمر كالديباج أما سماؤه فريًا وأما أرضه فمحول

سماؤه أعلاه وأرضه قوائمه .

(٩٨) ب

ومنهـا

٣٣ ـ العكس والتبديل : كقول الشاعر :

واذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

ومنهـا

٣٤ ـ الجمع بين المختلف والمؤتلف في بيت واحد : كقول الشاعر :

سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا واذا سكر

---

(١) في المخطوط : منه .
(٢) في المخطوط : والتعويض .

ومنهـا

٣٥ ـ المذهب الكلامي : كقول الشاعر :

ولكنني كنتُ امرءاً لي جانب   من الأرض فيه مُستراد ومذهب
ملوك وإخوان إذا ما لقيتُهم   أحكَّم في أموالهم وأقرَّب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم   فلم ترهم في مثل ذلك أذنبوا

يعني كما لا تَعُدُّ مذنباً مَن مدحك لإحسانك اليه ، فكذلك لا أُعَدُّ مذنباً لمدحي آلَ جفنة لإحسانهم إليّ [1] .

ومنهـا

٣٦ ـ الاستطراد : كقول الشاعر :

إنْ كنتِ عاذلتي فسيري   نحو العـراق ولا تحوري

ومنهـا

٣٧ ـ براعة الاستهلال : وهو أن يذكر في أول كلامه ما يدل على مراده ، كقول الخنساء :

وما بلغت كف امرئ متناوَلاً   من المجد إلا والذي نلتَ أطول
وما بلغ المُهدون للناس مدحة   وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل [2]

ومنهـا

٣٨ ـ براعة التخلص : كقول الشاعر :

ما زال يلثمني مراشفه   ويُعلّني الإبريق والقدحُ
حتى استرد الليلُ خلعتَه   وبدا خـلالَ سواده وضح
وبدا الصباح كأنّ غرته   وجهُ الخليفـة حين يُمتدَح

(١) ما أورده الأنباري من الأبيات مأخوذ من احدى (اعتذاريات) النابغة الذبياني إلى النعمان عن مدحه آل جفنة من الغساسنة .

(٢) روي هذان البيتان على وجوه شتى أشار إلى أكثرها شيخو في الديوان ص ١٨٤ .

ومنهـا

٣٩ ــ تجاهل العارف : كقول الشاعر :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا   ليلاي منكن أم ليلى من البشر

ومنهـا

٤٠ ــ الهزل الذي يراد به الجد : كقول الشاعر :

اذا ما تميمي أتاك مفاخراً   فقل عدِّ عن ذا كيف أكلك للضب

ومنهـا

٤١ ــ الزيادة التي يتم بها المعنى : كقول الشاعر :

فسقى ديارك غير مفسدها   صوبُ[1] الربيع وديمة تهمي

فقوله (غير مفسدها) زيادة تم بها المعنى .

ومنهـا

٤٢ ــ التنبيه : وهو أن يذكر مثالاً يحترز فيه ثم يتنبه لموضع الأخذ عليه فيستدرك ذلك ، كقول الشاعر :

سأرقم في الماء القراح إليكم   على نأيكم إن كان للماء راقم

كأنه لما قال : سأرقم في الماء القراح ، تنبّه على[2] أن قائلاً يقول له : وهل (٩٠٩) آ يرقم على الماء أحد ؟ فاستدرك بقوله : إن كان للماء راقم .

(١) في المخطوط : ضرب .
(٢) تنبه على أو للأمر : تفطن له .

ومنها

٤٣ ـ الموارِدة : وهو أن يوافق قولُ شاعر قولَ شاعر آخر في اللفظ والمعنى من غير أن يأخذ أحدهما من الآخر ، كموافقة طرفة قولَ امرئ القيس في قولهما :

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيَّهم

وقد جاء كثيراً في أشعارهم .

ومنها

٤٤ ـ المواربة : وهو أن يغير المعنى إلى ما يتخلص به إذا أنكرَ عليه مَن يخاف منه ، كقول عُتبان الحروري :

فمنا حسين والبطين وقعنب ومنا أميرُ المؤمنين شبيبُ

فلما أُخذ وأُتي به إلى هشام قال له : أنت القائل (ومنا أميرُ المؤمنين شبيبُ) ؟ فقال : إنما قلت (ومنا ـ أميرَ المؤمنين ـ شبيبُ) ، يعني بالنصب على النداء المضاف ، كأنه قال : ومنا يا أميرَ المؤمنين ... وتقدير الكلام : ومنا شبيبٌ يا أمير المؤمنين .

ومنها

٤٥ ـ الإعنات : وهو لزوم ما لا يلزم . وقد تصدى له جماعة من الشعراء كالمعري [1] وغيره .

---

(١) في المخطوط : كالمزني .

ومنها

٤٦ ـ التضمين : وهو ان لا يتم معنى البيت إلا بالذي بعده . وهو على ضربين :

أحدهما يدخل في صنعة الشعر ، كقول الشاعر :

أقول لصاحبي والعيس تهوي بنا بين المنيفة فالضمار [1]

[تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار] [2]

والثاني لا يدخل في صنعة الشعر ، وهو أن تتعلق قافية البيت الاول بالذي بعده ، وهو عيب من عيوب الشعر ، وقد بيّناه في كتابنا (الموجز في علم القوافي) والله أعلم .

تمت اللمعة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين [3] .



(١) في المخطوط : فالغمار .

(٢) أغفل المؤلف ايراد البيت الثاني وهو موضع الشاهد اعتماداً على ذيوع هذا البيت وانتشاره . والبيتان للصمة بن عبد الله القشيري .

(٣) في المخطوط بعد هذا ما نصه :

« ووقع الفراغ من نسختها (كذا في الأصل) ثالث شوال سنة تسع وستماية (أو تسماية) غفر الله لكاتبها اسمعيل بن خويدار البزاز الاسعردي (وفي الأصل هنا الاسوتي) ولوالديه ولجميع المسلمين ، ٩١٩ » .

وقد ألمنا ببحث هذه الخاتمة في مقدمتنا لكتاب اللمعة .

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

— ٤ —

أخلاقه :

عرف ابن جني بطيب الأخلاق والعفة والاخلاص في الود وقد رأينا ذلك جلياً في مرثية الشريف الرضي فيه وحسبك بالشريف شهيداً .

وكان أبو الفتح متصفاً بما يجب أن يتصف به جلّة العلماء من دأب على التحصيل ورحلةٍ في سبيل العلم وملازمةٍ للشيوخ ، وقد رأينا طرَفاً من ذلك في سيرته ...

وكان يحب الجد في الأمر كله ويحب أن يبتعد عن سفساف الأمور والمزاح ولكنه كان اذا سمع بالنكتة الطريفة ابتسم لها وهشّ وطرب ، فقد ذكر ياقوت «أن ابا الحسين القمي حفيد أبي اسحق القمي صاحب ديوان صمصام الدولة لقي ابن جني مرة في الديوان فجعل يتحدث تارة مع أبي الحسين وتارة مع جده أبي اسحق وكانت لابن جني عادة في حديثه بأن يميل شفته ويشير بيده فبقي أبو الحسين القمي شاخصاً ببصره يتعجب منه فقال له ابن جني : مالك ياأبا الحسين تحدق النظر إليّ وتكثر التعجب مني ؟ قال : شيء طريف ! قال ما هو ؟ قال شبهت مولاي الشيخ — وهو يتحدث ويقول بيوزه كذا وبيده كذا —

بقرد رأيته اليوم عند صعودي الى دار المملكة وهو على شاطئ دجلة يفعل مثل ما يفعل الشيخ ، فامتعض أبو الفتح وقال : ما هذا القول يا أبا الحسين أعزك الله ومتى رأيتني أمزح فتمزح معي أو أمجن فتمجن بي ؟ فلما رآه أبو الحسين قد حرد واستشاط وغضب ؛ قال المعذرة أيها الشيخ اليك والى الله تعالى عن أن أشبهك بالقرد وإنما شبهت القرد بك ! فضحك أبو الفتح وقال ما أحسن ما اعتذرت ، وعلم أبو الفتح أنها نادرة تشيع فكان يتحدث بها هو دائماً [1] » .

ولأبي الحسين هذا نكت أخرى مع أبي الفتح ذكرها ياقوت في ترجمته .

وكان أبو الفتح كغيره من ذوي الفضل كثير الحساد ولكنه كان يهزأ بهم وقد ضمن قصيدته البائية [2] طرفاً من أخباره معهم .

وفي هذه القصيدة قد افتخر أبو الفتح بروميته وهزيء بن عابه بها فقال :

فان أصبح بلا نسب ... فعلمي في الورى نسبي
على أني أؤول الى ... قروم سادة نجب
قياصرة اذا نطقوا ... ارم الدهر ذو الخطب
أولاك دعا النبي لهم ... كفى شرفاً دعاء نبي [3]
وإما فاتني نشب ... كفاني ذاك من نشب

كما ضمنها طرفاً كثيراً من مناقبه ومزاياه رحمه الله .

---

(١) ياقوت ج ٥ ص ١٦ ، ١٧ .

(٢) انظر القصيدة في ياقوت ج ٥ ص ١٩ .

(٣) يشير بذلك الى الخبر المروي عن الرسول (ﷺ) انه لما بلغه من عمل قيصر الروم بكتابه الذي كتبه اليه يدعوه الى الاسلام قال (ثبت الله ملكه) كما في فتح الباري لشرح صحيح البخاري للعسقلاني ١/ ٤٢ طبعة بولاق .

أدبه وعلمه :

عرف أبو الفتح بالعربية وبخاصة علم التصريف ، ولم يعرف بين الناس بأدبه وشعره ، وفي الحقيقة إنه كان كاتباً من خير كتاب زمانه وليس أدل على ذلك من توليه ديوان الإنشاء لسيف الدولة الحمداني ولعضد الدولة الديلمي ويكفيه فخراً قول أبي الطيب المتنبي فيه : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس » وكان اذا سئل عن معاني شعره قال : « عليكم بأبي الفتح فانه أعلم مني بشعري » .

ولقد أطنب فيه أبو الحسن الباخرزي في كتابه (دمية القصر) وذكره في باب الأئمة من الأدباء وقال فيه « .. ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ما له ، ولا سيما في علم الإعراب فقد وقع عليها من ثَمرَة الغُراب [1] ، ومن تأمل مصنفاته ، وقف على بعض صفاته ـ فوربي ـ إنه كشف الغطاء عن شعره ، وما كنت أعلم أنه ينظم القريض أو يسيغ ذلك الجريض حتى قرأت له مرثيته في المتنبي وأولها :

غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوّحت بعد ريّ دوحة الكتب » [2]

وقد نقل هذا الكلام كله ياقوت في ترجمة أبي الفتح وزاد عليه قوله انه من « أحذق أهل الأدب ، وأعلمهم بالنحو والتصريف » [3] . وقد حفظت لنا كتب الأدب طرفاً من شعر أبي الفتح وهو شعر حسن جيد يدل على ذوق أدبي رفيع فمن ذلك قصيدته البائية التي تربو على سبعين بيتاً والتي أولها :

وحلو شمائل الأدب منيف مراتب الحسب

---

(١) من أمثال العرب (وجد ثمرة الغراب) أي وجد أفضل شيء لأن الغراب لا يقع إلا على أفضل ثمرات النخلة .

(٢) الدمية طبع حلب ص ٢٩٧ .

(٣) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٧ .

وهي قصيدة جد حسنة رواها كلها ياقوت في المعجم . ومن ذلك أيضاً مرثيته في أبي الطيب المتنبي وقد رواها الباخرزي في الدمية وياقوت في المعجم وهي من عيون المراثي [1] . ومن ذلك أبيات منثورة في كتب الأدب كيتيمة الدهر للثعالبي ، وخاص الخاص له أيضاً وغيرهما من الكتب الأدبية ، واليك طرفاً من شعره ، قال في غلام :

غزالٌ غيرُ وحشيّ حكى الوحشيُّ مقلتَه
رآه الورد يجني الور د فاستكساه حلّته
وشمّ بأنفه الريحا ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريقه الصهبا ء فاختلسته نكهته [2]

وقال معاتباً صديقاً له عابه بأنه أعور :

صدودك عني ولا ذنب لي يدل على نية فاسدة
فقد ـ وحياتك ـ مما بكيتُ خشيتُ على عيني الواحدة
ولولا مخافة أن لا أراك لما كان في تركها فائدة [3]

وقال يرثي أبا الطيب المتنبي من قصيدة طويلة رائمة :

غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوّحت بعد ريّ دوحة الأدب
ما زلتَ تصحبُ في الجُلّى إذا انشعبت قلباً جميعاً وعزماً غير منشعب
وقد حليتَ لعمري الدهر أشطره تخطو بهمة لا وانٍ ولا نصب

وقال أيضاً وهو من الشعر العاطفي الجيّد :

(١) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٨ . ويتيمة الدهر ج ١ ص ٨٩ .
(٢) المعجم لياقوت ج ٥ ص ١٨ .
(٣) المعجم لياقوت ج ٥ ص ١٨ وابن خلكان ج ١ ص ٣١٣ . وقيل ان هذه الأبيات الثلاثة ليست له وانما هي لأبي منصور الديلمي وهو غير صحيح .

رأيت محاسن ضحك الربيع أطال عليها بكاء السحاب
وقد ضحك الشيب في لمتي فلم لا أبكي ربيع الشباب ؟
أأشرب في الكأس كلا وحاشا لأبصره في صفاء الشراب [١]

وله أبيات جيدة كثيرة أخرى متفرقة [٢] .

هذا وقد ذهب الزميل الصديق الأستاذ القصاص في رسالته النفيسة التي كتبها عن ابن جني مذهباً مخالفاً لما ذكرناه فحمل على شعر أبي الفتح وقال [انه شعر ليست له قيمة تذكر [٣]] واعتمد على ما ذكره ابن الأثير في تاريخه حيث يقول [وله شعر بارد] ولا ندري على ماذا اعتمد ابن الأثير في حكمه الظالم هذا ، وليس غريباً أن يصدر ابن الأثير هذا الحكم القاسي على ابن جني فانه معروف باستهانته بأقوال الناس وباستخفافه بآثارهم ، وكتابه مملوء بأمثال هذا محشو بالدعاوى الكثيرة والغرور . وليت ابن الأثير برهن دعواه فأبان لنا عن مواطن البرودة في شعر أبي الفتح كما فعل الثعالبي حين أشاد بأدبه وبشعره فساق على ذلك الشواهد والأمثال [٤] . ثم ان زميلنا القصاص يفرط حين يحمل تلك الحملة القوية على ذوق أبي الفتح في البلاغة والنقد ويعتمد في ذلك على قول الواحدي « إنه اذا تكلم في المعاني تبلد حماره ولقد استهدف في كتاب الفسر غرضاً للمطاعن إذ قد حشاه بالشواهد الكثيرة التي لا حاجة بها » . وكان ينبغي على الزميل ألا يقبل قول الواحدي المعروف بالحمل على ابن جني وانتقاصه وهذا شرح ابن جني موجود شاهداً على مكانة أبي الفتح ومقدار فهمه

---

(١) معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٠ .
(٢) انظر اليتيمة ج ١ ص ٧٧ .
(٣) ابن جني وفلسفته اللغوية ص ١٦ .
(٤) انظر اليتيمة ج ١ ص ٧٧ فما بعدها .

لشعر المتنبي وهو في رأينا أفضل شرح للمتنبي وأجدر من يستطيع أن يفهمه كما قال أبو الطيب عنه .

ولم يكن ابن جني محسناً قول الشعر فحسب بل كان مجيداً في النثر أيضاً وليس أدلّ على ذلك من هذه اللغة الحلوة وهذا الأسلوب المبين الذي نراه في كتبه العلمية كسرّ الصناعة والخصائص ؛ فأنا لا أعرف نحوياً أو صرفياً أو بلاغياً كتب النحو والصرف والبلاغة بلغة كلها سلاسة وعذوبة وكلها جمال ولذة بأسلوب فني رائع إلا الإمام أبا الفتح بن جني وإلا الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمهما الله .

ولابن جني عدا النثر العلمي المبين الذي نجده في كتبه رسائلُ فنية وخطب كثيرة حفظ لنا الدهر بعضها ، من ذلك خطبة نكاح ذكرها ياقوت [1] ، وان الذي يقرأ هذه الخطبة ويرى قوة ابن جني في الرصف وحسن السبك ليؤمن بأن هذا الإمام قد ملك عنان الشعر والنثر معاً ، ولو أتيح لنا أن نظفر برسائله الديوانية مجموعة لرأينا أدباً جماً وفصاحة بارعة وعلماً غزيراً . وبعد فقد رأينا أن ابن جني على الرغم من سيطرة الروح العلمية عليه كان شاعراً وناثراً وليس هذا بغريب فإن القرن الرابع قد خلق رجالاً قالوا الشعر وبرعوا فيه ثم كان لهم من وراء ذلك نثر رائع وثقافة واسعة في اللغة والفلسفة والفقه وغيرهما من علوم ذلك العصر .

ولعل الزميل القصاص يتراجع عن رأيه في شعر ابن جني وأدبه حين يقول [وقد يحسن بنا في هــذه المناسبة أن نشرح بعض الشيء علل هذه الظاهرة التي قد تبدو غريبة عجيبة وهي اجتماع الشعر وعلم اللغة لشخص واحد .... أما اجتماعها لكثير من أبناء هذا الزمن والزمن الذي تقدمه فيقوم ويفهم على صور تلك الحقيقة التي وجه اليها الأنظار أستاذنا الجليل طه حسين بك : فالشعر

(١) انظرها في ياقوت ، ارشاد الأريب ج ٥ ص ٢١ .

الحسي والانفعالي الذي كان في العصور السابقة حلّ محلّه اليوم شعر آخر يخدم التفكير ويقوم على ثمار التأمل العقلي .... فلا يأخذنا العجب إذن أن نرى لابن جني شعراً أو نجد شاعراً فحلاً كصديقه المتنبي عالماً لغوياً] [1] .
أفلا ترى معي أن السيد القصاص قد تراجع هنا عن رأيه حين قال : إنه لا قيمة تذكر لشعر أبي الفتح .

أما علمه فقد كان مضرب الأمثال حتى عدّ إماماً في علوم القراءات والصرف والنحو والعروض والقوافي والشعر واللغة والأدب والبلاغة . وله في هذا كله آثار وتصانيف أبرّ بها على المتقدمين وأعجز المتأخرين ولم يكن في شيء من علومه أتم وأكمل منه في التصريف ، ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاماً منه [2] .

هكذا يقول ياقوت ، وياقوت حجة فيما يقول . فقد قرأ كتب أبي الفتح وسبر غورها وعرف ما فيها من علم ، وأدب ، وبحث وتمحيص .

ظل أبو الفتح دائباً على تحصيل العلم وبخاصة العربية ، وكان اذا أشكل عليه أمر — على جلالة قدره — كتب الى العلماء في البلاد الاسلامية واستفتاهم أو رحل اليهم . فقد ذكر في كتابه (سر الصناعة) أنه كتب الى شيخه أبي علي الفارسي في حلب يستفتيه عن مسألة وهاك نصّ عبارته « وكتب اليّ أبو علي من حلب في جواب شيء سألته فقال : وقد ذهب أحد علمائنا إلى أن الهاء من (هناه) إنما لحقت في الوقف لخفاء الألف كما تلحق بعد ألف الندبة في نحو وازيداه ثم إنها شبهت بالهاء الأصلية فحرّكت فقالوا يا هناهُ ، ولم يسم أبو علي هذا العالم فلما انحدرت اليه في مدينة السلام وقرأت عليه نوادر أبي زيد نظرت

(١) ابن جني وفلسفته ص ١٧ .
(٢) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٦ .

واذا أبوزيد هو صاحب هذا القول وهذا من أبي زيد غير مرضي عند الجماعة ....[١]»
فهل بعد هذا تحقيق أو حرص على طلب المعرفة الصحيحة ؟ .

ثم انه ليس من شك في أن أبا الفتح على الرغم من انتسابه الى المدرسة البصرية لم يكن مقلداً غيره من أئمة البصرة أو الكوفة أو بغداد ، فانه كان صاحب مذهب مستقل انفرد به وكان يعمل فكره في المسألة ويناقشها بعقله الواسع وتفكيره الصحيح ويستقصي أقوال الفصحاء والأعراب ثم يصدر حكمه فيها بعد التمحيص والتدقيق ، وما أجدرنا أن نسمي كتب ابن جني في الصرف والنحو بكتب (فلسفة العربية) وما أجدرها أن توصف بما وصفت به كتب الجاحظ من أنها تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً ، فإنها تعلم العقل والأدب ، وأسرار العربية وأقيستها . وكتب أبي الفتح هي الكنز الدفين وهي أنفع المصادر العربية القديمة لفهم حقيقة النحو العربي ، وتفهم أسراره ، والتعرف الى ذلك الميزان العقلي الراجح الذي كان يزن به النحاة آراءهم ؛ وكتب ابن جني في رأي الأستاذ بروكلمان « مملوءة بدرس صحيح مفيد في تعرف أسرار اللغة العربية وفلسفتها ، وإن تحليل هذه الكتب وتفهمها لمن خير ما ينبغي أن ينصرف اليه العلماء في العصر الحاضر لفهم تاريخ النحو ، كما أن دراسة هذه الآثارة التي خلفها دراسة عميقة لما نحن في أشد الحاجة اليه[٢]» .

ويقول الأستاذ ميتس « ... وكما ان كتب اللغة التي ألفت بعد الجوهري كلها عيال عليه ، فكذلك كتب علم الاشتقاق وفقه اللغة ومعرفه أسرار العربية فإنها مما ابتكر الإمام ابن جني الذي فهم أسرار العربية وفلسفتها وبخاصة الاشتقاق ، وإنه لمن المؤسف أن لا يجيء بعد ابن جني عالم يتمم ما بدأ به مع أن كل الذين جاءوا من بعده قد استفادوا من كتبه ![٣] » .

(١) سر الصناعة ص ٤٤٥ من مخطوطتنا .
(٢) تاريخ الآداب العربية ج ١ ص ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٣) ميتس Mez ص ٢٢٧ .

والحق أن ابن جني كان آية الآيات في علمه بأسرار العربية من نحو وصرف ولغة وإنك إذا قرأت (سر الصناعة) أو (الخصائص)، أو (التصريف الملوكي) رأيت نمطاً من البحث والتفكير وأسلوباً في معالجة القضايا لا تجده في مؤلف غيره. فانه مزج العلم الصحيح والرواية الواسعة بالعقل السليم والتفكير المستقيم فأنتج هذه الآثار والبحوث المفيدة.

لم يكن ابن جني ـ في أبحاثه ودروسه ـ يكتفي بأن يورد ما سمعه من أفواه الشيوخ أو ما رواه عن الفصحاء من الأعراب وإنما كان كثير العناية بالبحث والتدقيق الشخصي فيما يعرض له من آراء العلماء الذين سبقوه. وانك لترى أثر هذا واضحاً في كتبه، وإليك طرفاً من ذلك وهو رأيه فيما قال النحاة في قولهم «هذا جحرُ ضبٍ خَرِبٍ»:

«إن هذا ليس شاذاً ولا غلطاً من العرب كما يزعم النحاة وإنما هو من قبيل حذف المضاف وإن في القرآن نيفاً على ألف موضعٍ منه وان تقدير هذا الكلام «هذا جحرُ ضبٍ خَرِبٍ جُحْرُهُ» وإن (خرباً) وصف (للجحر) كما تقول مررت برجل قائم أبوه [(١)]».

فأنت ترى من هذا شدة اعتماده على بحثه وتفكيره الشخصي، قال في الخصائص «.. واعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع، ـ يعني تفهم أسرار اللغة ـ فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي، مختلفة جهات التغوّل على فكري، وذلك اني اذا تأملتُ حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة، وجدتُ فيها من الحكمة والدقة والإرهاق والرقّة ما يملك عليّ جانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غَلْوَة السِّحر، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابُنا رحمهم الله، ومنه ما حذوتُه على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده، صحةَ ما وفّقوا لتقديمه منه ولطف ما أسعِدوا به .. [(٢)]»

(١) الخصائص ج ١ ص ١٩٨ من الطبعة الأولى.
(٢) الخصائص ج ١ ص ٤٥ الطبعة الأولى.

وابن جني إذا ما أخذ يناقش بعض المسائل العلمية ناقشها بأسلوب ساحر ومنطق رائع حتى انك لتظن ان الذي كتب هذا الفصل هو إمام من أئمة البيان المعاصرين ، وكتاباه (الخصائص) و (الصناعة) مملوءان بالأمثلة على ما أقول ولا بأس من أن أورد مثالاً واحداً . قال في الخصائص في (باب ذكر علل العربية) :

«... فإن قلت فقد تجد في اللغة أشياء كثيرة غير محصاة ولا محصّلة ، لا تعرف لها سبباً ، ولا تجد الى الإحاطة بعللها مذهباً ، فمن ذلك إهمال ما أهمل ، وليس في القياس ما يدعو إلى إهماله ، وهذا أوسع من أن يحوج الى ذكر طرف منه ، ومنه الاقتصار في بعض الأصول على بعض المُثُل ، ولا نعلم قياساً يدعو الى تركه ، نحو امتناعهم أن يأتوا في الرباعي بمثال فعلُلٍ أو فعلِلٍ أو فَعَلٍ أو فُعُلٍ ونحو ذلك . وكذلك اقتصارهم في الخماسي على الأمثلة الأربعة دون غيرها مما تجوّزه القسمة ، ومنه أن عدلوا فُعَلاً عن فاعل في ألفاظ محفوظة وهي ثُعَل ، وزُحَل ، وغُدَر ، وعُمَر ، وزُفَر ، وجُشَم ، وقُثَم ، مما يقلّ تعداده ولم يعدلوا في نحو مالك وحاتم وخالد وغير ذلك .... ولسنا نعرف سبباً أوجب هذا العدل في هذه الأسماء التي أريناكها دون غيرها ، فإن كنت تعرفه فهاته ، فان قلت ان العدل ضرب من التصرف وفيه إخراج للأصل عن بابه الى الفرع وما كانت هذه حاله أقنع منه البعضُ ، ولم يجب أن يشيع في الكل ؟ قيل فهنا سلّمنا بذلك لك تسليم نظر فمن لك بالإجابة عن قولنا - فهلاّ جاء هذا العدل في حاتم ومالك وخالد وصالح ونحوها دون ثاعل وزاحل وغادر وعامر وزافر وجاشم وقاثم ؟ ألك ههنا نَفَقٌ فتسلُكَه أو مرتقىً فتتورّكه وهل لك غير أن تخلد الى حيرة الإجبال وتُخمد نار الفكر ، حالاً على حال ، ولهذا ألف نظير بل ألوف كثيرة ندع الإطالة بأيسر اليسير منها [1] » .

(١) الخصائص ج ١ ص ٥٠ ، ٥١ الطبعة الأولى .

هذا فصل من كلام طويل أورده ابن جني على لسان خصمه القائل بتفضيل أدلة الفقهاء على أدلة النحويين . ثم يقفي على ذلك بكلام فيهدم ما بناه خصمه في منطق سليم وقول ساحر وعلم غزير ولولا خوف الإطالة لنقلت طرفاً آخر من كلامه .

وقد كان ابن جني شديد الحرص على أن يجعل للنحو أصولاً كأصول الفقه وأصول التوحيد وقد بذل في ذلك جهداً عظيماً وخصوصاً في كتابه (الخصائص) وقد وفق الى تشييد جزء غير يسير من أركان هذا العلم ، ولكن أحداً من العلماء لم يتمم عمله ، غير أن السيوطي جلال الدين قد فعل شيئاً يسيراً من ذلك في كتابه (الأشباه والنظائر) ، ولكنه قطرة الى جانب بحر أبي الفتح الذي يقول في مقدمة كتابه هذا :

« ... كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت مُلاحظاً له ، عاكف الفكر عليه ، منجذب الرأي والرويّة اليه وادّاً أن أجد مُهملاً أصِلُه به ، أو خللاً أرتقه بعمله ، والوقت يزداد بنواديه ضيقاً ، ولا ينهج لي الى الابتداء طريقاً ، هذا مع إعظامي له ، واعتصامي بالأسباب المُنتاطة به ، واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صُنِّف في علم العرب وأذهبه في طريق القياس والنظر ، وأعوده عليه بالحيطة والصَّوْن ، وآخذه له من حصة التوقير والأوْن [1] ، وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة [2] » .

فهذا يدل على أن أبا الفتح قد انصرف الى التأليف في هذا الصنف من البحث الذي ملك عليه مشاعره لاعتقاده أنه من خير ما ينبغي أن يبحث عنه

(١) الاون : الدعة والسكينة .
(٢) الخصائص الطبعة الأولى ٢ .

في لغة العرب لتفهم أسرارها ، ومعرفة بعد نظر أهل اللغة العربية ومطابقة كلامهم لأقيسة ونواميس مقرّرة . وقد صرح بهذا المعنى في غير موضع من كتبه ، ومن ذلك ما ذكره في (الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن احكام العلة) : « اعلم أن هذا الموضع هو الذي يتعسّف بأكثر من ترى ، وذلك أنه لا يعرف أغراض القوم [يعني أهل القياس والتعليل] فيرى لذلك أن ما أوردوه من العلة ضعيف واهٍ ساقط غير متعال [1] » .

وما كتاب (الخصائص) و (سر الصناعة) و (المذكر والمؤنث) إلاّ مصنفات وضعها لتبين كيف أن هذه اللغة الشريفة منضبطة القواعد وقد عانى ذلك بنفسه في مؤلفاته فضبط قوانين هذه اللغة وجمع شواردها وهو يرى - في شيء من الغلوّ - أن أحداً من النحاة قبله لم يفعل ذلك ؛ قال في الخصائص : « .. وذلك أنّا لم نر أحداً من علماء البلدين - البصرة والكوفة - تعرّض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه » [2] وإن كتاب الأصول لأبي بكر محمد بن السرى السراج (- ٣١٦) لم يلمم فيه إلا حرفاً أو حرفين وقد تعلق عليه به [3] . وأن أبا الحسن علي بن سليمان الأخفش (- ٣١٥) وإن كان قد صنف في شيء من المقاييس إلا أنه موجز ليس فيه غناء وان ما كتبه أبو الحسن كتيب صغير اذا قيس بكتاب ابن جني [4] .

والحق أن أبا الفتح قد سد ثلمة كبيرة ورتق فتقاً عظيماً بهذا العمل الجليل وهذه المحاولات الطيّبة التي حاولها في كتبه لضبط قواعد العربية وتعليلها تعليلاً

(١) الخصائص ج ١ ص ١٩١ من الطبعة الأولى .

(٢) مقدمة الخصائص ج ١ ص ٣ الطبعة الأولى .

(٣) ذكر من ترجم ابن السراج مثل ياقوت في معجم الأدباء ١٨ / ٢ من الطبعة الحديثة انه الف كتابين في أصول النحو أحدهما كبير والآخر صغير ، ولكنهما لم يصلا الى أيدينا .

(٤) انظر بغية الوعاة للسيوطي ٣٣٨ .

أدعى فيه أن علل النحاة والصرفيين أقرب الى علل المناطقة والمتكلمين ، وان علل الفقهاء لا تُقاس اليها ، لأن علل النحاة مرجعها الحسّ ولأنهم يحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس ، وليس كذلك حديث علل الفقه ، وذلك انها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام ، ووجوه الحكمة فيها خفيّة عنا .... ألا ترى أن ترتيب مناسك الحج ، وفرائض الطهور ، والصلاة ، والطلاق ، وغير ذلك إنما يُرجع في وجوبه الى ورود الأمر بعمله ولا تعرف علة جعل الصلوات في اليوم والليلة خمساً دون غيرها من العدد ، ولا يُعلم أيضاً حال الحكمة والمصلحة في عدد الركعات ، ولا في اختلاف ما فيها من التسبيح والتلاوات الى غير ذلك مما يطول ذكره ... وليس كذلك علل النحاة وسأذكر طرفاً من ذلك لتصح الحال به .

قال أبو اسحق في رفع الفاعل ونصب المفعول ، إنما فعل ذلك للفرق بينهما ، ثم سأل نفسه فقال : فإن قيل فهلاّ عُكست الحال فكانت فرقاً أيضاً ؟ قيل : الذي فعلوه أحزم ، وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد وقد يكون له مفعولات كثيرة فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرته ، وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفون ؛ فجرى ذلك في وجوبه ووضوح أمره مجرى شكر المنعم وذم المسيء في انطواء الأنفس عليه [1] .

وأبو الفتح كان يرى أن العرب ما كانت تلقي الكلام إلقاء دون أنْ تفهمه وأنها كانت تريد من العلل والأغراض ما نسبه اليها النحاة وحملوه عليها . ولذلك أُطّردت في كلامهم القواعد ولم تشذّ من الرفع في موضع الفاعلية ، والنصب في موضع المفعولية ، والجر بحروف الجر ، والجزم بحروف الجزم ، والنصب بحروف النصب ... وغير ذلك من أحكام التثنية والجمع والإضافة والتصغير

(١) الخصائص ج ١ ص ٤٦ ، ٤٧ فما بعدهما الطبعة الأولى .

(التحقير) والنسب وغير ذلك مما يطول تعداده وشرحه (فهل يحسن ـ بعد هذا كله ـ بذي لب أن يعتقد أن هذا كله اتفاق وقع ، وتوارد اتّجه [١] ؟ .

وهو يعقد لهذا الأمر فصلاً عنوانه « إن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه اليها وحملناه عليها » ويقول في هذا الفصل :

« اعلم أن هذا موضع في تثبيته وتمكينه منفعة ظاهرة ، وللنفس به مُسكةٌ وعصمة ، لأن فيه تصحيح ما ندّعيه على العرب ؛ من أنها أرادت كذا لكذا ، وفعلت كذا لكذا وهو أحزم لها وأجمل بها ، وأدلّ على الحكمة المنسوبة اليها من أن تكون تكلّفت ما تكلفته من استمرارها على وتيرة واحدة وتَقرّيها منهجاً واحداً تراعيه وتلاحظه ، وتتحمل لذلك مشقة وكلفة ، وتعتذر من تقصير إن جرى وقتاً منها في شيء منه ، وليس يجوز أن يكون ذلك كله في كل لغة لهم عند كل قوم منهم ، حتى لا يختلف ولا ينتقض على كثرتهم وسعة بلادهم وطول عهد زمان هذه اللغة لهم .. حتى لم يختلف فيه اثنان ... إلا وهم له مريدون وبسياقه على أوضاعهم فيه معنيون [٢] » .

أما بعد فنحن إزاء آراء أبي الفتح هذه أمام آراء فيلسوف كبير عرف أسرار اللغة ودقائقها حتى ضرب الناس بذلك الأمثال [٣] ولا غرو فقد تلقى أبو الفتح اللغة العربية من شيوخ فحول وسبر غورها بنفسه فأحبها وأعجب بها فقد كان لا يمرّ بدقيقة من دقائقها إلاّ أظهر إعجابه بها كقوله في الفصل الجميل الذي كتبه في البحث عن مادتي [ق و ل] و [ك ل م] : « ... فهذه أحكام هذين الأصلين على تصرفها وتقلب حروفهما . فهذا أمر قدّمناه أمام القول على الفرق بين (الكلام) و (القول) ليُرى منه غورُ هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، ويعجب من وسيع مذاهبها وبديع ما أمد به واضعها ومُبدئها [٤] » ،

---

(١) الخصائص ج ١ ص ٢٤٦ الطبعة الأولى .

(٢) الخصائص ج ١ ص ٢٤٦ الطبعة الأولى .

(٣) انظر كلام ملك النحاة بهذا الخصوص في البغية ص ٢٢٠ .

(٤) الخصائص ج ١ ص ١٥ الطبعة الأولى .

وله في هذا المعنى أقوال كثيرة تدل على شدة إعجابه بأسرار اللغة العربية، ولعل اطلاعه الواسع على هذه الأسرار وتفهمه لحقيقتها وانفراده بذلك جعله شديد الإعجاب بنفسه كثير الاعتداد بها وبما يكشفه من قواعد وأصول، وإنك لترى أثر الإعجاب واضحاً كل الوضوح في كثير من كتبه كقوله: «وما علمت أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الاشباع ومن وجد قولاً قاله والله يعين على الصواب بقدرته»[1] .

وقال «.. وقد استقصيت هذا وغيره من لطيف التصريف في كتابي المصنف لتفسير تصريف أبي عثمان رحمه الله تعالى وأتيت بالقول هناك على أسرار هذا العلم ودفائنه»[2] .

وقال: «... وهو غريب منه ما في أيدي أكثر الناس، ومنه ما أخرجه لي البحث عنه وطول المطالبة له»[3] .

ونحن إذا رحنا نتتبع أمثال هذه الأقوال في كتبه جئنا بالكثير الوافر، وحق له أن يعجب بنفسه، فقد بذل في اكتناه أسرار هذا العلم وكشف المخبأ منه جهوداً كثيرة . وقرر منذ ألف عام كثيراً من القواعد التي أقرها اليوم المستشرقون وعلماء الأصوات ومن ذلك قوله ان أصل الكلمات حين نشأتها هو أسماء أصوات ثم لما تقادم الزمن واستطاع الإنسان أن يرتجل أسماء الأعيان، صارت أسماء الأعيان أصولاً للاشتقاق، وهذه نظرة صائبة وفكرة صحيحة جزاه الله عن هذه اللغة الشريفة جزاء وفاق حبه لها وإخلاصه لخدمتها .

(يتبع) محمد أسعد طلس



(١) سر الصناعة ص ٥٠ من مخطوطتنا .
(٢) سر الصناعة ص ٨٢ من مخطوطتنا .
(٣) المصدر نفسه ص ٩٤ .

التعريف والنقد

الصحافة والأدب في مصر

محاضرات في صلة الصحافة بالأدب ، ألقاها الدكتور عبد اللطيف حمزة ، في معهد الدراسات العربية العالية ، التابع لجامعة الدول العربية ، وطبعها المعهد في ١٦٦ صفحة .

وموضوعها تلخيص النهضة الأدبية والصحافية منذ القرن الماضي ، وتأثير الصحافة في الأدب . فقد قال المحاضر الفاضل في مقدمة الكتاب إن الأدب المصري الحديث مدين للصحافة المصرية بنشأته ونموه وذيوعه ، وعلى هذا تكون الصحافة المصرية صانعة الأدب المصري الحديث .

بدأ المحاضر يتحدث عن الفرق بين الأديب والصحافي ، وبين فنون الأدب وفنون الصحافة ، وبين لغة الأدب ولغة الصحافة . ثم انتقل الى الكلام على بيئة الأدب والصحافة منذ حملة نابليون على مصر ، فذكر تأثير هذه الحملة ، وظهور محمد علي وجمال الدين الأفغاني وغيرهما ، وتأثير السوريين الأول في الأدب والصحافة والمسرح ، والجرائد المصرية ورجالها في القرن الماضي ، والمبادئ السياسية التي كانت سائدة في أوائل القرن الحاضر ، وأهمها مناهضة الاحتلال الإنكليزي مع التعلق بدولة الخلافة ، وهو رأي الزعيم الفقيد مصطفى كامل ؛ ومناهضة ذلك الاحتلال مع الدعوة الى القومية المصرية ، دون الاعتماد في طلب الاستقلال على الدولة « العلية » ولا على غيرها ، وهو رأي العلامة أحمد لطفي السيد محرر « الجريدة » في تلك الأيام ؛ ورئيس مجمع اللغة العربية في أيامنا هذه .

وسياسة مربي الجيل أحمد لطفي السيد ـ مد الله في عمره ـ كانت صحيحة لا غبار عليها ، لأن الشعوب العربية كانت كلها أو جلها ترزح تحت نير الأجانب ، فلا فائدة منها لمصر ؛ أما الدولة العثمانية فكانت في حاجة الى من يأخذ بيدها . وقد أثبتت الحوادث بعدئذ ، ولا سيما قبيل الحرب الكبرى الأولى ، وفي أثنائها ، ان استعمار هذه الدولة في البلاد العربية فاق استعمار الدول الأوربية بفظائعه وبتنكره لأبسط حقوق العرب . وعندي على ذلك أدلة قاطعة تملأ كتاباً برأسه .

وتكلم المحاضر الفاضل على القصة المصرية ونشأتها في القرن الماضي ، ومعالجتها للشؤون الاجتماعية خاصة ، وذكر المجلات المصرية واللبنانية التي أنشئت في تلك الأيام ، وتأثيرها وتأثير غيرها من المقدمات التي أدت الى ظهور القصة .

ثم ذكر طلائع القصص المصري ، وسرد شيئاً منها ، وانتهى الى قوله : « أفليس في هذا كله ما يدل على ان القصة الفنية في مصر وغيرها من الأقطار العربية نشأت أول ما نشأت في أحضان الصحافة ، وبأقلام الرجال المشتغلين بالصحافة ؟ »

وعلى هذا المنوال تكلم المحاضر على القصيدة الشعرية وعلاقتها بالصحافة المصرية ، ولا سيما القصائد الاجتماعية ، وقصائد الحركة الوطنية . ثم بحث في تطور المقالة في اتجاهاتها الثقافية والاجتماعية والسياسية .

وأنهى هذه المحاضرات بالكلام على مستقبل الأدب في ظل الصحافة ، فقايس بين الكتاب والجريدة مقايسة تدل على علم واسع ورأي نضيج . وقد خلص الى أن الصحافة ـ على فوائدها ـ « ليست نعمة على الأدب ولا على الفكر ؛ وان الكتاب لا الجريدة هو الأقدر على تهيئة الأمم للتقدم الذي تنشده ، واعداد الأجيال المستقبلة للنهوض بها الى المستوى الذي تتطلبه » .

والخلاصة ان هذه المحاضرات الثمينة تلخيص ماتع ومفيد للنهضة الأدبية والصحافية في مصر ، ولتأثير الصحافة في الأدب الحديث .

ومن المؤسف اشتمال المحاضرات على أغلاط مطبعية كثيرة ، حتى في أبيات شعرية لشوقي وحافظ استشهد بهـا المحاضر . فقد أحصيتُ لهما وحدهما خمسة وعشرين بيتاً مشوهاً . وكلها أبيات مشهورة نحفظها عن ظهر قلب منذ كنا نتعلم في المدارس . فكيف يجيز المحاضر أو المعهد أن يُعبَث بها وبأشباهها في مثل هذه المحاضرات النفيسة .

اللهجات وأسلوب دراستها

وهي محاضرات ألقاها الأستاذ الفاضل الدكتور أنيس فريحة على قسم من طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة ، وطبعها المعهد المذكور في (٩١) صفحة .

وقد خص الأستاذ فيها موضوعين أساسيين وهما علم اللغات ودراسة اللهجات ؛ وبحث عن صلتهما بلغتنا العربية ؛ ثم تكلم على الأسس التي قامت عليها اللهجة اللبنانية ، وذكر عبارات عامية لبنانية منثورة ومنظومة .

وفي المحاضرات آراء طريفة تفيد الذين يعنون بمواضيع اللغة العربية . وفيها تشاؤم من صعوبة الفصحى ، وظنون بفوائد العامية لا نعتقد بصحتها .

ولنترك هذه المحاضرات المعنى بها ، والدالة على فضل صاحبها ، والتي لا يجوز في اعتقادنا أن ينظر اليها والى أشباهها إلا نظرة علمية بحتة ، ولنتساءل هل من فائدة للفصحى في تعليم اللهجات العامية في مثل المعهد المشار اليه أم لا ؟

لقد كتب العلاّمة ساطع الحصري مدير المعهد مقدمة للمحاضرات توخى أن يثبت فيها فائدة القرار الذي اتخذه المعهد بإدخال دراسة « اللهجات العربية الحالية » في جملة برامجه . وقال ان الغاية القصوى من هذه الدراسة الكشف عن أنجع السبل المؤدية الى جعل لغة الضاد « موحَّدة وموحِّدة » في جميع البلاد العربية ، أي أن تكون لغة أمتنا العربية واحدة ، وأن تكون أكبر أداة لتوحيد الشعوب العربية في أمة واحدة .

وعندما يتكلم الأستاذ الحصري أبو خلدون في مثل هذا الموضوع فهو لا يعوزه الرأي الحصيف، ولا الفكر العميق، ولا قوة الإقناع، ولا الإخلاص فيما يعتقده أو يدعو اليه .

ولكنني على الرغم من تلاوة مقدمته غير مرة لم أقتنع بصحة قرار المعهد . وقد يكون السبب عدم اختصاصي بشؤون التربية والتعليم، أو فرط تعصبي للفصحى، أو شدة خوفي من طغيان اللهجات العامية .

ومهما يكن من أمر فقد حاولت في الكلمات التالية الإفصاح عن رأيي في هذا الموضوع الهام آملاً أن تبرز لنا الخطة المثلى من طيات الآراء المختلفة :

فاللهجات العربية العامية تعد بالعشرات بل بالمآت . وكلها اليوم لا ضابط لها من نطق أو صرف أو نحو أو اشتقاق أو تحديد لمعنى الألفاظ . فهي كلام العامة يستعمل في الأغراض المعاشية، وفي علاقات الناس بعضهم ببعض . وهذا الكلام وقتي لا يثبت على مرور الأيام، وموضعي لا يتحول من قطر عربي الى قطر عربي آخر .

ومعناه ان اللهجات العامية لا يمكن أن تكون لغات علم وأدب وثقافة . وليس في مقدورها أن تعيش طويلاً، ولا أن يعم بعضها أو كلها الأقطار العربية كافة . وكل ما يكتب بلهجة عامية يظل محصوراً في قطره، وقلما يفهمه غير أبناء ذلك القطر، أو غير طائفة من أبناء ذلك القطر .

فإذا تدارسنا خصائص هذه اللهجات، ووضعنا لكل منها قواعد رجراجة وألقيناها محاضرات أو دروساً على طلاب، فماذا تكون مغبة هذا العمل ؟

إن أخشى ما نخشاه أن يستهوي هذا الموضوع عقول بعض هؤلاء الطلاب، فيعكفوا على معالجة تنظيم الكتابة والتأليف باللهجات المختلفة، وعلى طبع هذه الرطانات ونشرها، فتكون النتيجة تشويشاً وضرراً يباعد بعض الأقطار العربية

عن بعض ، بدلاً من أن تتوحد بلغتها ، أي تكون النتيجة مخالفة تمام المخالفة لما يتوقعه المعهد من تدريس اللهجات العامية ، وهو خدمة الفصحى .

أما القول بأن تدريس تلك اللهجات يفضي الى معرفة مشكلات الفصحى ، والى مداواة أدوائها ، فهو قول ضعيف في نظرنا .

فأدواء الفصحى معروفة تحتاج الى من يعالجها بإخلاص ونشاط وصبر ومثابرة . وأهمها وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها ، وتبسيط قواعد الكتابة والإعراب والصرف والنحو ، وتبسيط الكثير من تعليلات القواعد الصرفيـة والنحوية .

وجميع هذه الأمور الشائكة يعرفها علماؤنا الأثبات ، ولا علاقة لها باللهجات العامية وقواعدها وتدريسها . والذي أعرفه أن مجمع اللغة العربية في مصر قد عالج قضية تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة ، وقدم فيهـا اقتراحات الى وزارة المعارف [1] . وقد طال عليها الزمن وهي في الوزارة . والمأمول أن تقرها حكومة الثورة ، فتؤلف على أساسها كتب جديدة مبسطة في تلك العلوم .

ومن الطبيعي القول بأن هذا التبسيط لم يمس جوهر الفصحى وسلامتهـا ، وأنها ستظل صعبة في نظر بعض الناس . ولا مجال للبحث عن بعض الآراء التي تذهب الى جعل التبسيط تشويهاً للفصحى .

وأنا لا أنكر الفوائد التي يمكن الحصول عليها من دراسة بعض خصائص اللهجات العربية . ولكن هذه الدراسة لا يضطلع بها إلا علماء أثبات وفقهاء باللغة ممن يعرفون كيف يفيدون الفصحى من دراساتهم ، وكيف يقربون العامية منها ، وكيف يمنعون طغيان العامية عليها .

فالمرحوم الشيخ أحمد رضا العاملي مثلاً قد أفاد بمعجمه النفيس «رد العامي الى الفصيح» . وكذلك أفاد المرحوم أحمد تيمور في معالجته لأصول الألفاظ

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بمصر ج ٦ ص ١٨٠ – ١٩٧ .

العامية المصرية . ومما فيه فائدة أيضاً أن يقر مجمع مصر بعض ألفاظ عامية سائغة ، وأن تنشر كتب وصحف وإذاعات بلغة عربية سهلة صحيحة الخ .

ولكن هذه الأمور وأمثالها شيء ، ووضع قواعد للهجات العامية ، والكتابة بها ، وتعليمها لشبان معهد عربي شيء آخر . فالأول لا ضرر فيه ، بل فيه بعض الفوائد . أما الثاني ففوائده القليلة لا تقاس بأضراره الجمة ، وإن يكن طلاب معهد الدراسات العربية من حاملي الليسانس .

وبعد ان قضية الفصحى والعامية لا تحل بدراسة اللهجات العامية وتدريسها للطلاب ، بل تحل بوسائل أخرى منها تيسير قواعد الفصحى مع الاحتفاظ بسلامتها ، ومنها على الأخص نشر التعليم في سواد الشعوب العربية ، ومنها فرض التكلم بالفصحى على المعلمين وعلى التلاميذ في جميع المدارس ، الى غير ذلك من الوسائل التي هي خارجة عن نطاق أعمال المعهد .

ولولا الخوف من أن أتهم بالتعصب لقلت ان من واجب الحكومات التي تغار على لغتها القومية ان تمنع المطابع من طبع كتب أو رسائل بالعامية ، وان تمنع التكلم بها في المدارس والمسارح ومحطات الإذاعة ، حتى في دوائر تلك الحكومات (١) .

---

(١) بعد كتابة هذه الكلمات زارني الدكتور الفاضل عزة النص ، أحد اساتذة المعهد ، وأنبأني أن قرار دراسة اللهجات العامية كان قد اتخذ إبان افتتاح المعهد ، أما اليوم فقد صُرف النظر عن هذا الموضوع .

البدو والعشائر في البلاد العربية

محاضرات في ١٤٣ صفحة ألقاها الدكتور عبد الجليل الطاهر على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة . وطبعها المعهد المذكور في أوائل سنة ١٩٥٥ م .

وعنوان هذه المحاضرات يدل عليها . فقد تكلم فيها المحاضر الفاضل على تكوين المجتمع البدوي ، والعصبية وأشكالها ، والتنظيم الاجتماعي لدى القبائل ، وتعريف شيخ القبيلة وقاضيها و (السركال) و (الملا) في عشائر العراق ، والسيد والمؤمن عند قبائل الشيعة ، ومفهوم الحقوق والواجبات في المجتمعات البدوية حيث التبعات تكون مشتركة ، وحيث الحقوق لها أعراف خاصة .

وانتقل الى الحديث عن علاقة القبائل بحكومة العراق وبسياسة البلاد ، منذ عهد حكومات المغول الى زمننا الحاضر . وعرج على سورية فألمع الى القوانين التي وضعت فيها لتحديد علاقة القبائل بالحكومة .

ثم تكلم على الأسرة البدوية ، ذاكراً شيئاً عن عاداتها في الزواج وعن مساكنها ؛ وسرد أهم خصائص المجتمع البدوي كرحلة الشتاء والصيف والغزو والنخوة والوسم وغيرها . وانتهى الى ذكر أهم القبائل والعشائر البدوية ولا سيما في العراق وسورية .

أما بقية مواضيع المحاضرات فهي تتعلق بالاقتصاد الزراعي خاصة كإحصاء الأراضي القابلة للزراعة ، وإحصاء الملكيات الزراعية وأنواعها ، وأعمال التأريف (الكاداسترو) تثبيتاً لحقوق ذوي العلاقة بالأرضين الزراعية ، ومشاريع الري في العراق ، والتعاون الزراعي ، والتسليف الزراعي ، والصناعات الريفية الى آخر هذه المواضيع التي يمكن أن يؤلف في كل منها سفر أو أسفار . ولا علاقة للقبائل البدوية بها إلا من حيث تبديل معيشتها وجعلها تعمل في الفلاحة .

وقد خرجت من تلاوة هذه المحاضرات بالنتائج الآتية :

١ — معلومات المحاضر الفاضل واسعة لا شك في ذلك . ومحاضراته مفيدة لطلاب المعهد .

٢ — ولكن المواضيع التي بحثها في تلك المحاضرات كثيرة وواسعة ومتشعبة ومتشابكة ، فمن الصعب إجمالها في محاضرات قليلة مالم تأت تلك المحاضرات مبهمة ومشوشة .

لم يعتن المحاضر الفاضل بلغة محاضراته ، فالغلط اللغوي فيها كثير لا تكاد تخلو منه صفحة من صفحات الكتاب . وآثار الترجمة والنقل المتسرع بادية على كثير من الجمل . أما الأغلاط المطبعية فهي لا تعد ولا تحصى ، وقد شوهت هذا الكتاب المفيد تشويهاً . وأنا الذي كنت عالجت هذا الموضوعات سنين عديدة وجدتني أضيق ذرعاً بالغلط المطبعي في الكتاب ، فكيف تكون حال الطالب يا ترى عندما يقرأ مثلاً «عشيرة الدولة» بدلاً من عشيرة الرُّوَلة ، وبادية الحكة ، بدلاً من بادية الحسكة (ص ٤١) ، ومنطقة صلب ، بدلاً من منطقة حلب ، ومنطقة الخسبجة ، بدلاً من منطقة الحسجة أي الحسكة (ص ٨٢) الى آخر أشباه هذه الأغلاط التي لا عداد لها ؟

وياليت المعهد — وعلى رأسه العلامة الحصري المشهور بفرط تدقيقه — يتخذ بعد الآن قاعدة لا يحيد عنها ، وهي أن لا يُطبع كتاب من كتب محاضرات المعهد ، مالم يُجعل في قالب عربي مقبول ، وما لم يشرف المحاضر نفسه على طبعه ، سواء أكان مصرياً أم كان غير مصري .

عبد العزيز

كتاب في سيرة الملك العظيم عبد العزيز آل سعود ، ألفه المؤرخ الألماني البحاثة دا كويرت فون ميكوش ، ونقله الى العربيـة الوطني المجاهد الكبير الدكتور أمين رويحة ، فجاءت الترجمة في ٢٨٤ صفحة .

والمؤلف توفي حديثاً . وكان كاتباً بليغاً ، ومؤرخاً معروفاً بواسع اطلاعه على تأريخ الشرق ورجاله . وقد وضع كتاباً في ترجمة مصطفى كمال ، وآخر في ترجمة رضا شاه بهلوي . وجاء كتابه هذا على الملك عبد العزيز من أصح ما كتب الكاتبون في سيرة ذلك البطل العربي العظيم .

وقد سرد المؤلف الوقائع والحوادث على شكل قصصي جميل ، وبأسلوب فذ رائع يستهوي القارئ ، ويحمله على متابعة القراءة ، فيصيب في الكتاب لذة وفائدة على السواء .

وجاء المترجم الفاضل ـ وهو من أعلم علمائنا باللغة الألمانية ـ فنقله الى لغتنا الضادية ، في جمل عربية ناصعة لا يجد الناقد فيها أثراً للترجمة ، ولا لركاكة الإنشاء أو غموضه ، مما يكثر في كتابات بعض المترجمين .

ونحن في ديار الشام خاصةً نعرف جوانب كثيرة من الثورة العربية في الحجاز سنة ١٩١٦م ، ومن دخول الجيش العربي الشام سنة ١٩١٨ م ، ومن الأحداث السياسية التي حدثت بعد ذلك ، لأن كل هذه الشؤون كانت لاصقة بنا ، ولأنه كان لرجالنا القوميين والعسكريين يد فيها جميعاً .

أما الجزء الشرقي من جزيرتنا العربية فإننا ما كنا نعرف إلا القليـل مما كان يحدث فيه من حوادث هامة في تلك الأيام . فتأريخ الوهابية وآل سعود وآل الرشيد أيام الدولة العثمانية ، وفي الحرب العالمية الأولى ، واستقلال نجد

وأطرافها ، ومقارعة الأتراك ثم الانكليز على ذلك الاستقلال ، وتأسيس تلك الدولة العربية العظيمة ، ونشر سلطانها في مساحة من الأرض تعادل مساحة ثلثي أوربة ، كل هذه الأمور لم نطلع عليها حق الاطلاع ، ولم ندرسها دراسة عملية وقومية واسعة ، على حين انها صفحات خالدات في تأريخ أمتنا الحديث ، وعلى حين ان لها تأثيراً كبيراً في حياتنا القومية .

والى أن يتاح لعلمائنا الأثبات تحقيق تلك الدراسة الواسعة لا بد لنا من القناعة بتلاوة الكتب المجملة التي يُعتد بها كهذا الكتاب . وهو في نظري أجمل خلاصة وأدقها وأوثقها للتأريخ الحديث في ذلك الجزء الكبير من الوطن العربي . وهو أيضاً أصدق صورة لحياة بطل عربي قلما يجود الزمان بمثله .

وقد أعجبني من المترجم العالم ، الذي طالما أوذي في جهاده الوطني ، وفاؤه لمن أحسن اليه بإنقاذ حياته . فلقد ذكر في مقدمة الترجمة أن الراحل العظيم انتشله من الموت ، وأنقذه مراراً من الأحكام السياسية القاضية بإعدام حياته ، وأسبغ عليه من حمايته ما لا ينساه مدى الحياة .

وبعد اذا كان كتاب لورنس الضخم في الثورة العربية وهو « أعمدة الحكمة السبعة » قد كتب بأسلوب رائع ، وبلغة الأدب الرفيع ، فكتاب صنوه الألماني هذا لا يقل عن الكتاب الأول في أسلوبه وفي بيانه . والفرق بين الكتابين أن الانكليزي رافق الثورة العربية من الحجاز الى دمشق ، فجعل نفسه محورها ، وأغرق في الكلام ، وتبجح على هواه ، حتى لكأنه صاحب القضية العربية ؛ على حين ان الألماني كتب ما كتب بتواضع العالم المؤرخ الأمين على سرد الحقائق بلا إغراق ولا غاية سياسية أو شخصية .

الشهابي

المفردات الأساسية للقراءة الابتدائية

(في الأجزاء الثلاثة التي تلي الألف باء)

جمعه الدكتور فاخر عاقل أستاذ علم النفس التربوي في كلية التربية بالجامعة السورية
طبع في دمشق سنة ١٩٥٣ عدد صفحاته ٤٨٠ صفحة من القطع الكبير

سأل صاحب هذا الكتاب أحد مؤلفي كتب القراءة عن الطريقة التي اتبعها في اختيار الألفاظ التي ضمّنها كتابه فأجاب : نحن نختار اللفظة بحسب الحاجة اليها ، فسأله ما هو المقصود من هذه الحاجة وما هو مقياسه في تفضيل لفظة على أخرى ، فقال : إنّ الذوق الأدبي هو الذي يرشد الى هذه الحاجة ويساعد على تخير الألفاظ . وفي هذا الجواب دليل واضح على أن العنصر الشخصي وذوق المؤلف يؤثران تأثيراً بالغاً في تعيين المفردات . وليس في هذا ضبط علمي ولا مقياس موضوعي ، لأن الذوق الأدبيّ يختلف باختلاف المؤلفين ، ولأن الكلمات التي نختارها بحسب أذواقنا قد توافق المستوى العقلي للطلاب أو لا توافقه . فمن الضروري إذن أن نعتمد في اختيار مفردات القراءة على طريقة الإحصاء ، فنبحث عن أكثر الألفاظ تردداً على ألسنة الأطفال والراشدين ، وعن أكثرها تكرراً في كتب الأطفال ، وكتب الأدب ، وكتب العلوم وغيرها .

قال المؤلف في مقدمة كتابه : « إن إحصاء المفردات الأساسية يجب أن يشمل القرآن والانجيل والحديث والكتب الدينية » والكتب الأدبية القديمة والحديثة « والكتب المدرسية في مختلف حقول العلم ، كما يجب أن يشمل لغة الصحافة والمجلات والأدب العامي . إن إحصاءً كهذا يسهّل لنا الحصول على قائمة بالكلمات الأساسية التي يجب استعمالها في كتب القراءة ، كما يسهّل علينا أيضاً تعليم اللغة العربية .

ولكن أنى لعالم واحد إحصاء المفردات الأساسية المستعملة في جميع هذه النواحي . إنّ عملاً كهذا يتطلب تعاوناً علمياً واسع النطاق بين كثير من العلماء . فلا بدّ إذن في بداية الأمر من تحديد نطاق الإحصاء وحصره في ناحية واحدة .

هذا ما فعله الدكتور عاقل ، فهو قد قصر بحثه على دراسة كتب القراءة المستعملة في الصفوف الثلاثة التي تلي الصف الأول من المدرسة الابتدائيـة ، وهي كتاب الجديد الذي ألّفه الأستاذ خليل سكاكيني لمدارس فلسطين ، وكتاب القراءة المصورة الذي وضعه جماعة من الأساتذة لمدارس لبنان ، وكتاب القراءة الطريفة الذي وضعه الدكتور حلمي اللحام لمدارس سورية ، وكتاب مبادئ القراءة الرشيدة الذي وضعه محمد عبيد ، وعبد الفتاح صبري ، وعلي عمر لمدارس مصر ، وكتاب سلم القراءة العربية الذي وضعه أحمد السباعي لمدارس الحجاز ، وأضاف الى هذه الكتب بعد ذلك كتاب القراءة العربية الذي ألّفه لمدارس العراق متى عقراوي ، ومحمد ناصر ، ومحمد بهجت الأثري ، وعبد الحميد كاظم ، ورشيد الشلبي . فوجد عدد الكلمات الدارجة الواردة في هذه الكتب (١٨٨٠٨٨) كلمة ، وعدد الكلمات النوعية (١٠٦٤) ، وعدد الكلمات الأساسية (٣٠٠٠ — ٤٠٠٠) كلمة .

وبديهي ان نتائج هذا الإحصاء لا تصدق إلاّ على الألفاظ الواردة في هذه الكتب ، لأن تكرر بعضها أكثر من بعض ليس دليلاً على أن أكثرها تكرراً في الكتب أقرب الى مدارك الأطفال وأكثر انتشاراً على ألسنة الناس . مثال ذلك ان لفظ (تأمّل) يتكرّر (١٤٤) مرة في حين أن لفظ (سافر) لا يتكرّر إلاّ (٥٠) مرة . وبينما نجد لفظ (سبب) يتكرر (٧١) مرة نجد لفظ (بقرة) لا يتكرّر إلاّ (٢٩) مرة . فهل يدل هذا على ان الطفل

يفهم لفظي (تأمل) و (سبب) أحسن مما يفهم لفظي (سافر) و (بقرة) ؟ لا لعمري . إن هذا الإحصاء لا يعطينا إلا نتيجة واحدة وهي انه يصدق على الكتب التي استعملت هذه الألفاظ لا على الأطفال والراشدين الذين يستعملونها في كلامهم . وقد أشار الدكتور عاقل نفسه الى أن لفظ (خب) تكرر (١٩) مرة في حين ان لفظ (خرب) لم يتكرر الا مرة واحدة . والسبب في ذلك ان الكتاب الثالث من السلسلة السورية يشتمل على قصة عنوانها (الخب والمغفل) يتكرر فيها لفظ (خب) هذا العدد من المرات . ولولا ذلك لما جاءت مرتبتها في الإحصاء أعلى من مرتبة (خرب) . ونعتقد أن علاج ذلك لا يمكن أن يتم بما يسميه العلماء بالمدى (Range) ما دام الاحصاء مقصوراً على هذه الكتب . نعم ان كلمة تتكرر خمس عشرة مرة في خمسة عشر كتاباً أهم من كلمة تتكرر عشرين مرة في كتاب واحد . ولكن ذلك لا يمنع أن يتكرر اللفظ المجرد ثلاثين مرة في خمسة عشر كتاباً ، ولا يتكرر اللفظ الحسي في الكتب نفسها إلا خمس عشرة مرة . فهل يدل ذلك على أن الألفاظ المجردة أقرب الى مدارك الأطفال من الألفاظ الحسية ؟

وقصارى القول ان الإحصاء الدقيق الذي قام به الدكتور عاقل يبين لنا نسبة تكرر الألفاظ في كتب القراءة الموجودة بين أيدينا ، لا نسبة تكررها الحقيقية ، وما أحوجنا اليوم الى مثل هذه البحوث لإصلاح كتب القراءة على أساس علمي واضح ، فنشكر لصديقنا الدكتور عاقل مجهوده العلمي الكبير ، ونرجو أن ينتفع مؤلفو الكتب المدرسية ببحوثه القيمة ، وأن يكون بحثه هذا حافزاً على القيام ببحوث علمية أخرى متممة له .

جميل صليبا

مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية

من ست سور : الأعلى ، الشمس ، الليل ، العلق ، البينة ، الكافرون
صححه وعلق عليه ، مع مقدمة بالانكليزية عبد الصمد شرف الدين . مطبعة « ق »
بمباي ، الهنـد

ليست هذه المجموعة المؤلفة من تفسير هذه السور الست للإمام أحمد بن تيمية (البالغة ٤٨٠ صفحة عدا الفهارس) تفسيراً لها فحسب ، بل هي في الحقيقة تفسير لبعض سور القرآن ، ومناظرة لعلماء الكلام ، المؤولة لآيات الصفات ، والمعطلة لمعانيها اللغوية والشرعية ، كالجهمية والمعتزلة والقدرية ، وتوفيق بين صحيح المنقول وصريح المعقول على أفضل الوجوه . وقد كملت هذه المجموعة بتعليقات الأستاذ المولع بدراسة كتب الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، السيد عبد الصمد شرف الدين ، فقد بيّن بتعليقاته المبهم ، وفصّل المجمل ، وأوضح المشكل ، وملأ البياض ، بما نقله من كتبهما منصولاً عن الأصل ، وبما أضافه من قوله طبقاً لما اقتضاه البحث ، وخرّج الأحاديث ، وترجم للأعلام ، وذكر ما اشتهروا به ، مع تاريخ وفياتهم .

وقد ظفر الأستاذ بهذه المجموعة في كتاب « الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري » لابن عروة الدمشقي الحنبلي (المتوفى سنة ٨٣٧) المحفوظ بخزانة دار الكتب المصرية تحت رقم (٦٤٥) تفسير . وهذه المجموعة مما كتبه شيخ الاسلام في آخر عمره ، وهو منعزل عن الناس في خلوة السجن ، كما تراه في مقدمة السيد شرف الدين . وقد طبعها على أحدث ما بلغه فن الطباعة من إتقان ، وجعل في رؤوس الصحائف اليمنى أسماء السور المفسرة ، وفي اليسرى خلاصة ما تضمنته تلك الصحائف من مباحث ، وفي الشواهد القرآنية – وما أكثرها – أسماء سورها وأرقام آياتها ، وبين كل بضعة أسطر من الأصل ، عنوان للناشر بما اشتملت عليه ، وفي أول الكتاب فهرس

عام لمباحث سوره المفسَّرة ، وفي آخره فهرس مفصَّل لأسماء الأعلام ، والفِرَق ، والأماكن ، والكتب ، مع الإشارة إلى أرقام صحائفها مهما تكررت ، ويتلو هذا الفهرس جدول الخطأ والصواب . وختمه بمقدمة الكتاب باللغة الانكليزية .

ومن غرر مباحث الكتاب : صفة العلو ، ومسألة النزول ، والرد على دائرة المعارف الإسلامية ، وعلى ابن بطوطة (وقد ردَّ عليهما من قبل كاتب هذه السطور في مجلة الرسالة المصرية ، ومجلة العالم الإسلامي البغدادية) ، قيام إبراهيم وموسى ومحمد بأصل الدين ـ التوحيد ـ حل مشكلات تفسير سورة التين . أقول : أما صفة العلو فقد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن الله تقدست ذاته هو فوق سمواته ، التي هي مقر ملائكته ومهبط وحيه ، وأنه مستوٍ على عرشه ، وبائن من خلقه ، لا يحل فيهم ، ولا يمتزج بهم . ومن هنا يُعلم المراد من المعية في مثل قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » ، « إنني معكما أسمع وأرى » ، « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » ، « إن الله مع الذين اتقوا » فليس حقيقة هذه المعية المخالطة والمجاورة ، بل هي منفية قطعاً ، وإنما هي معية العلم والقدرة والإحاطة ، ومعية النصر والتأييد والمعونة ، ومثل ذلك معنى القرب .

وأما وَحدة الأديان ، وأخوة الرسل الكرام ، فقد بيَّن أن المنسوخ الذي تنوعت فيه الشرائع قليل بالنسبة الى ما اتفقت عليه الكتب والرسل ، فإن الذي اتفقت عليه هو الذي لا بد للخلق منه في كل زمان ومكان ، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح ، وعامة السور المكية كالأنعام والأعراف ، وآل حم ، وآل طس ، وآل الر ، هي من الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين ، كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والصدق والعدل والإخلاص ، وتحريم الظلم والفواحش والشرك ، والقول على الله بلا علم .

رحم الله المؤلف ورضي عنه ، وجزى أفضل الجزاء الناشر ، وكلَّ من عاونه في إبراز هذا الكتاب الجليل ، وقد ذكرهم في مقدمته ، وأثنى عليهم أطيب الثناء .

التفسير القيّم

للإمام ابن القيّم (٦٩١ — ٧٥١)

جمعه الأستاذ السلفي الشيخ محمد أويس الندوي

بتحقيق وتعليق الأستاذ محمد حامد الفقي ، رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ، بمصر

محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيّم الجوزية (الجوزية إحدى مدارس دمشق) هو إمام في لغة القرآن وأساليبه ، وفقهه وتشريعه ، وإيجازه وإعجازه ، وحقيقته ومجازه ، وقد جمع في هذا « التفسير القيم » ما قرأه الأستاذ الندوي في كتب ابن القيم المطبوعة تفسيراً لآيات متفرقة من الذكر الحكيم من نحو سبعين سورة . فمنها ما توسّع في الكتابة عنه كسورة الفاتحة التي بلغ تفسيرها أكثر من مائة صفحة ، وكالمعوّذتين فقد فسّرتا بنحو مائة صفحة . أما السبع الطُوَل فقد بلغ ما فسّره من أولها — وهي سوره البقرة — سبعين صفحة . ومن آل عمران دون الخمسين . ومن سورة النساء نحو عشر صفحات ، ومن المائدة خمساً ، ومثلها من الأنعام ، وفسّر آيات من سورة الأعراف — وهي آخر السبع الطُوَل — بنحو خمسين صفحة . ومنها — أي السور — ما فسّر آيتين منها أو ثلاثاً ، وهنالك سُوَر كثيرة لم يرد لها ذكر .

وعلى كلّ فانّ الواقف على هذا التفسير ، يجد فيه ما لا يجد في غيره من حقائق التنزيل والتأويل ، وله في تفسير بعض الآيات سبح طويل ، وهذا بعض مشتملات تفسير « إياك نعبد » فقط : أهل مقام « إياك نعبد » أربعة أصناف ، الصنف الأول : نفاة الحِكَم والتعليل . (٢) القدرية النفاة . (٣) الذين زعموا أنّ فائدة العبادة رياضة النفوس . (٤) وهم الطائفة المحمدية الابراهيمية . بنى « إياك نعبد » على أربع قواعد . جميع الرسل دَعوا الى « إياك نعبد » . الله تعالى جعل العبودية وصف أكمل خلقه . لزوم « إياك نعبد » لكل عبد

إلى الموت . انقسام العبودية إلى عامة وخاصة ـ مراتب « إياك نعبد » علماً وعملا ـ رحى العبودية تدور على خمس عشره قاعدة ـ أما عبوديات اللسان الخمس ... ـ العبوديات الخمس على الجوارح .

وقد استغرق الكلام على « إياك نعبد » ما يقرب من خمسين صفحة ! وهل يعجب القارىء من هذا من بعد أن يعلم أنّ هذا الإمام يرى أنّ سر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى الى « إياك نعبد وإياك نستعين» ؟ وانه قد شرح كتاب منازل السائرين الى الله لأبي اسماعيل الهروي بثلاثة مجلدات كبار ، وسمّى شرحه : (مدارج السالكين) ، بين منازل « إياك نعبد وإياك نستعين » . ومن وقف على هذه المنازل ، ذكر قول القائل : « للثريامنازل في القلوب منازلـــ » .

وإن أدري كيف فات جامع الكتاب والمعلّق عليه ، إضافة بعض الآيات أو السور اليه ، كسورة العصر مثلاً ، وهي في (ص ٢٥ ج ١) من إغاثة اللهفان الكبرى لابن القيم ، وقد طبعت (١٣٥٧ / ١٩٣٩ م) بتحقيق وتصحيح وتعليق صديقنا الشيخ محمد حامد الفقي ، مصحح « التفسير القيّم » والمعلّق عليه ، مع أن هذا التفسير قد جمعه الأستاذ محمد أويس الندوي مما فسّره ابن القيم من الآيات الكريمة في كتبه المطبوعة ، واستدرك عليه الأستاذ الفقي ما فاته منها ، وكالآيات (٥٢ و٥٣ و٥٤) من سورة الحج ، وهي في (ص ٩ و ١٠ ج ١) من الإغاثة الكبرى أيضاً ، مع أنه فسّر من هذه السورة الآيتين (٣٠ و ٣١) نقلاً عن بدائع الفوائد ج ٤ ص ٢١) والآية (٧٣) نقلاً عن أعلام الموقّعين (ج ١ ص ٢١٦ و ٢١٧) .

والذي يظهر أن الأستاذ الندوي جامع هذا الكتـاب أخذ ما تيسر له الاطلاع عليه من كتب ابن القيم المطبوعة ، واقتنص من الشوارد ما اتفق له ،

وأحسب ان ما فاته أكثر مما التقطه بكثير ، والاستقراء الصحيح الذي يضمن له الاستقصاء هو أن يقرأ كتبه المطبوعة واحداً بعد واحد ، وينقل من كل كتاب جميع آياته المفسَّرة ، وبعد أن يفرغ منها كلها ، يجمع بينها ويرتب سورها ترتيب القرآن ، ويفسّر آياتها معدودة بالأرقام ، ويثبت في أعلى الصحائف أسماء السور المفسَّرة ، أو عناوين لمباحثها ، ويضع جدولاً للخطأ والصواب ، واليك تصويب المهم مما عثرنا عليه الآن : (د) رحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة ، (هـ) آمنوا ، (ط) «أنت وَلِيي» ، (ك) «ما اتخذ» «ومَن لم يجعل الله له» ، وفي (ص ٣٩٤ س ٧) : والسقيم (و س ١٦) : متكلماً به ، (ص ٥٠٦ س ٤) : كان معموراً . فجزى الله المؤلف والجامع والمحقق والمعاونين والناشرين خير الجزاء .



دلائل النبوة

للحافظ الكبير والمحدث الشهير أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

هذا كتاب جليل ، قد ضم خمسة وثلاثين فصلاً ، جمع فيها المنتشر من الروايات في النبوة ودلائلها ، والمعجزات وحقائقها ، وخصائص المبعوث محمد (ﷺ) إلى العالمين ، فالفصل الأول منها في ذكر ما أنزل الله تعالى في كتابه من فضله ، والفصول بعده في حسبه ونسبه ، وبيان أسمائه ، وإقسامه تعالى بحياته ، وما فضل به هو وأمته ، واشتهار أخباره عند ملوك اليمن والروم وفارس ، وما سمع من الهتاف باسمه ، وذكره في الكتب المتقدمة ، ثم وصف حياته مفتتحة بمناقب أجداده ، فتاريخ ميلاده ونشأته الطاهرة ، وبعثته العامة ، واحتماله الأذى في سبيلها ، ومخرجه من مكة إلى المدينة مهاجراً . والفصل الثاني والعشرون الى السابع والعشرين في إقبال الشجر إليه ، وتسليم الشجر والمدر عليه ، وذكر

حنين الجذع إليه ، وفوران الماء من بين أصابعه ، وذكر ربو الطعام بوضع يده عليه ، وتسبيح الحصى .

الفصل الثامن والعشرون في ذكر ما جرى من الآيات في غزواته وسراياه ، ذكرَها مرتبةً من غزوة بدر إلى غزوة تبوك ، مبيناً موضع الدلالة منها ، ووجه الآية فيها ، « وفي جميع ذلك دليل على ما قلناه من أنه (ﷺ) لم يخل شيء من أحواله عن آية شاهدة له ، ومعجزة جارية على يديه » وذكر ما جرى من الدلائل في غزوة مؤتة ، وغزوة الطائف ، وسرية زيد بن حارثة ، وقصة هدم بيت العزّى .

الفصل التاسع والعشرون : ما أخبر به (ﷺ) من الغيوب فتحقق على ما أخبر به في حياته وبعد موته .

الفصل الثلاثون : في ذكر ما ظهر لأصحابه في حياته ، والفصل الحادي والثلاثون : ما وقع من الآيات بعد وفاته ، الفصل الثاني والثلاثون : ما جرى على يدي أصحابه بعده . الفصل الثالث والثلاثون : في فضائل الأنبياء قبله وفضائله ، ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتي . الفصلان الرابع والثلاثون والخامس والثلاثون وهما الختام في رواية خبرين يشتملان على جمل من صفاته وأخلاقه وأحواله ، وما يتضمن ذلك من آدابه وسننه وشرائعه الموافقة لقضايا المعقول في الصحة والجواز . وقد اشتمل الكتاب على « ٥٦٦ » صفحة .

هذا وإن كتب الحديث ـ كما قال أئمة هذا الشأن ـ على طبقات مختلفة ، ومنازل متباينة ، فوجب الاعتناء بمعرفة طبقات كتب الحديث ، ليعرف الصحيح من غيره ؛ أما ما كان ضعيفاً ، أو موضوعاً ، أو منقطعاً ، أو مقلوباً في سنده أو متنه ، أو من رواية المجاهيل ، أو مخالفاً لما أجمع عليه السلف طبقة بعد طبقة ، فلا سبيل الى القول به . وكان أبو نعيم رجلاً عالماً بالحديث ، لكن هو وأمثاله يروون ما في الباب ليعرف أنه قد روي ، كالمفسر الذي ينقل أقوال

الناس في التفسير ، وإن كان كثير من ذلك لا يعتقد بصحته ، بل يعتقد ضعفه ، لأنه يقول : نقلت ما ذكر غيري ، فالعهدة على القائل ، وفي منهاج السنة : ان ابا نعيم روى كثيراً من الأحاديث التي هي ضعيفة بل موضوعة باتفاق علماء الحديث ، وهو وإن كان حافظاً ثقة ، كثير الحديث ، واسع الرواية ، لكن روى ، كما هو عادة المحدثين يروون ما في الباب لأجل المعرفة بذلك ، وإن كان لا يحتج من ذلك إلا ببعضه .

لم نجد في الكتاب جدولاً للخطأ والصواب . وفي (ص ٢ منه س ١٠) «ولقد أرسلنا» والتلاوة : «لقد أرسلنا» (سورة الحديد الآية ٢٥) .



رسالة في الهداية والضلالة

تأليف الصاحب بن عبّاد

أخرجها الأستاذ حسين علي محفوظ

هذه الرسالة صغيرة الحجم ، جمة الفائدة ، ألفها الصاحب بن عباد الأصفهاني الشهير ، الذي أخذ عن أبي الفضل بن العميد الشيء الكثير ، واستوزره مؤيد الدولة الديلمي ، ثم أخوه فخر الدولة ، (توفي سنة ٣٨٥) وقد ألف هذه الرسالة ـ في الهداية والضلالة ـ ردّاً على الحشوية والقدرية والجبرة ، الذين قالوا بقول المشركين : «لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، ولا حرّمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون» .

وغرض المؤلف (رحمه الله) من ذلك ظاهر ، وهو إثبات العدل ، ونفي الظلم عن الله عزّ وجلّ ، ولكنه لم يستقص آيات الهداية والضلالة ، ولا المشيئة والإرادة الواردة في القرآن ، كقوله : «ولو شئنا لآتينا كلّ نفس هداها» ،

« فلو شاء لهداكم أجمعين » ، « ولو شاء ربك ما فعلوه » ، ولا شكّ أن الهداية في القرآن نوعان ، هداية الدلالة والبيان ، وهي التي يملكها الإنسان ، وهداية التوفيق القلبي والإلهام ، فالأولى هداية شرعية « وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم » والثانية هداية أزليّة « إنّك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء » ومثلها المشيئة الأزلية أو القدرية : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » ، « ولو شاء ربّك ما فعلوه » وحاصله أن المخلوق المكلف يحاسب بما هو صادر عنه من الأفعال ، لا بما هو جارٍ عليه من الأقدار ، وليس في ما يسند إليه إكراه ولا إجبار ، ولكنّ الصاحب بن عبّاد معتزلي العقيدة ، فهو من نفاة القدر ، القائلين (إنما الأمر أُنُف) وللإمام أحمد بن حنبل في الردّ عليهم جملة ذهبية ، فقد كان يقول : « ناظروهم بالعلم ، فان هم أقرّوا به رجعوا ، وإن أنكروه كفروا » ومراده : هل يعلم الله الأشياء قبل وقوعها أم لا ؟ وليس في علمه الأزلي بها إلزام بفعلها أو تركها ، بل للمكلّف الخيار ، والله عالم بما يصنع فحاسبه عليه ، وهذا هو القول الوسط الذي لا تفريط فيه ولا شطط .

وفي طليعة الرسالة ـ بعد كلمة التصدير ـ وصف النسخة ، وخصائص رسمها ، وصفحات من نسخة الأصل المخطوطة في سنة ٣٦٤ هـ ، وصورة خط الصاحب ابن عبّاد في آخر نسخة الأصل ، وترجمة المؤلف وتآليفه وقد بلغت (٣٧) كتاباً ورسالة ، مع الإشارة إلى ما طبع منها ، ومراجع ترجمة المؤلف وقد بلغت خمسةً وثمانين مرجعاً ، على أنّ ترجمته لم تزد على الصفحة الواحدة إلا قليلاً ، ومراجع التعليق وقد بلغت (٢٨) مرجعاً .

وبعد فالرسالة تحفة نفيسة بذل ناشرها الأستاذ حسين علي محفوظ في تصحيحها جهداً عظيماً ، استحق عليه شكراً جزيلاً .

المبادئ الشرعية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية

في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني

تأليف : المحامي صبحي محمصاني

كنا عرّفنا في هذه المجلة بعض مؤلفات الدكتور المحمصاني ، ووصفنا الأستاذ المؤلف بأنه واسع الاطلاع على أمهات المراجع الإسلامية ، فهو ينقل عنها بعناية وأمانة ، ويشير الى الأجزاء والصفحات ، وما يعزوه إلى غيرها كثير أيضاً ، وهذا دأبه في ما يترجم من المواد والأحكام عن كتب الحقوق الفرنسية والانكليزية وغيرها ، وهو ما تقتضيه أمانة العلم .

وهذه مجموعة من المحاضرات (تبلغ ٢٦٠ صفحة) أعدت لطلاب السنتين الثالثة والرابعة من معهد الحقوق الفرنسي في بيروت ، وقد قسم مباحث هذا الكتاب إلى الأقسام الأربعة التي جعلها عنواناً له ، فالقسم الأول في أحكام الحجر وفاقدي الأهلية ، والثاني في الوصية ، والثالث في النفقات ، والرابع في المواريث . وقد اشتمل القسم الأول على سبعة أبواب وهي : الحجر والولاية ، والصغر ، والجنون ، والعته ، والحجر على السفيه ، ومرض الموت ، وأهلية المرأة ، وأسباب أخرى للحجر . (والثاني) على ثلاثة : أحكام عامة ، شروط الوصية ، آثار الوصية . (والثالث) على خمسة : نفقة الزوجة ، نفقة الفروع ، الأصول ، ذوي الأرحام ، قواعد عامة في النفقات . (والقسم الرابع) على ثمانية أبواب : أحكام عامة ، موانع الإرث ، أصحاب الفروض ، العصبات ، والعوْل والرد ، ذوو الأرحام ، الحجب ، مسائل متنوعة ؛ ووراء كل باب فصول وفروع منسقة مستوفاة .

قَدَّم الدكتور المحمصاني لكتابه مقدمة ملائمة لهذا الموضوع ، أصلاً لهذه الفروع ، وهي في علم الفقه وأقسامه ، وتاريخ التشريع الاسلامي وتطوره ، وقد قسمه إلى أدوار : عصر الجاهلية ، النبوة ، الخلفاء الراشدين والأمويين ، العصر الذهبي العباسي ، عصر الانحطاط والتقليد ، عصر النهضة ، وبيَّن المذاهب السنّية والشيعيّة ، وذكر العهد العثماني والعصر الحاضر ، إلى أن بلغ القوانين الجديدة . وختم هذه المقدمة ببيان الأدلة الشرعية الأربعة التي هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وذكر أدلة أخرى غير متفق عليها ، كالاستحسان ، والمصالح المرسلة ، والاستدلال ، واستصحاب الحال . ثم مقارنة بين مصادر التشريع الإسلامي ، ومصادر التشريع اليوم : وهي التشريع الوضعي ، والعُرف والعادة ، والاجتهاد القضائي .

وقد أحصى في آخر المبادئ الشرعية أهم المراجع ، مرتباً أسماء مؤلفيها على حروف الهجاء ، مبيناً أماكن طبعها ، ووضع فهرساً هجائياً بالموضوعات والأعلام ، مع أرقام صفحاتها معها تكررت ، والفهرس الأخير لمحتويات الكتاب ، ثم جدول الخطأ والصواب . والدكتور أثابه الله قد وهب وقته للتدريس والمحاماة والتأليف .

مما لاحظناه (في ص ٣٠) : تعريف المؤلف للمصالح المرسلة بأنها الخارجة عن القياس للمصلحة ، وقد عرّفوها بأنها التي لم يشهد باعتبارها ولا بإلغائها دليل معيّن من الشرع . وللشيخ نجم الدين الطوفي الحنبلي (م ٧١٦) رسالة مستقلة في رعاية المصالح المرسلة من أدلة الشرع ، وقد طبعت أخيراً بمصر . (وفي ص ٢٢ س ٣) : أبو إسحق الفيروزبادي ، صاحب كتاب المهذب : هو أبو اسحق الشيرازي .

(مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نصّ فيه)

(محاضرات) ألقاها الأستاذ عبد الوهاب الخلاّف على طلبة قسم الدراسات القانونية سنة ١٩٥٤م

جامعة الدول العربية — معهد الدراسات العربية العالية

لمّا ضعفت الملكات الدينية في الحكومات العربية والإسلامية ، وفي مجالسها النيابية ، وتغلغل النفوذ الغربيّ فيهم ، واتسعت دائرة المعاملات معهم ، استمدوا من قوانين الغرب ونُظُمه ما ظنّوا أنهم يستشفون به من أدوائهم ، ويجدّدون به عهد قوتهم ونشاطهم ، ولكنهم ازدادوا وهنًا على وهن ، وصحّ فيهم قول القائل :

اذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أعلّك ما شفاكا

ذلك بأنهم خرجوا عن قواعد الشريعة والطبيعة معا ، وفاتهم أنّ لكل أمّة شرعةً ومنهاجًا ملائمين لحياتها ، فاذا حادت عنها أوردت أنفسها موارد الهلكة ، وهذا هو الذي جرى للحكومة العثمانية أيام ضعفها وانحلالها ، لا في زمن فتوحها واستقلالها ، فقد كانت أيام نهضتها عاملة بشريعتها ، محتفظة بقوتها ، حامية لمملكتها ، فينبغي للمؤرخ المنصف أن لا يَغفُل عن هذه الحقيقة .

والكتاب الذي نتصفحه الآن هو محاضرات للعلاّمة الخلاّف ، أثبت فيه أن الشريعة الإسلامية تتمشى مع العصور ، وتتطوّر بارتقاء الزمن في معاملاتها الدنيوية ، وأن لها من كلياتها الفقهية وقواعدها العامّة ما تستطيع أن تستنبط منه أحكامًا للحوادث والوقائع التي تتجدّد على تراخي الزمن ، واختلاف البيئات والأقاليم ، وقد وصف في هذا الجزء (الذي بلغ مائة وخمسين صفحة) أهم مصادر التشريع الإسلامي الذي لا نصّ فيه ، فتكلّم على خمسة منها وهي : القياس والاستحسان والاستصلاح والعُرف والاستصحاب ؛ وقد أحسن الأستاذ صُنعًا بنشره رسالة النجم الطوفي العالم الحنبلي (م سنة ٧١٦ هـ) في رعاية المصلحة ،

وبيان منزلتها العظمى من أدلة الشرع ، وهي التي شرح فيها حديث (لا ضرر ولا ضرار) من الأربعين النووية المشهورة ، وكان جرّدها أستاذنا الشيخ جمال الدين القاسمي وعلّق عليها وطبعها في مجموعته الأصولية ، ونشرتها مجلة المنار بمصر في المجلد التاسع ، ثم طبعت بمصر مستقلة مصححة على نسخ خطية ، والرسالة من النفائس ، وهذه المحاضرات للأستاذ الخلاف حجة على من يرمون الإسلام بالجمود ، ويحاولون إزالته من الوجود ؟!! (ألا خاب هذا والمشيرون خيّب) .

ونلاحظ في هذه الرسالة الطوفية أنها قد حظيت بعناية العلماء الأجلاء ، ولكنّ أحداً منهم لم يُعنَ بتخريج أحاديثها على قلتها ، ومن ذلك الحديث الذي أورده الطوفيّ بلفظ : « اتبعوا السواد الأعظم ، فانه من شذّ ، شذّ في النار ، ويد الله مع الجماعة » علق عليها الأستاذ الخلاف بقوله : « هذه الجملة من [ب] ـ أي من ثانية النسختين الخطيتين المحفوظتين في الخزانة التيمورية من رسالة الطوفي ـ وقد وجدتها هناك ـ يد الله على الجماعة ـ فصححتها » اه أي صححها بلفظ (مع الجماعة) ولو رجع الأستاذ الى كتب السنة لما صححها ، فقد وردت باللفظين (مع وعلى) وقد روى الحديث الترمذي وحسّنه بلفظ : « يد الله على الجماعة » وفي رواية له عن ابن عباس « يد الله على الجماعة ، اتبعوا السواد الأعظم ، فانه من شذّ ، شذ في النار » وهي أشبه برواية الأصل على ما فيها من تقديم وتأخير .

وهنا اقتراحان ، (الأول) : رجاؤنا من معهد الدراسات الإسلامية أن يدرس بعد هذه المحاضرات النافعة كتاب (فقه الإسلام) للأستاذ الجليل الشيخ حسن أحمد الخطيب المطبوع بمصر ، فهو من أفضل آثر هذا العصر في التشريع الإسلامي ، وقد كتبنا عنه ووصفناه في مجلة مجمعنا العلمي . (والثاني) : رجاؤنا

من جامعة الدول العربية وحكوماتها الإسلامية أن تستمد أصولها وقوانينها من هذا المعين الذي لا ينضب ماؤه ولا تبلى جدّته (أعني فقه الإسلام)، فهو يرشد هذه الحكومات العربية الى وحدة لا انفصام لها؛ ويخلصهم من هذا الضعف والانحلال، اللهم ألهمهم الصواب، وهبهم الحكمة وفصل الخطاب.

وقعت أغلاط قليلة نوجه النظر اليها: منها في الذيل (ص ٧٧): ابن القيم توفي سنة ٢٥١ صوابها: (سنة ٧٥١ هـ)، ومنها (ص ١٢٧ س ٨): متى بوجد: (حتى)، ومنها (ص ١٢٨ س ٢٣): إلاّ استثناء: إلاّ ما استثناه. و (ص ١٤٩ س ٧): في اصلاح: «في اصطلاح». وفي صفحة الفهرس آخر الكتاب: بين المساومات: «المتساويات». إقصاؤها إلى: «افضاؤها». مروية مصادر الخ: «مرونة».



(محاضرات في الميراث عند الجعفرية)

ألقاها الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

على طلبة قسم الدراسات القانونية، في جامعة الدول العربية سنة ١٩٥٥

الأستاذ أبو زهرة فقيه ضليع، وفرضي بارع، ومن شواهد ذلك محاضراته هذه في الفقه الجعفري، أو الإمامي الاثني عشري، وهو عالم سني. وقد اشتمل كتابه هذا على مباحث مهمة؛ أولها بيان الباعث على اختيار موضوع الميراث عند الجعفرية للدراسة، وفيه اختلاف وجهة النظر في الأحكام، وبيان أن تعدّد الآراء والمذاهب، ينشأ من سعة العلوم وتنوع المدارك، ومن مشتملات هذه المحاضرات: إلمامة بالشيعة، حياة الإمام جعفر الصادق ـ الميراث عند الإمامية الاثني عشرية ـ الوصايا النافذة ـ حقّ الوراثة ـ أنصبة الورثة ـ

ميراث القرابة - ميراث المرتبة الأولى من الأقارب - ميراث المرتبة الثانية - المرتبة الثالثة . والناظر في هذه المباحث التي عقدها لهذه المسائل ، يرى الفرق واسعاً بين المذهبين السني والشيعي في المواريث المستخرجة من النصوص ، المستنبطة من أدلتها ، دون الفرائض الصريحة المنصوص عليها ، التي لا لَبس فيها ولا غموض .

قال المؤلف : « وعلى ضوء هذه الدراسة أيضاً ، نهجنا في ما كتبنا في أبواب الفقه ذلك المنهاج المستقيم ، وهو الاقتباس من هذه المذاهب ، والإشارة إلى ما نراه قويّ السند ، واضح المعتمد من آراء الشيعة ، كأقوالهم في أيمان الطلاق ، والطلاق الثلاث بلفظ الثلاث ، وعدم وقوع الطلاق البدعي ، واشتراط الإشهاد لإيقاع الطلاق ، ونحو ذلك من الآراء التي نرى في الأخذ بهـا إصلاحا ، ونجد في دليلها قوة ، ولا تتجافى عن المعاني الإسلامية جملة أو تفصيلا » .

(أقول) : الطلاق على هذا المنهاج القويم شرعي غير بدعي ، وهو - ولا ريب - سني شيعي ، أخذ به كثير من علماء الحديث وأئمة السلف وفقهـاء المذاهب ، وهو منطبق تمام الانطباق على مذهب الشيخين ابن تيمية وابن القيم ، كما بيناه من قبل في فصل اختيارات شيخ الاسلام (ص ٩٣ — ١٠١ ج ٢) من محاضرات المجمع العلمي ولو رعى الناس النصوص في أمر الطلاق حق رعايتها لضمنت لهم سلامة الأمر ، بل سعادة البشر ، وكتب الشيخين قد أشبعت هذا الموضوع بحثاً واستدلالا ، ولم تدع للمبتدعة فيـه شبهة ولا مقالا ، بل أوردت جميع مقالاتهم فيه وأتت عليها نقضاً وإبطالا .

ولنعد إلى ما نحن فيه من الميراث الجعفري ، بإيراد أمثلة توضح الخلاف مع الميراث السنّي :

١ — الأخت الشقيقة تحجب الإخوة والأخوات للأب ، ولا يأخذون معها شيئاً ، بل يردّ عليها ؛ وان هذا يختلف فيه نظر الإمامية عن نظر أهل السنة

والجماعة ، فان أولاد الأب يرثون مع الشقيقات إذا كان نصيبهن بالفرض ، ولا تحجب الأخت الشقيقة أولاد الأب .

٢ — لو كان للمتوفاة زوج وأخ لأم وأخت شقيقة ، فان الزوج يأخذ النصف ، والأخ لأم السدس ، والشقيقة تأخذ الباقي ، ولو كان أقل من النصف لأنه لا عول عندهم . وقد أجمعت الشيعة الإمامية على أنه لا رد على أولاد الأم مع وجود الشقيقات لأنه تضافرت الرواية عن أئمتهم في ذلك .

٣ — إذا كان للمتوفى أبو أم ، وأبو أبي أب ، فان الميراث كله لأبي الأم ، لأنه أقرب درجة ، وقد انفرد في طبقته فلا يشاركه فيها أحد .

٤ — لو كان أحد الزوجين مع الأب والأم ، فان الأم تأخذ ثلث الكل ، وأحد الزوجين يأخذ فرضه ، والأب يأخذ الباقي . (أي للزوج النصف ، وللأم الثلث ، وللأب السدس ، وهو الباقي) .

نكتفي بهذا القدر ، ونثني أطيب الثناء على معهد الدراسات العربية العالية ، فقد سار في طريق جمع فيه بين السنة والشيعة في الميراث ، وهما أكبر مظهر للمسلمين اليوم . وقد ختم المؤلف كتابه بقوله : ونتضرع اليه سبحانه أن يجمع شمل المسلمين فقد طال عهد الفرقة ، إنه سميع مجيب . ونحن نؤمن على دعاء هذا الأستاذ الكبير الذي زرناه بداره في الإسكندرية هذا العام (١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م) فوجدناه من رجال العلم والإصلاح .

وكنا نرجو أن يوضع جدول لبيان ما وقع من سهو قلمي أو مطبعي ، واني أصوب ما رأيته من ذلك : (ص ٣ س ٨) : على أن يدرس ، (٣/ ١١) : غيره ، (١٧ في الذيل) : « وما » « ادعوهم » ، (٢٠ / ٢) : فلما (مكررة) ، (٢٩ في الذيل) : الباقر ، (٣٠/ ٢٠) : القياسيين ، (٣٠ / ٢١ و ٢٢) : كأبيه ، (٣٢/ ١٢) : وولده ، (٤٠/ ١٤ من الذيل) : ولم يقدم تجهيزه

وتكفينه فقط ، (٤٣/ ٢١) : أنّ هنالك رأياً ، (٤٤/ ١٢) : لأن يتلك ، (٤٧/ ٦ من الذيل) : حتى استخلاصها فقط ، (٥٢/ ٩) : « ببعض » ، (٥٨/ ٤) : بل تأخذ الفريضة الشرعية فقط ، (٧٦/ ١) : ليست لهم ، (٨٨/ ٣) : « يوصيكم » ، (٨٨/ ١٠) : فاعتبروا ، (٩٢/ ٨) : « وورثه » ، (٩٦/ ٧) : الدلاء ، (٩٨/ ٢٣) : السنة ، (٩٩/ ٩) : والجدات ، (١٠٣/ ١٩) : لا تتجاوزه ، (١٠٤/ ١٩) : الخمسين ، (١١٢/ ١٨) : اثنتين ، (١٢٢/ ١٤) : للجد ، (١٣٢/ ٢) : أحكام ، (٣٥/ ١٥) : إذا ترك ، (١٤٠/ ١٠) : السنيين .



محاضرات في تاريخ الفقه الإسلامي

الجزء (٢) عصر نشأة المذاهب

ألقاها الدكتور محمد يوسف موسى على طلبة قسم الدراسات القانونية سنة ١٩٥٥ م

رعى الله معهد الدراسات العالية في جامعة الدول العربية ، فقد طلع علينا ــ وهو حديث النشأة ــ بكتب ذات شأن ، في التوجيه العربي الصحيح ، والتشريع الاسلامي القويم ، المستمد من نصوص كتاب الله الحكيم ، ومن السنة النبوية القولية والعملية ، وأمامي الآن الجزء الثاني ، من تاريخ الفقه الإسلامي ، وهو محاضرات ألقاها الدكتور محمد يوسف موسى على طلبة قسم الدراسات القانونية ، وكانت ظهرت الحلقة الأولى منذ عام ، وكان موضوعها « فقه الصحابة والتابعين » . وهذه الحلقة الثانية في « عصر نشأة المذاهب » والتيارات التي سبقتها ، والعوامل التي أدّت اليها . وقد أدار البحث في هذه الرسالة على خمسة أقطاب ، جعل الأول منها « تمهيداً عاماً » مذكراً بتطور الفقه ، وبطرق الأحكام أيام

الصحابة والتابعين ، الى أن انتهى منه ببيان أنه كان لا بدّ من الاختلاف في الآراء ، وطرق أخذها واستنباطها ، وبيان الأسباب الرئيسية لهذا الاختلاف . (والثاني) «زمن أتباع التابعين» وفيه بيان طرقهم الفقهية وطبقاتهم ، وأثر العباسيين في الفقه ، وتدوين السنة وأثره ، وتدوين الفقه .

(٣) «النزاع في أصول الفقه وأدلته» وما كان لذلك من نتائج في الفقه نفسه وأحكامه ، وفي المذاهب التي قامت فيما بعد .

(٤) مصطلحات الفقه وأصوله ، وفيها بحث المراحل التي مرت بها حتى تم تدوينها برسالة الإمام الشافعي .

(٥) «خاتمة البحث» ونتائجه ، وفيها الإشارة الى المذاهب التي انقرضت ، والمذاهب التي قامت بعدها .

ومن أمتع ما جاء في هذه المحاضرات ، رسالة إمام دار الهجرة مالك بن أنس إلى فقيه مصر ، الليث بن سعد ، وجواب هذا له ، وهما مثالان رائعان من علم السلف وهديهم . هذا وجدير بطلاب العلوم الدينية والمدنية ، ان يقفوا من مثل هذا الكتاب على قواعد الفقه الإسلامي وشواهده ، لا سيما ما لا نصّ فيه — كالقياس والاستحسان — وعلى مصطلحات الفقه وأصوله ، وأول من دوّن فيه ، وحاجة الفقيه اليه .

وجملة القول : إن هذه الرسائل التي ينشئها أساتذة «معهد الدراسات العالية» هي من خير الرسائل وأهداها الى ما يجب على العلماء الاطلاع عليه ، والسير مع طلابهم فيه ، ليكونوا جميعاً واقفين على أسرار التشريع ، وكنه الزمن وحاجة الأمة ، ولتكون فتاويهم وأحكامهم هادية إلى حفظ وحدتها ، وتنمية ثروتها ، وحماية حوزتها ، ودفع عوادي الشر عنها ، مع إثبات أن ذلك هو الذي يقتضيه هدي الإسلام ، وترشد إليه آيات القرآن ، ثم ختم الكتاب ببيان المراجع التي أوردها تحت عناوين سبعة ، وهي القرآن والحديث ، أصول الفقه ، الفقه ، بحوث فقهية حديثة ، تاريخ الفقه ، تاريخ وتراجم ، مراجع عامة .

هذا وقد قال الأستاذ المؤلف عن «المصالح المرسلة ، أو الاستصلاح» تفرد به مالك بن أنس وأصحابه (ص ١٠٢) . والصواب أنهم لم يتفردوا به .
ومن أنفع ما ألف في موضوع « المصالح المرسلة » رسالة للشيخ نجم الدين الطوفي الحنبلي (المتوفى سنة ٧١٦ هـ) وقد طبعت بدمشق ومصر .

قال المؤلف (في ص ١٤٢) : وفي السنة أخيراً نجد قوله (ﷺ) « ما رآه المسلمون حسناً ، فهو عند الله حسن » . قلت ما هو بحديث مرفوع ، بل هو موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه ، رواه أحمد في كتاب السنّة (لا في المسند) وفيه زيادة ، وأخرجه البزار والطيالسي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الاعتقاد موقوفاً على ابن مسعود أيضاً . (راجع كشف الخفاء)

اكتفى الدكتور بتصحيح كلمة واحدة من كتابه ، وترك الباقي إلى فطنة القارئ ، وهي (ابن أبي ليلى) وكتبت خطأً (ابن أبي يعلى) . وعندنا أن الصواب ، بيان الخطأ والصواب ، ليكون القارئ على بينة من أمره ، وإني مورد صواب ما رأيته من خطأ ، عنايةً بالكتاب وقرّائه :

(ص ٢٦ س ٩) : يعدُّ ، (١٧/٢٧) : أن يلقاه ، (١/٢٨) : وأشهراً ، (١٥/٤٢) فقط : مقدمة عن موضعها ، ومحلها قبل : بل نشط الخ ، (٣/٦٥) : واسم أبي الزناد ، (٧٥ في الذيل) : الفلسفة ، (٩١ في الذيل) : أحكام ، (٧/٩٤) : الزهري ، (٢١ / ١٠٠) : سهماً واحداً ، (١/١٠٥) : هذا المذهب ، (٩/١٣٧) : بينها ، (٩/١٥٠) : « واستشهدوا » ، (٢٠/١٥٣) : أن بعضه ، (١٢/١٥٤) : ان منه فرضاً أو واجباً ، (١٥٧ في الذيل) : شيء ، (٢١/١٦٢) : وخبرتهم ، (٥/١٦٥) : شيئاً . (وفي ذيل الصفحة) : العاد (مكررة) ، (١٦٧) : رقم ١ و ٢ ، (٩/١٧٠) : الاجتهاد .

محمد بهجة البيطار

موجز أمراض الجملة العصبية

تأليف الدكتور حسني سبح
أستاذ الأمراض الباطنة وسريرياتها في كلية الطب بدمشق
وعضو المجمع العلمي العربي

الطبعة الأولى . عدد صفحاته ٤١٦ . طبع بمطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٣

إذا حق للجامعة السورية أن تفخر بما أسدته الى اللغة العربية من الخدمات الجلى من حيث جعلها لغة التدريس الوحيدة في جميع كلياتها على وفرة عددها وتنوع علومها واختلاف فروعها ومباحثها وفنونها وأعمالها . فهي لا تزال في عجز من حيث السير قدماً بمؤلفاتها مع هذه العلوم التي هي كل يوم في شأن وكل حين في تقدم . وانه ليسرني أن أشيد اليوم بجهود زميلي الدكتور حسني سبح الذي لا يألو جهداً في سد هذا النقص في مؤلفاته في الأمراض الباطنة التي تجاوز عددها خمسة عشر مجلداً ضخماً خلال سنين معدودات . وقد اطلعت أخيراً على موجزه في أمراض الجملة العصبية فألفيته يتمشى مع سير هذا العلم ورقيه كما انه يراعي مقتضيات مصلحة الطالب والمراجع من حيث الإيجاز والوضوح وسهولة التعبير وحسن العرض ووفرة الصور والرسوم والجمع بين بعض العلامات والتناذرات المتشابهة في جداول خاصة يسهل على المطالع معها التمييز بينها .

وقد بدأ المؤلف هذا الموجز بمنهاج فحص المريض وتدوين المشاهدة والبحث عن الأعراض وتعليلها ثم أخذ يدرس بالتتابع الأعراض الشخصية والمروية وأمراض العضل وأمراض الجملة العصبية المحيطة وأمراض السحايا والنخاع الشوكي وعلل المخ وأخيراً بحث في اضطرابات الجملة العصبية الإنبائية والغدد الصم . واختتم هذه الأبحاث في العلل العصبية الوظيفية والطب النفسي البدني .

والكتاب حسن الطبع . جيد الورق . يجد فيه كل طالب بغيته . وكل مراجع غايته . فنرجو للمؤلف دوام التوفيق في عمله في خدمة اللغة والعلم .

الدكتور أسعد الحكيم

أعلام العرب في العلوم والفنون

لمؤلفه عبد الصاحب الدجيلي

يقع في جزئين ، عدد صفحات الجزء الأول منه (٢٠٤) صفحات والثاني (١٨٧) صفحة من قطع الوسط ، طبعا في النجف عام ١٩٥٤

جمع المؤلف في هذين الجزئين تراجم أعلام العرب في العلوم والفنون وقد بلغ مجموع هذه التراجم (٢٣٣) ترجمة . وغاية المؤلف من عمله هي الإشادة بعلماء العرب والنابغين منهم وإظهار قدرة العرب على الإبداع الفكري وعنايتهم بالقيم الخلقية والروحية ومساهمتهم الكبيرة في بناء الحياة العلمية وفضلهم على تقدم الحضارة البشرية ، رداً منه على الشعوبيين الذين أنكروا على العرب فضائلهم وعبقريتهم ورموهم بالعقم الفكري وزعموا أن الحضارة العربية ونهضتها العلمية هي من بناء غيرهم من الشعوب الذين خضعوا لسلطانهم ، وان إقبالهم على الغزو والفتوحات يفوق إقبالهم على العلوم والفنون .

إني أكبر شعور المؤلف وأدرك نبل غايته ولكنني أعتقد أنه أخطأ الهدف بحصره أعلام العرب بهذه القلة التي يجد فيها خصوم العرب حجة يعززون بها أباطيلهم . إن ثقافة الأمة العربية هي مثل غيرها من الثقافات وحدة لا تتجزأ ، يدخل في حضيرة حملة مشعل علومها كل من كتب بقلمها وفكر بعقلها وساهم في تقدم ثقافتها مهما كان عنصره ، ولا يصح أن تدرس ثقافة أمة على هذا الأساس العنصري ، وأخشى إن سلمنا بنظرية المؤلف أن يفضح الشعوبيون عيون مخلهم فينازعوننا في هذه القلة بعض من جزم المؤلف بصحة عروبتهم ، وعلينا أن لا ننسى أنه ما زال بيننا من يقول بآشورية العراق وآرامية الشام وفينيقية لبنان وفرعونية مصر وبربرية المغرب ويحصر العنصر العربي في جزيرته

وكل ما عداها في نظره دخيل عليه . ولو ذهبت أي أمة هذا المذهب في استقصاء حسب ونسب أعلامها لما سلمت من العقم .

وحسب العرب فخراً وعظمة انهم حملوا الى العالم مشعل نور الحضارة وحببوا الى أمم المشرق والمغرب لغتهم وثقافتهم وحملوا اليها أساليب تفكيرهم وصهروا من نبغ منهم في بوتقة العروبة ، فليس من حقنا اليوم أن ننبذ من حضيرة العروبة من قبلوا مختارين الانضواء تحت لوائها .

إن هذه الملاحظة الشخصية التي أوردتها لا تنقص من قيمة هذا الكتاب ولا تقلل من فائدته فهو قيم في موضوعه مفيد في أسلوبه فنشكر للمؤلف جهده ودقة استقصائه .

جعفر الحسني

الصحافة في العراق

هي محاضرات ألقاها الأستاذ رفائيل بطي على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية الذي أنشأته جامعة الدول العربية بالقاهرة .

والأستاذ رفائيل بطي من أبرع رجال الصحافة في العراق في فن الصحافة ، ومن أحرصهم على تتبع الحركات الأدبيــة والسياسية في بلاد العرب ، ومن أعرفهم بأدباء العرب المعاصرين ، وقد رافق تطور العراق في نهضاته السياسية والاجتماعية والعلمية ، ولذلك كان أجدر الناس في الكلام على الصحافة في العراق .

وقد ألمّ الأستاذ المحاضر بالفعل إلماماً وافياً بنشأة الصحافة في العراق وتطورها ، وما كان لها من الآثار في صفحات الحياة في العراق من سياسة واجتماع وأدب ، وقد تكونت عنده فكرة منذ زمن بعيد أن تاريخ الصحافة العربيــة يصور بعض مظاهر اليقظة ودرجات النهوض للعالم العربي .

وينحصر نطاق بحث المحاضرات - كما ذكر الأستاذ في تمهيده - في نشوء الصحافة في العراق بظهور أول جريدة بمعناها الصحفي سنة ١٨٦٩ ، وفي صحافة العهد العثماني قبل انفصال العراق عن تركية ، وفي صحافة الاحتلال البريطاني ، وفي صحافة الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، وأخيراً في استعراض حال الصحافة منذ تأسيس مملكة العراق الحديثة سنة ١٩٢١ ولا سيما صحف الأحزاب السياسية .

ولم يغفل الأستاذ المحاضر تنوع الصحف الأدبية والعلمية في العراق ، وغيرها من المجلات المختصة بالعلوم والفنون ، وأساليب الكتابة الصحفية ومشاركة المرأة ، كما انه خص حرية الصحافة العراقية ببحث وافٍ ممتع .

ويشهد مطالع هذا الكتاب بأن مصنفه كاتب واقعي منصف يذكر لكل صحافي عراقي يبحث عنه ما له من حسنات وفضل ، وما له من هفوات سياسية بأدب لسان ، وحسن بيان .

ويظهر أن الذين أشرفوا على طبع هذه المحاضرات لم يعنوا بمعارضة خبراتها (بروفاتها) معارضة صحيحة ، فوقع في الكتاب هفوات مطبعية منها (ص ١٨) : « وعهدت بتحريرها الى موظفون » ، وفي (ص ٥٨) : « وهم يتدابرون الخطط للثورة » ، وفي (ص ٦٧) : « أهكذا يكون جزاء الذين رفوا مقعد حكمك » والصواب رفعوا ، وفي (ص ٧٩) : « ولقد ارتأى الزعماء المحترمين الناهضين لنهطير بلادهم » ، وفي (ص ٩٩) : « تسابق هؤلاء الجيران المكتشفون بالعراق » وفي (ص ١٠٠) : « إصداره جريدة باسم (العهد) وهو الاسم التاريخ المحبب » والصواب (التاريخي) ، وفي (ص ١١٨) : « وصوتها الداوي صداها » والصواب (المدوّي) ، وفي (ص ١٣٣) : على حد القول المأثور (اللهم تفتح اللهاة) ، وصواب القول ما ذكره الزمخشري في أساس البلاغة قال : (ومن المجاز « اللُّهى تفتح اللَّهى » أي العطايا) ، وأصل اللُّهوة مقدار ما يطرح في فم الرحى وتجمع على لُهى ، قال عمرو بن كلثوم يصف رحى الحرب :

بكون ثقالها شرقيّ نجد ولموتها قضاعة أجمعينا

أما (اللّهى) بفتح اللام فجمع لَهاة المعترضة في الحلق ، ومعنى هذا القول المأثور : الإحسان ينطق اللسان ؛ ومن هفوات اللغة (ص ٩٦) : « أوقفها على مناقشة المعاهدة » ، و (ص ١٣١) : «أشغل حيزاً بارزاً» والصواب : وقفها وشغل حيزاً بدون تعدية ، ومن هذه الهفوات المطبعية (ص ١٣٢) : « ومقالاتها وشذارتها » والصواب (وشذراتها) ، وفي الصفحة نفسها : « وإذا عطف ذمام الحديث » والصواب (زمام) كما لا يخفى .

لقد سدّ الأستاذ رفائيل بمحاضراته النفيسة هذه فراغاً هو أجدر الناس بسدّه ، وقد عرفناه في العراق مثال الأديب العراقي الناهض ، والصحافي المنصف البارع ، فهو أولى الناس بتحديث أبناء قومه العرب بما في العراق الشقيق من نهضة صحافية وعلم وأدب .

اللسان الحديث

للأستاذ يوسف سعادة — منشورات الحكمة

الأستاذ يوسف سعادة من أساتذة العربية بلبنان ، وقد ذكر في مقدمة كتابه هذا أنه كان يشعر ، وهو تلميذ ، بصعوبة قواعد العربية ، ويتمنى أن يعالج المعلمون موضوع تيسير تعليمها ، ثم أصبح التلميذ معلماً ، فحاول تعديل الصعب من هذه القواعد في كتابه هذا الذي أسماه (اللسان الحديث) ؛ على اني أرى أن مردّ هذه الصعوبة يرجع الى عاملين : أحدهما سيطرة العامية على الفصحى بغلبة الأميين في بلاد العرب ، والثاني ضعف أساليب التعليم ، بضعف المعلم والمفتش ، فالمعلم البارع هو الذي يحبّب طلابه بدرس العربية ، والمفتش البارع هو الذي يحسن النقد والتوجيه ، وقد حرمت المدارس منهما إلا قليلاً .

وطريقة التأليف التي اتبعها أن يذكر القواعد والشواهد على مذهب الجمهور ، ثم يذكر التعديل في آخر البحث ، فمن القواعد التي عدلها :

تعديل حركة عين المضارع الثلاثي ، وحركة همزة الأمر ، وتعديل فاء السببية ، والفاعل ، و (ما) المشبهة بليس ، وخبر أفعال المقاربة المقرون بأن جوازاً ووجوباً ، وتعديل (إن) وأخواتها ، وضمير الشأن ، ولا سيما وخلا وعدا وحاشا ، واسمي المكان والزمان ، وتعديل الأعداد ، والاسم الممنوع من الصرف ، واسم المفعول المتحول عن صيغته ، وأفعال المدح والذم !

إن تعديل قواعد العربية نحوها وصرفها من خصائص المجامع العلمية ، ولا يتم لها ذلك إلا بمؤازرة وزارات المعارف العربية مؤازرة صادقة ، وإلا كانت هذه التعديلات مجرد اقتراحات نظرية ، كما حدث في مؤتمر بيت مري سنة ١٩٤٧ فانه لم يعمل بشيء من إصلاحاته .

واذا كانت الجماعات قد يخفى عليها الصواب ، فما قولك بالفرد الذي لا يجد من يناقشه ليأمن العثار ، أذكر مثالاً لذلك ما وقع في هذا الكتاب قوله : (ص١٥) :

« حركة عين المضارع الثلاثي الضمة : يعظُم ، ينظُر ، يشرُب » ثم نقض هذه القاعدة (ص ١٨) في حركة همزة الأمر بقوله : « تكون مضمومة إذا كانت عين المضارع الثلاثي مضمومة : أُنصُر من ينصُر » وعلى هذه القاعدة كان يجب أن يقول (أُشرُب من يشرُب) ، فقد ضم الراء من مضارعها (ص١٥) .

ويقول في تعديل (ما المشبهة بليس) ص ١١١ ما نصه : « إن ما المشبهة بليس تكون مهملة ، ويقال لها التميمية : ما أخوك جبان » . وترك ما الحجازية وهي الفصحى لغة مضر .

وأذكر من أمثلة التحقيق في التعديل قوله (١١٣) ما نصه : « تدخل (أن) وجوباً على خبر أفعال القرب والرجاء : كاد الفجر أن يطلع ... »

والقرآن يقول : « يكاد البرق يخطف أبصارهم » ولم يدخل أن ـ وجوباً ـ على خبر كاد ، ويقول ابن مالك :

وكونه بدون (أن) بعد عسى   نزر و (كاد) الأمر فيه عكسا

أي ان اقتران خبر (عسى) بأن كثير وتجريده من أن قليل بعكس (كاد) . فيكون الكثير في خبرها أن يتجرّد من (أن) ويقل اقترانه بها ، وجاء في القرآن أيضاً : « من بعد ما كاد يزيغ فريق منهم » ، ولعلّ المؤلف أوجب دخول (أن) للاصلاح والتعديل !

وفي تعديل الأعداد (ص ٢٥٩) يجعل حكمها أن تطابق معدودها في التذكير والتأنيث تقول : كاتب واحد وكاتبتان اثنتان ، وثلاث كتب ، وأربعة مجلات ، وخمسة عشرة ريشة ، وستة وعشرون مسطرة ، وثلاث وثلاثون قلماً . » ، ومثل هذه التعديلات يجنح اليها أيضاً من يرون من تسهيل العربية أن تكتب بالحروف اللاتينية ، ولو فصموا عرى الوحدة القومية بين العرب .

ومن أغلاط الطبع التي لم تذكر في جدولها اعرابه في (ص ٢٥٨) : « طالت الأربعة والعشرين فصلاً » : الأربعة مفعول به ، والعشرين معطوف بالواو على (الأربعة) تبعه في الرفع ، وعلامة رفعه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، والنون عوض عن الحركة والتنوين في الاسم المفرد ، (فصلا) تمييز ، فتأمل !

وكثيراً ما يستشهد المؤلف بنصوص من القرآن مشوهة كقوله (ص ٣٢٢) : « فأوصينا اليه أن اصنع الفلك ... » ، وفي (ص ٣٢٥) استشهد بآية « هديناه السبيل إمّا شاكراً وإما كافرا » ، والتلاوة في الآية الأولى : فأوحينا ... ، وفي الثانية : واما كفورا . وهو الى تبديل النصوص القرآنية أقرب منه الى الأخطاء المطبعية ، وكأن هذا التبديل من ذلك التعديل !

التنوخي

كنوز الذهب في تاريخ حلب

تأليف سبط ابن العجمي

الجزء الثاني — ١٩٥ صفحة — دمشق ١٩٥٠

Les Trésors d'or , de sibt ibn Al - ᶜAjami
Tome II , 195 pages , Damas 1950 (I F D.)

عني الأستاذ المستشرق الفرنسي جان سوفاجه بمدينة حلب عناية كبيرة خلال سنين طويلة قضاها في البحث عن عمرانها وتطورها من حيث البناء ، وما تحويه من آثار وكتابات ونقوش . ونشر في سبيل ذلك عدداً من الدراسات لا تخفى على الباحثين في تاريخ المدن . وقد قام بترجمة ابن الشحنة الى اللغة الفرنسية ، فكان الجزء الأول لما سماه : « المواد الأولية لتأريخ مدينة حلب » .

وهذا هو الجزء الثاني ، ترجم فيه كتاب « كنوز الذهب في تاريخ حلب » لسبط ابن العجمي ، معتمداً على نسخة خطية قديمة لما تنشر بعد . ومؤلف الكنوز هو أبو ذر أحمد بن ابراهيم بن محمد بن خليل ؛ الشيخ موفق الدين الشهير بسبط ابن العجمي ؛ ولد في حلب سنة ٨١٨ هـ ، ودرس فيها ، وألف عدداً من الكتب في شرح الجامع الصحيح للبخاري ، والاسطرلاب ، وفضائل الشيخين ، وهذا الكتاب .

وكنوز الذهب مصدر هام لتاريخ العمران في حلب خلال القرون الوسطى ، صوّر فيه تطور البناء وما طرأ عليه من تبدل وتغيير ، وما حلّ به من نكبة خلال هجمات تيمورلنك ، وفي الكتاب قائمة بالأبنية العامرة ، وثبت بالمساجد والجوامع والحمامات والخانات ، جمله على غرار « الأعلاق الخطيرة » لابن شداد ، وأكمل ما جاء فيه ، وأورد سيراً وحكايات تتعلق بتاريخ هذه المدينة . ولكن المستشرق الفرنسي حذف ما يخص الأدب والحكاية ، وأشار إلى ما حذف

في اختصار ، كأنه يريد أن يصرف اهتمام الباحث العربي إلى الناحية العمرانية في الكتاب فحسب .

وهذا المستشرق كان على علم بموضوعه واقفاً على ما جاء فيه ، لهذا جاءت ترجمته دقيقة ، وتعليقاته صحيحة ، وقد ذيل هذا الجزء - كما ذيّل الجزء الخاص بابن الشحنة قبله - بترجمة الألفاظ الفنية في العمران مثل بادهنج وبوب وحوش ، وغيرها من كلمات ما تزال على ألسنة الحلبيين الى اليوم مع شيء من التحريف أو الإمالة .

وقد طبع المعهد الفرنسي بدمشق هذه الترجمة بعد موت الأستاذ المستشرق ، ووقف همّه على إخراجه صورة شبيهة بالجزء الأول ، على ما بين صدور الجزءين من زمن ، فجاء خلواً من التعليقات المطولة إلاّ ما جاء في كتابي الشيخ راغب الطباخ والشيخ كامل الغزي ، فقد جعلها المترجم أساساً يرجع إليه في تحقيق بعض الأعلام والاشارة الى بعض الحوادث . وما يزال الكتاب في انتظار محقق باحث يشرف على إخراج المخطوطة إلى ميدان النشر العلمي محلاّةً بالتعليقات والتنبيهات والاشارات على ما جاء فيه من حكايات وقصص لا تقف للبحث العلمي ولا تثبت للنقد التاريخي . وقد جمع المؤلف في القرن التاسع الهجري كلّ ما وقع له من تاريخ حلب عن المدارس وشيوخها ومحدثيها وفقهائها على اختلاف مذاهبهم من حنفية وشافعية ومالكية وحنابلة ، وما كانوا يقرءون من كتب وما يتداولون من مراجع ومظان في الفقه والحديث الشريف . وما نظن أن المستشرق سوفاجه ممن يعنون بهذا أو يجوّدون فيه ، فذلك بجهد الناشرين من علمائنا أجدر وهم به أحق . ولسنا بهذا نقلّل من أهمية هذه الترجمة الدقيقة فقد جعلها صاحبها لرجال الهندسة المعارية والتاريخ العمراني ، فأصاب كبد الموضوع واستحق جهده التنويه والذكر .

ديوان أبي الأسود الدؤلي

تحقيق الأستاذ عبد الكريم الدجيلي

٢٨٥ صفحة — طبع ببغداد سنة ١٩٥٤

يقول الجاحظ في أبي الأسود الدؤلي : « أبو الأسود معدود في طبقات من الناس ، وهو في كلها مقدم مأثور عنه الفضل في جميعها . كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة ، والنحويين والحاضرين الجواب والشيعة والبخلاء ... » وناشر الديوان قد تمشى مع قول الجاحظ ، فأفرد لكل صفة فصلاً خاصاً بها ، فجعل مقدمته في ثلاثة عشر فصلاً ، حلل في كل منها ما كان عليه أبو الأسود الدؤلي من وقوف على الفقه والحديث والنحو ومن ميل الى التشيع والبخل والدهاء والشعر ، حتى تجاوزت هذه المقدمة مئة صفحة ، فكانت دراسة في نواحي الرجل لا تمهيداً للديوان فحسب . وعنده في ذلك أن المعاصرين لم يخصوا هذا العالم بكتاب ، ولم يفردوا له بحثاً مطولاً ، فهو أول بحث في العربية لأيامنا هذه .

وقد كان في الظن أن يتناول حياة الرجل كلها جملة وتفصيلاً ، ثم يعكف على أدبه وشعره وشخصيته وأثر ذلك في الديوان . ولكنه فعل كما يفعل كثير من الناشرين ، إذ تطرق الى النواحي كلها وقسمها مشايعة للجاحظ فألزم نفسه بذلك إلزاماً خرج به في بعض الفصول عن ميدان التوفيق .

وهو حين بلغ إلى شاعرية الرجل أورد رأي المستشرق الألماني نولدكه حيث يقول فيه : « وبصورة عامة فان شعره ضعيف من ناحية المعنى ومن ناحية القيمة الشعرية ، وفي قليل من المواضع يرتفع شعره أو يكون اعتيادياً على الأقل » . ثم قال الأستاذ الدجيلي يدلي برأيه : « أما ونحن قد حكمنا على

شعر أبي الأسود فلم نجد له مكاناً بين الشعراء الخالدين والأفذاذ الموهوبين الذين لا يأتون إلاّ على رأس قرن أو قرنين» . ثم يقول : «فهو في الواقع ناظم لا شاعر» .

وهذا حكم جيّد يطلقه السيد عبد الكريم الدجيلي أستاذ الأدب العربي بدار المعلمين ببغداد ، فكأنه يريد أن يقول إنه عُني بالديوان عناية فائقة لا لأن الرجل شاعر كبير ، بل لأن لهذا العالِم جانباً كان مغفلاً مطوياً فوضحه ونشره في الأدباء . وقد فعل ذلك بهمة لا تعرف الكلال ، على اعتقاده بضعف الشاعرية عند أبي الأسود ، ولعلّه حقق الديوان عوناً للتاريخ الأدبي أو تاريخ النحو ، ليبسط أمر الرجل ويشارك في تعريفه .

وقد ظهر أثر هذا الجهد في هذه المظان الكثيرة التي تقع عليها في كل صحيفة من الديوان سواء في المقدمة أم في حواشي المقطعات والقصائد . وعمد إلى ثلاث مخطوطات أولاها نسخة ليبتسك وثانيتها نسخة الأب أنستاس الكرملي وثالثتها نسخة الشيخ محمد السماوي . وأقدم هذه النسخ هي الأولى ولكنها لا ترقى في خطها إلى أبعد من ثلاثة قرون ، وهذه النسخة نفسها حصل عليها منقولة بقلم الدكتور سليم النعيمي . وقد نشر صوراً شمسية عن هذه النسخ الثلاث وبسط أمرها ، وحكى قصة حصوله عليها ، ثم نشر الديوان وعلّق عليه تعليقات مطولة ضافية ، فلما انتهى من المخطوطة جعل بعدها ذيلاً للديوان نشر فيه كلّ ما وقع عليه في كتب الأدب والتاريخ من شعر أبي الأسود الدؤلي ، فاستقصى بذلك استقصاء يحمد عليه ، ويستحق له الأجر والثواب .

وأضاف إلى الديوان وذيله شروحاً لغوية موسّعة ، وأتبع ذلك بفهرس للأعلام ، فاستوفى حق النشر العلمي ، واضطلع بتحقيق الديوان في أمانة ودقة . وإذا كنا نأخذ عليه في الذيل إعادة الشعر الذي جاء في صلب الديوان

والإفاضة في سرد الفوائد التاريخية فاننا نرى أن الناشر خاف أن تفوته الشوارد فاصطادها ليظهرنا على جهده وعنايته وهما ظاهران .

وقرّاء الأدب يملكون الآن ديوان عالم نحويّ لغويّ يستطيعون أن يرجعوا اليه ليروا كيف كان شعر العلماء في النصف الثاني من القرن الأول الهجري بالعراق ، ويستطيعون أن يقرءوا الشعر وأن يحللوه وأن يظهرونا على هذه الألوان والصيغ التي نظم بها أبو الأسود ديوانه إذا صحّت نسبته كلّه اليه . والناشر الكريم لم يعرض لصحة الشعر ودقة نسبته إلى هذا العالم بالمناقشة العلمية ، ولم يوغل في نقد الشعر وبيانه وموازنته بالعصر الذي قيل فيه ، والمفاضلة بينه وبين شعر العلماء والأدباء لذلك العصر في العراق ، ولو فعل لكان جهده كاملاً ، ولكن الكمال لله وحده .

الدكتور سامي الدهان

بلدان الخلافة الشرقية

تأليف : لسترانج

وتعريب : بشير فرنسيس و كوركيس عواد

في ٥٨٨ صفحة — بمطبعة الرابطة ببغداد سنة ١٩٥٤

البروفسور غي لسترانج مستشرق انكليزي معروف ، مات في سنة ١٩٢٣ عن عمر ناهز الثمانين سنة ، قضى أكثره في خدمة علوم الاستشراق والدراسات الاسلامية ، والخطط والبلدانيات العربية ، وألف عدة كتب في التاريخ الاسلامي وجغرافيته ، وكتب دراسات متعددة في فن الخطط العربيـة وعلم البلدانيات ومن أجل آثاره هذه :

فلسطين في عهد المسلمين .

بغداد في عهد الخلافة العباسية .

بلدان الخلافة الشرقية .

كما نقل بعض كتب الجغرافية العربية والفارسية الى لغته الانكليزية مثل :

الجزء الخاص بفلسطين من كتاب « أحسن التقاسيم » للعلامة المقدسي -

والجزء الخاص باقليم فارس من كتاب « فارسنامه » لابن البلخي . وله ، غير هذا ، ترجمات وبحوث أخرى تتعلق بالآداب العربية والفارسية ، وهي كلها تدل على علو كعبه في الاستشراق بصورة عامة ، وفي علم البلدانيات والجغرافية بصورة خاصة .

★ ★

أما المعربان فهما الأستاذان الفاضلان بشير فرنسيس أحد أفاضل علماء العراق المحدثين ورجاله المنكبين على الدراسة والبحث والترجمة ، وهو الذي ترجم في سنة ١٩٣٦ كتاب « بغداد في عهد الخلافة العباسية » للبروفسور غي لسترانج ، وكوركيس عواد ، الباحث المنقب ، والمؤلف العراقي المعروف بدقته في بحوثه ، وحسن استيعابه ، وأمانته في ترجماته .

★ ★

والكتاب الذي ترجماه هو من عيون ما كتبه العلماء المستشرقون مما يتعلق بتاريخنا العربي وجغرافيته ، وقد قرأت الترجمة فأعجبني أسلوبها المشرق ، ودقتها الصادقة البارعة ، وقد تجلى لي مقدار العناء الذي عاناه المترجمان الفاضلان برجوعهما الى الأصول العربية التي رجع المصنف اليها ، فوجدت أن عملهما جدير بكل ثناء ، ولا يسعني بهذه المناسبة إلا أن أطلب اليهما أن يعملا على ترجمة كتاب (فلسطين في عهد المسلمين) للمصنف لسترانج فان هذا الكتاب متمم لأخويه ، وحاجة الخزانة العربية اليه هي حاجة ملحة ، فان ما بقي من تراث علمائنا القدماء في فن البلدانيات والجغرافية الاسلامية هو شيء يسير وناقص فيجب أن نتممه بتعريب ما ألفه المستشرقون في هذا الباب .

إن فن البلدانيات والخطط الاسلامية ، هو فن جليل الخطر كثير الأهمية ، وكتب أسلافنا القدماء رحمهم الله في هذا الفن – على وفرتها – قد ضاع كثير منها ، والذي لم يَضِعْ محتاج الى النشر ، والذي نشر محتاج الى تمحيص ونخل وتبويب وترتيب .

وما أعلم أن أحداً من علمائنا المتأخرين انصرف الى دراسة هذا الفن دراسة جدية وافية ، مثل الدراسة التي انصرف اليهـا العلامة الانكليزي المستشرق لسترانج ، ولكن الرجل لم يستطع أن يوفي هذا البحث ما يستحقه من العناية والتوسع ، كما انه لم يستطع أن يؤلف فيه كل ما يجب أن يؤلف ، فقد ذكر

في مقدمة كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) : « حاولت في هذه الصفحات أن أجمع في مجلد معتدل الحجم ما تفرق من أخبار في مؤلفات جغرافيي القرون الوسطى ، العرب والفرس والترك من وصف بلاد العراق والجزيرة وفارس والأصقاع الدانية من آسية الوسطى ، وما نقلت عنه من مراجع يبدأ بمصنفات المسلمين الأقدمين وينتهي بالمؤلفين الذين وصفوا استيطان هذه البلدان فيما بعد وفاة تيمورلنك ـ أي بعد الفتوحات الكبرى في آسية الوسطى ـ ففي وسعنا القول ان بالقرن الخامس عشر للميلاد ختمت العصور الوسطى في آسية . وما الكتاب الذي أضعه بين أيدي القراء إلا تكملة لكتاب (بغداد في عهد الخلافة العباسية) المطبوع سنة ١٩٠٠ وصلة للبحث الجغرافي الذي بدأته بكتاب (فلسطين في عهد المسلمين) المطبوع سنة ١٨٩٠ ولكي أحافظ على اعتدال حجم الكتاب ضربت صفحاً عن جغرافية جزيرة العرب ووصف المدينتين المقدستين ، مكة والمدينة ، مع أن معظم هذه البلاد كان تابعاً لدولة بني العباس . وقد يتناول هذا الموضوع من هو أدرى به مني من الباحثين فيكتب الجغرافية التاريخيـة لجزيرة العرب ومصر الفاطمية في الجانب الثاني من البحر الأحمر ، ويصف أقاليم شمالي افريقية المختلفة وبلدان الخلافة الغربية في الأندلس البعيدة التي ازدهرت على قصر عمرها فحينذاك يتكامل علمنا بالبلاد الإسلامية .

وإن أردنا أن يكون التاريخ الاسلامي ممتعاً مفيداً ، وأن يفهم على حقيقته فهماً صحيحاً ، وجب علينا أن نبحث في الجغرافية التاريخية للشرق الأدنى خلال العصور الوسطى بحثاًمستفيضاً شاملاً . وهأنذا قد بذلت أول جهد في هذا السبيل[1] » .

ثم يصرح الأستاذ بتواضع العالم النبيل ، عن أن عمله هذا ليس كاملاً وإن هو إلا باكورة قد مهدت الطريق لمن يريد أن يتناول الموضوع من بعده ، وإن ما ذكره في الحواشي من المراجع والملاحظات والتقويمات وإصلاح أخطاء

(١) انظر الترجمة ص ٩ — ١٠ .

بعض القدماء من العلماء ، يجب أن يحفز من همم العلماء لإتمام هذا البحث من بعده ويقول : « فكان ما جئت به باكورة التأليف في وصف أقاليم الخلافة العباسية وصفاً كاملاً خلال هذه الحقبة . وما كتابي إلا مجمل ولست أدعي أنه وعى كل شاردة وواردة فقد اضطررت للمحافظة على الحجم الذي أردته له ، إلى تحاشي ترجمة نصوص الرحلات المنتهية الينا من مؤلفي الإسلام ترجمة كاملة » .

فهو كما ترى قد ألف في بعض النواحي وترك نواحي أخرى هي جزيرة العرب وديار مصر ، والشام ، وشمالي افريقية ، وديار الأندلس ، فهذه موضوعات تنتظر الباحث ليكتب فيها ـ شرقياً كان أو غربياً ـ ولكن أحداً من علمائنا ـ فيما أعلم ـ لم يهتم بهذه النواحي ولم يعمل على تكميل النقص وسد الفراغ الذي خلفه هذا المستشرق الفاضل .



وبعد فلا يسعني في ختام هذه الكلمة ، التي أردت بها أن أقرظ تعريب الأستاذين الفاضلين ، وأبين الجهد العظيم الذي بذلاه في صدق التعريب وأمانة النقل ، إلا أن ألاحظ بعض الملاحظة على هفوات قلمية أو سقطات مطبعية أو غلطات كان يجدر بهما الانتباه اليها ، ولكن ما أعرفه عنهما ـ رعاهما الله ـ من التخلق بأخلاق أفاضل العلماء ، يدفعني الى أن أبين لهما ذلك فأقول :

١ — جاء في ص ١٠ س ١٦ : (على تجارات وصناعات الشرق الاسلامي) والصواب (على تجارات الشرق الإسلامي وصناعاته) .

٢ — جاء في ص ١٦ س ١٣ : (ما بين النهرين الى اقليمين : الأسفل والأعلى) والصواب (أسفل وأعلى) .

٣ — جاء في هامش ص ٢٣ س ٦ : (ولا شك ان نظام الطرق) والصواب (ولا شك في أن) .

٤ — جاء في ص ٣٤ س ١٥ : (ولا ريب انه) والصواب (في أنه) .

٥ — جاء في ص ٣٥ س ١٠ : (كقرية الآس ، وقرية الجمل ....و اشتران) والصواب (كقرية الآس وقرية الجمال) ـ بالجمع ـ لأن اشتران بالفارسية جمع اشتر ولأن الجمل بالفارسية هو (أشتر) و (شتر) والجمع (اشتران) و (شتران) .

٦ — جاء في ص ٤٤ س ١٣ : (وقد عاصر النبي محمد) والصواب (محمداً) لأنه مفعول به .

٧ — جاء في ص ٧٨ س ٣ : (فأنشأ هناك البساتين والأجنة) والصواب (والجنائن أو الجنات أو الجنان) لأن (الأجنة) جمع جنين وأما جمع (جنة) فهو جنات وجنان وجنائن ، راجع القاموس وشرحه والتاج والصحاح .

٨ — جاء في ص ١٢١ س ٧ : (نهر داقوق) و (مدينة داقوق) والصواب (نهر دقوق) بدون ألف ، أو (نهر دقوقاء) ممدودة أما داقوق فهذه تسمية عامية .

٩ — جاء في ص ١٢٥ س ٤ : (راس العين) والأفصح بل الأصح أن يقال (رأس عين) بدون تعريف المضاف اليه كما ذكر ذلك ياقوت في بلدانه .

١٠ — جاء في ص ١٣٣ س ٤ : (بين الرقة والرافقة) ولم يذكر المصنف ولا المعربان شيئاً عن الرافقة بعد القرن الخامس فقد ظلت الرافقة حتى ما بعد القرن الخامس ، وقد اتخذها المرداسيون عاصمة لهم قبل استقلالهم بحلب ولها ذكر كثير في ديوان الشاعر أبي الفتح بن أبي حصينة شاعرهم . راجع ما قلناه عن الرافقة في ديوان ابن أبي حصينة الذي نحققه الآن .

١١ — جاء في ص ٤٧٩ س ٥ : (هو النهر المعروف اليوم بسرخاب) والأفضل كتابتها منفصلة (بسرخ آب) . وكذلك ما ورد في ص ٤٨١ س ٥ : (وخشاب) .

الدكتور محمد أسعد طلس

آراء وأنباء



وفاة الأستاذ محمد البزم

فقد المجمع العلمي العربي بوفاة الأستاذ محمد البزم عضواً عاملاً مشهوداً له بالشعر وسعة العلم باللغة والنحو وفنون الأدب العربي .

عرف الفقيد في شبابه شاعراً يطبع على غرار الفحول من شعراء العرب

ويحقق في اللغة ، ثم لما درّس العربية في المدارس الثانوية بدمشق ظهر فضله وتضلعه في النحو وفنون الأدب ، واستفاد منه تلاميذه الكثيرون مدة طويلة تزيد على عشرين سنة . وظل يفيد منه الطلاب حتى حال المرض بينه وبين الدرس منذ بضع سنين .

كان شاعراً فصيحاً طويل النفس نظم في أغراض متعددة أهمها قصائده القومية ، وقد يلتزم في شعره ما لا يلزم جرياً على طريقة أبي العلاء المعري في اللزوميات . وله شعر في معان طريفة منها قصيدة في الشطرنج وأخرى في الشتاء .

وكان واسع المعرفة في اللغة حسن التحقيق صحيح الذوق تستهويه الجزالة وتعجبه الرصانة ، وهو واسع الرواية كثير المحفوظ من الشعر والنثر والحكم والأمثال والأجوبة المسكتة وأخبار العرب وشعرائهم وخطبائهم وفصحائهم ، فإذا تحدث في هذا الشأن أسهب وأطال وأتى بالمفيد الممتع . ولقد حبب إليه النحو فتعمق في درسه واطلع على مذاهبه وكان له رأي في نصرة بعض المذاهب وترجيح بعض الأقوال كما كان له رأي خاص في طريقة تدريسه .

انتخبه المجمع عضواً عاملاً سنة ١٩٤٢ وعهد إليه في بعض الشؤون اللغوية كالنظر في بعض المعاجم والمصطلحات التي عرضت على المجمع ، كما كلفه إلقاء قصيدة في المهرجان الذي أقامه للذكرى الألفية لأبي العلاء المعري سنة ١٩٤٤ .

ولقد ألحت عليه الأمراض منذ أكثر من ثلاث سنوات فانقطع عن العمل وأقام في المستشفى العسكري بالمزة حتى وافاه الأجل صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من ايلول سنة ١٩٥٥ وهو في عشر السبعين من عمره . رحمه الله رحمة واسعة وأحسن عزاء العربية وآدابها .

رأي في منع الصرف

اخواني الأفاضل

كانت كلمتي اللغوية في الجلسة الماضية أكثر فائدة من كلمتي التي ستكون في هذه الجلسة : من حيث أن الكلمة الأولى تضمنت تقرير قاعدة جديدة في اللغة يخرّج عليها طائفة من شواذ الكلمات القديمة وما ضرب على غرارها من الكلمات الحديثة وقد عنونت هذه القاعدة بعنوان (توهم اصالة الحرف الزائد) الى آخر ما قلت يومئذ . أما كلمتي في هذه الجلسة فموضوعها خلاف كان جرى[1] بيني وبين الأستاذ فارس الخوري في كيفية إعراب الكلمة غير الممنوعة من الصرف إذا منعت في الشعر من الصرف .

لا يخفى عليكم أيها السادة أن الاسم الممنوع من الصرف قد يصرف لضرورة الشعر وهذا مسلّم لا خلاف فيه . وكذا العكس أي أن الاسم المنصرف كزيد مثلاً يمنع من الصرف أيضاً لضرورة الشعر ولا خلاف في منعه بين النحاة وإنما الخلاف في كيف يكون منعه ؟

أشهر أحكام منع الصرف عدم دخول الجر وعدم التنوين ، فالاسم المنصرف اذا منعناه من الصرف للضرورة الشعرية وكان مجروراً : هل نجنّبه الجر والتنوين معاً أو نجنبه التنوين وحده ؟ يعني هل نقول لضرورة الشعر مثلاً (مررت بزيدِ) مكتفين بحذف التنوين أو نقول (مررت بزيدَ) أي بحذف التنوين وجعل الكسرة فتحة ؟ قلت انا نقول (مررت بزيدِ) وقال الأستاذ فارس بل نقول مررت بزيدَ .

(١) كان ذلك في احدى جلسات المجمع العلمي .

واحتدم النزاع بيننا في بعض مجالسنا الليلية ولم يكن بين أيدينا شيء من كتب المراجع في ذلك الحين ثم ما عتم أن غادر الأستاذ دمشق الى أميركا لمهمته السياسية المشهورة وغادرت أنا مجلس المناظرة الى غيابة الذهول والنسيان ·

ثم عادت اليَّ ذكرى هذا الخلاف ببيت (اليثربية) وهو قولها :

(أطعمتم أتاويَّ من غيركم فلا من مراد ولا مَذْحِجِ)

فقولها من (مراد) بفتح الدال أو كسرها ؟ ناظر الى ما قلنا · ولنمثّل له بالشواهد التي ذكرها النحاة ، من ذلك بيتان من الشعر نَحَلُوهما جدَّنا الأكبر آدم عليه السلام وهما :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبرٌّ قبيح
تغير كل ذي طعم وريح وقلَّ بشاشةَ الوجهُ المليح

واعربوا (بشاشة) تمييزاً وهو مصروف لكنهم منعوه من الصرف بحذف تنوينه للضرورة ، غير أنه لما كان منصوباً أبقوا الفتحة عليه · وهذا البيت لا يصلح أن يكون شاهداً لتصوير الخلاف الذي بيني وبين الأستاذ · أما ما يصلح أن يكون شاهداً من الشعر القديم الفصيح فهو قول ابن قيس الرقيّات :

كيف نومي على الفراش ولما تشمَلِ الشام غارة شعواءُ
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدامَ العقيلةُ العذراءُ

وقد أراد الشاعر بالشام بلاد الشام كلها أو ما سماه فتيان الشاغوري الطراز الأخضر مذ قال في مدح السلطان صلاح الدين :

خلعت عليــه خلعة الملك التي زيدت بهاءً بالطراز الأخضر

والخِدام بكسر الخاء جمع خَدَمة بالتحريك وهو الخلخال ويجمع أيضاً على خَدَم · ومن المجاز اطلاق الخَدَمة على الساقِ نفسها تسميةً للمحل باسم الحال ،

ومنه حديث سلمان الفارسي « إنه كان على حمار وعليه سراويل وخدمتاه تذبذبان » أي ساقاه . وإلا فان سلمان الفارسي ما كان يلبس الخلاخيل . أما قول ابن قيس الرقيات (وتبدي عن خدامٍ) فيحتمل الأمرين أي أن يكون أراد بالخدام أن العقيلة تكشفت عند ذهول الغارة عن خلخاليها أو عن ساقيها .

وكان من خبر هذين البيتين أن قائلها ابن قيس الرقيات الذي لقبه كثيرون بشاعر قريش في الإسلام كان من شيعة عبد الله بن الزبير وحارب مع مصعب فلما قتل مصعب هرب وتوارى ثم أمّنه عبد الملك بن مروان فلما مثل بين يديه قال لمن في مجلسه أتعرفون هذا ? قالوا لا ، قال هو الذي يقول : كيف نومي على الفراش البيتين ، فقالوا يا أمير المؤمنين (اسقِنا دمَ هذا المنافق) فقال : لا قد أمنته .

فقول ابن قيس الرقيات (وتبدى عن خدام العقيلة العذراء) أقرؤه أنا (عن خدامٍ) بكسر الميم مانعاً صرف خدام ومقتصراً في هذا المنع على عدم تنوينه والإبقاء على الكسرة ، أما الأستاذ فارس بك فيقرؤه (عن خدامَ) بحذف تنوينه وبنصب الميم أيضاً . واحتجّ بأنه في ذلك يتحقق معنى منع صرفه إذ أن ملاك منع الصرف عدم التنوين وعدم الجر معاً وقال إن هذا هو المقرر في كتب القواعد النحوية التي درسها في حداثته ، وقلت رادّاً عليه : إني لا أذكر نصّ ما تعلمته في الحداثة ولكني أعلم أن الضرورة تقدر بقدرها . فإذا حذفنا وقلنا (عن خدامٍ) استقام وزن الشعر فلم يبق ثمّ حاجة لنصب (خدام) وجعل كسرتها فتحة ويبقى الجمال اللفظي الذي تشعر به نفسنا عند التلفظ بالكلمة المجرورة بحرف الجر . فكم يكون الفرق عظيماً في ذوق النفس بين قولنا (عن خدامٍ) بالجر وقولنا (عن خدامَ) بالنصب .

ومن حسن المصادفة أيها السادة أني تصفحت أخيراً دفتراً أودعته دراسات لغوية ونحوية استخرجتها من كتاب (عبث الوليد) لشيخنا شيخ المعرة فوقع نظري فيه على قول البحتري في القصيدة التي مطلعها :

أفي كل دارٍ منك عين ترقرق   وقلب على طول التذكر يخفق

واذا هو يقول فيهـا :

وقفت وأوقفت الجوى موقف الهوى   ليالي عُودُ الدهر فينانُ مورق

فقال أبو العلاء ما خلاصته فينان من الفنن فهو فيعال لا فعلان والواجب صرفه وتنوينه فيقال (عود الدهر فينانٌ) لا فينان فهو مصروف لكنـه منع للضرورة ثم قال (وترك تنوين الاسم المنصرف ضرورة كثرت في أشعارهم) وأتى بشيء من تلك الأشعار ثم قال ما نصه :

والمتأخرون من البصريين اذا حذفوا التنوين (من الاسم المنصرف) وكان الاسم مخفوضاً تركوا الكسر على حاله (أي كما قلت أنا في قول ابن قيس الرقيات) أما الكوفيون فيفتحونه تشبيهاً لما ينصرف بما لا ينصرف كما شبهوا ما امتنع من الصرف بالمصروف. انتهى قول المعري . فيكون قول الأستاذ الخوري (وتبدى عن خدامَ) بفتح الميم هو قول الكوفيين . وقولي (وتبدى عن خدامِ) بالكسر هو قول البصريين فالمسألة فيها قولان ككل مسألةٍ في العالم . ويكون شيخنا رهين المحبسين أحسن الله اليه قد أصلح بيني وبين زميلي الأستاذ الخوري وانتهت المشكلة .

تسمية السيارة بالباص

هل لها وجه في اللغة العربية ؟

كتب إليّ بعض الإخوان قائلاً :

ماذا يقول أخونا «المغربي» في تسمية سيارة نقل الركاب بالباص هل لها وجه في اللغة العربيـه ؟ فأجبته :

كان زميلي في تحرير (المؤيد) المرحوم سليم سركيس يروي أن العلامة (سليمان البستاني) مترجم الالياذة حدثه قائلاً انه كان موظفاً في العراق في العهد التركي وبينا كان مسافراً في بعض البوادي على فرسه إذا أعرابية تستنجد به في بعض ما أهمها من الأمر فنادته قائلة (يا أبا المناظر يا أبا المناظر) تريد يا صاحب النظارات أو العوينات كما يغلب استعماله في لهجاتنا . وكان على عينيه نظارات فهي أي الأعرابية تضع للعوينات كلمة (المناظر) جمع (مِنْظَر) اسم آلة للنظر من دون استئذان علماء اللغة . وسمعت بعض الفضلاء يقول انهم سألوا أعرابية وقد رأوها ترنو متعجبة الى (اوتومبيل) يجري أمامها . يا أعرابية ماذا تسمي هذه المركبة ؟ أتسمينها (مطية) ؟ قالت لا ! المطية للبلّ (تريد الإبل) وانما أسميها (الفرّارة) وهي صيغة مبالغة في التي تفرّ كثيراً . ولا جرم أن السيارة كما هي كثيرة السير كثيرة الفرار . واستعمال الفرار في اللغة إنما يكون في الشخص الذي يُطْلَب فيفر وركاب السيارة عادة لا يكونون مطلوبين حتى يقال انهم فارّون وسيارتهم فرّارة . نعم ! ولكن الأعرابية رأت أن إمعان السيارة في سرعة السير يشبه الفرار الذي يفعله المرء حين يطلبه طالب . فهذا الجدّ في الجري يكفي في ذوق أهل اللسان العربي أن يسموا جري السيارة فراراً وإن لم يكن راكبوها فارين هاربين من طالب يطلبهم .

ومن هنا ننتقل الى جواب السائل في تسمية سيارة الركاب العامة باصاً .

أول ما شاع استعمال (الباص) في لهجة أهل فلسطين وكلمة باص محرفة من كلمة (بوس) (bus) ومعناها المركبة مع كلمة (أوتو) (auto) ومعناها المتحرك بذاته في قولهم (اوتوبوس) قلبوا واو (بوس) ألفاً وسينها صاداً وقالوا (باص) على ان (bus) في اللغة الانكليزية تلفظ (باص) بالألف . وان جواز استعمالها في لغتنا العربية مبني على قاعدة (التعريب) . وجوازُهُ في اللغة يكاد يكون إجماعاً . والذي يروّج هذا التعريب ويدنيه من القبول في الذوق العربي أن مادة (باص) في اللغة العربية تفيد معنى الهروب والفرار ؛ ففي النهاية لابن الأثير أن عمر بن الخطاب أراد أن يستعمل سعيد بن العاص (ومعنى يستعمله يوليه عملاً من أعمال المسلمين) فباص سعيد منه . وقد فسروا باص بالهروب أي أن سعيداً هرب من الولاية التي أراده عمر عليها ففرّ منه وفاته .

فسيارة الركاب التي تحمل اسم (الباص) يمكن للعربي الذي يتشاءم من استعمال الكلمات الأعجمية أن يحوّله الى اللسان العربي : فانها أي السيارة تهرب بمن فيها من الركاب وتفرّ جادّةً في السير كأنها هاربة فارّة وإن لم يكن راكبوها هاربين ولا فارين على حد الفتوى التي أسمعتنا إياها تلك الأعرابية مذ سمّت السيارة (فرّارة) أي شديدة الجري وان لم يكن من فيها فارّاً . على أن (البوص) كما يكون بمعنى الفرار يكون بمعنى السبق والتقدم كما في كتب اللغة . والحق ان كلمة (الباص) أعجمية وان القول بأنها من أصل عربي فيه تكلف لا حاجة اليه واللغة العربية في غنية عنه والسلام .

المغربي

كلمة الأمير مصطفى الشهابي

رئيس وفد الحكومة السورية وممثل المجمع العلمي العربي

في حفلة افتتاح المؤتمر العلمي العربي الثاني بالقاهرة في ٥ ايلول « سبتمبر » ١٩٥٥.

يسر وفد الحكومة السورية أن يحيي هذا الحشد الكريم أجمل تحية، وأن يتمنى لهذا المؤتمر التوفيق في خدمة أمتنا العربية .

وبعد رب قائل يقول : ان كشف النقاب عن أسرار الطبيعة وقوانينها يحتاج الى مال كثير، وأدوات عديدة، واختصاص واسع، وانقطاع الى العلم النظري والى التجارب العملية . ويقول : إن هذه الأشياء هي اليوم وقف على فئة من علماء الدول الكبرى وحدها . أفيكون في مقدور علماء العرب أن يشاركوا فيها، وهم بعدُ أبناء أمس في مدارسة العلوم الحديثة ؟

والجواب عن ذلك بسيط لا يخفى على جمهرة المثقفين من الناس . وهو ان العلوم في أيامنا هذه خضم واسع مترامي الأطراف، فلئن تعذر علينا مزاولة بعض هذه العلوم لأسباب مادية، فليس من المتعذر معالجة بعضها بجهد الرجل العالم وصبره وإخلاصه لعلمه ولأمته وللبشرية جميعاً .

وهناك ثلاثة ميادين على الأقل لا يعجز علماؤنا الأثبات عن أن يجولوا فيها، وأن يكونوا فيها من المبرزين . فالأول دراسة تراث أجدادنا العلمي والأدبي والفلسفي دراسة تخصص وتعمق واستقصاء، بغية إحياء الصالح لزمننا من هذا التراث العظيم، وهو شيء كثير، وبغية الإفصاح عما لم يبق له إلا قيمة تاريخية جليلة، بعد أن اتسعت العلوم الحديثة، وصارت تعالج بالأسلوب العلمي وحده .

والثاني دراسة شؤون أمتنا العربية وشؤون بلادنا العربية . فأمامنا متسع من العمل في مدارسة أخلاق شعوبنا وعاداتها وتقاليدها ، وما فيها من قوى كامنة ، وما هي في حاجة اليه من وعي قومي صحيح ، وتفكير علمي سليم ، وسلوك في الحياة قويم ، ومعارف عامة يتميز بها الشعب الواعي من الشعب الجاهل .

وأمامنا أيضاً مجال واسع لمدارسة خطط بلادنا ونباتها وحيوانها ومعادنها ومياهها وقابلياتها الزراعية والصناعية والاقتصادية وغير ذلك من الأمور اللاصقة بنا التي لا تعالج إلا بالأساليب العلمية الراسخة .

أما الميدان الثالث فهو ميدان لغتنا الضادية المضرية وما لها من حق على علماء أمتنا العربية . فهي لغة القرآن الكريم ، وهي أهم رابطة تشد بعض الشعوب العربية الى بعض . فهل عمل كل عالم من علمائنا وكل أستاذ من أساتذة جامعاتنا على جعلها تتسع للعلم الذي انقطع لمدارسته ؟ ان هذا المجال الحيوي ما برح أمامنا واسعاً ، وان مجمع اللغة العربية ، وفيه فقهاء أعلام بالعلوم والآداب واللغة ، ما برح يأمل أن يتلقى من كل أستاذ نتيجة جهده المشكور في مصطلحات العلم الذي اختص به ، لكي يناقش هذه المصطلحات الموضوعة أو المحققة ، فيقر أرجحها ، ويتجاوز عن المرجوح منها .

هذه ميادين ثلاثة ذكرتها للتمثيل لا للحصر . وهي ميادين من العار علينا أن يسابقنا فيها غيرنا من العلماء الأجانب فيكونوا فيها من المجلين ، ونجيء نحن بعدهم في المصلين .

ثم لا يجوز أن تظل أعمالنا فيها وفي غيرها أعمالاً فردية محصورة في رقعة صغيرة من أرض الوطن .

ولعل من أهم الأغراض التي تنشدها جامعتنا العربية وينشدها المؤتمرون أن ينشأ عندنا في أقرب وقت اتحاد علمي عربي يكون أداة فعالة في جعل علمائنا

كجمّاع الثريا يتعارفون ويتآزرون ويتبادلون نتائج بحوثهم ودراساتهم ، أي يعملون في مجال العلوم عمل أمة عربية واحدة ، في وطن عربي واحد ، لا عمل أفراد متفرقين بَدادِ يقبع كل منهم في بيئته الضيقة فلا يطّلع على عمل زملائه في الأقطار العربية الأخرى ، ولا يطلعون هم فيها على عمله .

وسورية التي فيها نشأت فكرة العمل المنظم للقضية العربية ، والتي جعلت في صلب دستورها واجب السعي الى توحيد صفوف العرب في جميع ميادين الحياة ، ومنها ميدان العلوم النظرية والتطبيقية يسعدها أن تشارك في أعمال هذا المؤتمر العلمي العربي ، ويسعد وفد حكومتها ومجمعها العلمي العربي أن يشكر للأمانة العامة لجامعة دولنا العربية ، وللجنة إعداد المؤتمر ، جميل عنايتهما به ، وحسن تدبيرهما لشؤونه .

أما مصر العزيزة رئيساً وشعباً وحكومةً فلها من صميم أفئدتنا محبة المؤمنين بأنها في العالم العربي قطب الرحى ، ومستمد الإلهام ، ومعقد الرجاء ، والرأس الذي تقوم عليه الأعضاء ، ولا غنى له عن الأعضاء .

تقرير عن المؤتمر

... قام كل عضو من أعضاء الوفد السوري بالواجب الملقى على عاتقه خير قيام فقدم بحثاً فيه من الطرافة والابتكار وحسن التعبير والاداء مع الايجاز والاختصار ما جلب اليه الأنظار وما جعل موضوعه حديث المؤتمرين وموضع إعجابهم وتقديرهم .

١ — قدم الدكتور شوكت الشطي بحثاً عنوانه « الوراثة وتحسين النسل » ضمّنه الآراء القديمة والحديثة وتعرّض فيه الى موضوع الساعة وهو تعقيم المصابين بالأمراض الوراثية بين أنصاره وخصومه كما عالج الناحية الدينية في هذا الموضوع مبيناً أن ليس في هذا التعقيم ما يعارض تعاليم الإسلام وقواعده الفقهية .

٢ — قدم الدكتور أنطون الجناوي بحثاً عنوانه « الطاقة الذرية في خدمة الإنسان » لخص فيه ما دار من مباحث ذات شأن في مؤتمر جنيف عن الطاقة الذرية في خدمة السلم ، فجاءت كلماته سادة الفراغ العلمي العميق الذي كان يشعر به كل متتبع لهذا البحث من المؤتمرين .

٣ — قدم الدكتور صبحي المظلوم بحثاً عن استصلاح الأراضي الصحراوية في سورية تناول فيه ببلاغة وإيجاز كل ما له صلة بهذا الموضوع ثم خص البلاد العربية كلها ببحثه مبيناً إمكانياتها العظيمة شارحاً طرق الاستفادة من ثروتها المائية الضائعة اليوم .

٤ — وقد عنيتُ بموضوع المصطلحات فقدمت بحثاً عنوانه « توحيد المصطلحات العلمية في البلاد العربية » بينت فيه رأيي في أوجز طريقة يجدر بنا اتباعها لتوحيد تلك المصطلحات في مدة وجيزة وهي إقامة تعاون بين مجمع اللغة العربية في مصر والأمانة العامة لجامعة الدول العربية ولفيف الأساتذة والعلماء العرب القادرين على وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها ضمن العلوم التي اختص كل واحد منهم بها . وخلاصة هذا البحث إيجاد معجم افرنجي عربي للمصطلحات العلمية ينفق عليه مجلس جامعة الدول العربية بين ٥٠٫٠٠٠ و ١٠٠٫٠٠٠ جنيه مصري ، ويقوم مجمع اللغة العربية على إدارة العمل وإقرار المصطلحات كما يقوم العلماء العرب الاختصاصيون بوضع قوائم أو معجمات صغيرة في اختصاصاتهم . وقد قدرت في بحثي لهذا العمل خمس سنين من الزمن . وهذا البحث كنت قدمته الى مجمع اللغة العربية وباحثت فيه وزير التربية والتعليم في مصر والأمين العام لجامعة الدول العربية .

ولا يخفى أن كبار المشتركين في المؤتمر يتشيعون لثلاثة مذاهب :

يقول أولها بجعل لغة التدريس العالي في البلاد العربية أجنبية ويزعم أن اللغة العربية عاجزة عن مسايرة التطور في التعليم الجامعي .

ويوصي ثانيهما بالتوسع في التعريب توسعاً زائداً .

ويوصي ثالثهما بعدم الالتجاء الى التعريب إلا إذا تعذرت الترجمة واستحالت .
وقد استطعنا أن نجعل المؤتمرين يقرون مبدأنا الأخير ويسيرون على ضوئه .

... هذا وسيطبع المؤتمر في كتاب خاص جميع البحوث التي بحثت مع عرض المناقشات والتوصيات التي اتخذت .

مصطفى الشهابي

محاضرة الأستاذ غيوم

ألقى المستشرق المعروف الأستاذ الدكتور ألفرد غيوم عضو المجمع العلمي العربي محاضرة في استكهولم (عاصمة بلاد السويد) عن (الدين الإسلامي في العصر الحديث) ذكر فيها أثر المعاهد العلمية والدينية العصرية في العالم الاسلامي ، وتكلم عن الأزهر وعن الجامعة السورية وعن المتحف الوطني في دمشق ، وأسهب في الحديث عن المجمع العلمي العربي وعن مجلته (رفيعة المستوى) ، وأثنى في مواضع كثيرة من محاضرته على صفات المروءة والكرم والنجدة والأخلاق الكريمة التي يتحلى بها سكان الشرق العربي والتي تجلت للمحاضر إبان رحلاته العديدة في البلاد العربية . ثم عقب على المحاضرة باجابة محكمة على الأسئلة التي وجهها الحضور إليه في بعض القضايا الإسلامية .

وقد اتصل بالمجمع نبأ هذه المحاضرة الرصينة فكتب إلى صاحبها يحمد له جميل قوله ويثني على نبيل شعوره ويشكر له إنصافه العرب والمسلمين .

هذا وقد علم المجمع أيضاً أن الأستاذ غيوم قد فرغ من ترجمة (السيرة) إلى الانكليزية وأنه سينشر هذه الترجمة في شهر تشرين الثاني من هذه السنة .

ملاحظات على
ديوان النابغة الشيباني (١)

المطبوع بعناية العلامة أحمد نسيم في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥١

— ١ —

لا أريد التعمق في حياة هذا الشاعر الذي نبغ في عصر كثر فيه الشعراء المقلقون ، ولكن يقتضي النظر فيما قاله أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الأغاني ويكرره من تبعه أنه كان نصرانياً ولعله ذكر البيتين (ص ١٠٨) :

آليتُ جهداً وصادق قسمي برب عبدٍ تجنّه الكُرُحُ
فهو يتلو الانجيل يدرسه من خشية الله قلبه قَفِحُ

ولكن رب الراهب هو أيضاً ربّ كل المسلمين ولا حجة في البيتين على أنه كان نصرانياً بل يظهر من البيتين الآتيين أنه كان مسلماً (ص ١٧) :

وَيَزْجُرُني الإسلامُ والشيبُ والتقى وفي الشيب والإسلام للمرء زاجرُ

وأيضاً (ص ٦٩) :

وله مَخْبَتَةٌ اذا قام يتلو سُوَراً بعد سُورة الأنفال

ولهذين البيتين وغيرهما في الديوان لا أشك بأنه كان مسلماً .

والنابغة الشيباني من الشعراء المقلين ولولا النبذ التي أوردها الأصبهاني والنسخة الفريدة من ديوانه التي هي أصل الطبعة لذهب ذكره وهذا عجيب إذ في ديوانه من غريب اللغة ألفاظ كثيرة لم تدخل في معاجم اللغة العربيـة ولم يذكر صاحب اللسان وتابعه صاحب تاج العروس إلا بيتاً واحداً في مادّة (بهـل) ولم أجد زيادات على ما في ديوانه إلا في حماسة البحتري (ص ٨٩ و ٢٢٨ و ٢٩١

(١) من مخلفات المستشرق الكبير المرحوم سالم الكرنكوي ننشرها الآن . (المجلة)

و ٣٢٤ و ٣٢٩ و ٣٣٩) ولم يكن للناشر إلا نسخة حديثة العهد محفوظة في خزانة دار الكتب المصرية مكتوبة بخط العلامة المرحوم محمد محمود الشنقيطي نقلها عن نسخة وجدها في إحدى خزائن الآستانة لم تكن في جودة سائر النفائس التي استنسخها العلامة المذكور فكان من حسن حظي ان صديقي المرحوم الأستاذ رودلف ماير أعارني في سنة ١٩٢٢ تصاوير شمسية حصلها من الآستانة وقد أنسيت مكان النسخة الأصلية ولكن لا شك أنها النسخة نفسها التي نقلها الشنقيطي إذ وجدت في طرة صفحة ٥٠ من أصلي بخط مغربي : « قلت صوابه نَسِيل بالنون وكتبه محمد محمود » ٠ وكان في الأصل يسيل بالياء المثناة (ص ٤٥ سطر ١١ من الطبعة) وفي المقابلة وجدتُ اختلافًا كثيرًا بين نسختي والمطبوعة فوقع لي أن أفيد محبي الشعر العربي القديم بما قرأت أنا في الأصل ليحكموا بنفسهم هل أخطأ العلامة الشنقيطي في نقله ؟

ص (١) في نسب النابغة نجد غلطين الأول سُلَيم بن خصيرة وفي الأصل سليمن أي سليمان وقد نجد في النسخ القديمة الاسم سليمان مكتوبًا بلا ألف ، والثاني حمّاد وفي الأصل حِمار بكسر الحاء وبالراء ، والميم غير مشددة وهو الصواب إذ حمار اسم إسلامي وقد كثر اسم حمار في الجاهلية مثلاً في نسب عدي بن زيد بن حمار العبادي الشاعر المشهور والمعقِّر بن حمار البارقي الشاعر في عهد بني أمية وغيرهما ٠

صفحة	سطر	
١ ،	٦	: أيْ داء أصابه ٠
	٨	: في الأصل ديبه ٠
	٩	: وأعجبَ سلمى ٠٠٠
٢ ،	١	: في الأصل الحُرّ بالضم وهو الصواب إذ الحُرّ لقب للأفعى ٠

صفحة	سطر	
٢	٦	: كتب فوق برهرهة شرحًا شابّة .
	١٠	: الأصل ينبله .
٣	٦	: فذو الصوت لا يجلى .
	٨	: اذا أنشدتْ .
٤	٦	: الأصل الزيتُ فَتَلْها بفتح الفاء .
	٨	: الأصل رَباعَها بفتح الراء .
	٩	: الأصل أنجدْ وهو خطأ .
٥	٥	: الأصل ويروى آرَقُ .
	٦	: الأصل يعرّق .
	٧	: في الأصل وأضحت : صوّبت كما في المطبوعة ولكن الصواب ضجّت بالجيم المشددة .
٦	٧	: قبل الاشوه في الأصل شُوه : نعام .
٧	٤	: الأصل الجنْ .
	٥	: الأصل جائلا بالجيم .
	٩	: الأصل لها تَصَعْ من خلف .
٨	٣	: من خدّه وفي الأصل من زرّه أي من عضه .
٩	١٠	: الأصل صَفَحت بلا تشديد وكذا في سطر ٣ .
٩	٤	: الأصل ترْتَدى .
	٥	: الصواب الجوزاء .
	٦	: مَجومْ وفوق نيرتا شرحًا لون .
	٧	: في الأصل يتنشّق وفي الهامش خ يتشقّق .

صفحة	سطر	
٩ ،	٨	: الأصل الحزّق بكسر الزاي .
١٠ ،	٥	: الأصل وحملَق بفتح اللام .
١١ ،	٥	: الأصل تُلوي بضم التاء .
١٢ ،	٥	: الأصل سعُرة بالعين وفي الهامش خ وسُفرة .
	٩	: الأصل صدّني وفي الهامش صدّتا كلاهما بالتشديد .
١٣ ،	٣	: الأصل فوق عنسٍ كنبنقٍ .
	٤	: الأصل رقّت جلوداً .
	٥	: الأصل عناقدها .
١٤ ،	١	: الأصل يَستَتبِي .
	٢	: الأصل حُصيدا بالتصغير ورُماح بالضم .
١٥ ،	١	: الأصل مُزنّقٍ وفي الحاشية ويروى يجاوبه .
	٧	: الأصل يجُوُّ .
١٧ ،	٥	: الأصل من العُثق بضم العين .
	٦	: الأصل قاتِر بالقاف وهو الصواب .
١٨ ،	٢	: الأصل الآخر كما في المطبوعة والصواب آخر بلا ألف ولام .
	٣	: الأصل بعقِّب .
	١٢	: الأصل إومن يَصرِق .
١٩ ،	٨	: الأصل تَخير بنقَش مُنْبتها .
٢٠ ،	٢	: الأصل كأنّ تناويرَ ... دماء .
	٣	: الأصل دارُها مني (كذا) .
	٦	: الأصل وساحتَه .
	١٠	: الأصل رانعة .

صفحة	سطر	
٢١ ،	١٠	: الأصل أَهِشُّ .
٢٢ ،	٩	: الأصل وحنك (بدل وحلك في المطبوعة) .
٢٣ ،	٨	: الأصل عَذاب لو يجاد به .
٢٥ ،	١	: الأصل العُطُسُ بالعين .
	٢	: الأصل أَجْن بفتح الألف .
	٣	: الأصل الركبُ .
	٥	: الأصل عرّهن بعلامة إهمال الراء .
٢٦ ،	١	: الأصل حوص بعلامة إهمال الحاء ، ومنها رقاب الركب .
	٣	: الأصل سُدَس بضم السين .
	٥	: الأصل يعلقْ بها .
٢٧ ،	٣	: الأصل دُومة بضم الدال .
	٨	: الأصل شتانَ بفتح النون .
٢٨ ،	٥	: الأصل يجيل بالجيم .
	٨	: يَصيدك بفتح الياء .
	٩	: الأصل تعَسوا بفتح العين .
	١٠	: الأصل رُكِسوا .
٢٩ ،	٦	: الأصل خَمِسوا بكسر الميم .
٣٠ ،	١٣	: الأصل عليّ قدور .
٣١ ،	٢	: الأصل ومحواهم .
	٣	: الأصل فإنّ امرءاً أدا أي أدّى .
	٩	: الأصل قَواية بفتح القاف .

(يتبع)

سالم الكرنكوي

ملاحظات على مصطلحات كيماوية

-٢-

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ١٤ — مركب إضافة additive compound .

قلت : مركب انضمامي ، من (الضمّ قبض شيء الى شيء وقد ضمّه فانضمّ اليه وتضامّ ، وضامّ الشيء جمعه الى نفسه) ففيها معنى الجمع والاندغام . أما الإضافة فهي مجرد المزج والخلط ، وليس هو المقصود من الكلمة الافرنجية .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ١٥ — خاصة جمعية additive property .

قلت : خاصة انضمامية ، للسبب الآنف الذكر في الكلمة السابقة .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ١٦ — تفاعل إضافي additive réaction .

قلت : تفاعل انضمام أو تضام ، للسبب المذكور في الكلمة السابقة لئلا يلتبس بمعنى الكلمة الافرنجية (supplémentaire) .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٢٥ — مَزّ ، امتزّ adsorbe .

قلت : اِستجذب ، من (جَذَبه مدّه ، والشيء حوّله عن موضعه ؛ وتَجَذّبه شَرِبه) ، تمييزاً من (الامتصاص absorption) .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٢٦ — مازّ adsorbent .

قلت : مَجْذَبَة ، وزان مَفْعَلة الدال على الذي يفعل . فالمجذبة ذلك الجسم الذي يتجذّب الشيء الموضوع معه .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٢٧ — امتزاز adsorption .

قلت : استجذاب ، للسبب المذكور في الكلمتين الآنفتين .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٤ — مَذْق adulteration .

قلت : تمويه ، غش . أما المَذْق فهو مزج اللبن بالماء ، يقابل الكلمة

الافرنجية (mouillage) . وكذا الكلمات المشتقة من المذق المذكورات في العمود نفسه (س ـ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٥) .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٩ — أُلفة affinity .

قلت : وكذا (العَلاقة) أيضاً للمعنى ذاته .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ١٠ — عامل حفّاز catalytic .

قلت : عامل وَسيط ، من (الوَساطة) ، و (الوسيط ، المتوسّط بين المتخاصمَيْن ، وتوسَّط بينهم عمِل الوساطة) ، لأنه يتوسط لإتمام الفعل الكيمياوي بين الجسمين المتماسّين . أما الحفّاز فمن (حَفَزه) أي دفعه من خلفه ، وعن الأمر أعجله وأزعجه وليس فيها المعنى المراد من الكلمة الافرنجية . فالعامل لا يدفع ولا يحثّ انما يتوسط لحدوث الفعل لا أقل ولا أكثر .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ١٨ — الزلال albumin .

قلت : آح ، وهو أبيض البَيْض . أما الزلال فهو صفة للماء ، يقال ماء زلال أي عَذْب . وليس بين الماء العذب والآح وجه شبه من حيث الصفاء ولا من حيث الطعم .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ١٩ — الكحول alcohol .

قلت : غَوْل . انظر ما قلتـه في (كلمة الكحول الصرف رقم ١٦) .

وكذا ما ورد في السطور ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ : (غولي ، مقياس الغول ، قياس الغول) .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٢٣ — حلْكَل alcoholyse .

قلت : غَوْحَلَ ، من (غَوْل — حلّ) كما في الافرنجية .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٢٤ — تحلْكُل حلْكَلة alcoholysis .

قلت : تَغَوْحُل — غَوْحَلَة ، كما في الافرنجية .

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٥ — تقلية alcalinisation ·

قلت : قَلْوَنَة ، اشتقاقاً من القِلْي والقِلْو كصِنْو · أريد بها جعل الشيء قلوياً أي ذا خواص القلويات · أما (التقلية) فهي من (قَلا الطعام أنضجه في المِقْلاة) فلا يصح استعمالها إلا لما يقابل الكلمة الافرنجية (to fry و frire) أي قَلاً · ومن هذه الكلمة تشتق بسهولة الكلمات : (قَلْوَنَ alcaliniser) ، (مقلوَن alcalinisé) ·

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٦ — قَلَّى alcaliniser ·

قلت : قَلْوَنَ ، للسبب المذكور آنفاً ·

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٧ — شبقلي alcaloide ·

قلت : قَلْوِيد ، باستعمال الوَصْمة (يد) على النمط الافرنجي المتفق عليه بين جميع الكيمياويين ·

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٨ — ألكيل alkyl ·

قلت : غَوْلِيل ، من كلمة (غَوْل) موسومة بالوصمة (يل) المتفق عليها بين جميع الكيمياويين للدلالة على الجذور والكلمة بالفرنسية alcoyle ·

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ١٤ — متعاوَر alterné ·

قلت : متناوَب · ومثلها الكلمة التي بعدها في السطر ١٥ (تناوُب) بدلاً من (معاوَرة) · يقال عاوَرَ المكاييل ، لغةٌ في عايَرَها ، وتعاوروا الشيء تداولوه ، من العَوَر أي العيب · أما التناوب ، فمن النَوْبة وهي الفرصة ، وتناوبوا على الماء تقاسموه على حصاة القَسْم ، هذا مرة وذاك مرة ·

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ١٩ — اميد (جمعه اميدات) ·

قلت : قد جمعته على (أواميد) دفعاً للبس حتى لا يتوهم أن (ات) تقابل (ate) الافرنجية الدالة على أملاح الحوض الاكسجينية ، كقولنا مثلاً : كبريتات ، ازوتات ... الخ ·

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٢١ — امين (جمعه امينات) .

قلت : اوامين ، كما في اواميد دفعاً للبس ، على النحو المذكور آنفاً .

صفحة ٢٦٦ عمود ٢ سطر ٥ — تزيف anhydride .

قلت : بلا ماء (لا مائي) . أما التَّزيف ، من (نُزِف فلان دمهُ كعُنِيَ سال حتى كاد يفرط فهو منزوف ونَزيف) فلا يجوز بوجهٍ من الوجوه أن يطلق على ما يوافق الـ (انيدريد) أي عديم الماء .

صفحة ٢٦٦ عمود ٢ سطر ٦ — غامد anhydrous .

قلت : ثامد ، من (الثَّمْد والثَّمَد والثِّماد : الماء القليل لا مادة له أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف ، والمثمود ماء نفد من الزحام عليه إلا أقله) ففي كل هذا ما يدل على قلة ماء أو نفاده ، فكلمة (ثامد) إذن أصلح من (غامد) من (غَمَدَت الركية ذهب ماؤها وغَمِدَت كفرح كثر ماؤها أو قل . والغامد البئر المندفنة أو السفينة المشحونة) ففي كثرة المعاني المتضادة ما يبرر إهمال كلمة (غامد) .

صفحة ٢٦٦ عمود ٢ سطر ١٠ — انتيمون antimoine .

قلت : اصطلحنا عليه بالكلمة العربية (إثمد) وهو حجرٌ للكحل معروف .

صفحة ٢٦٧ عمود ١ سطر ٧ — حامض الصمغ الجاوي benzoic acid .

قلت : حمض الجاوي ، إذ ليس البخور الجاوي بصمغٍ إنما هو راتينج résine فيجب حذف كلمة الصمغ .

صفحة ٢٦٧ عمود ١ سطر ١٤ — تربينات ثنائية biterpènes .

قلت : تَرْبَنات ، بفتح الباء لئلا يلبس بالتربين terpine .

صفحة ٢٦٧ عمود ٢ سطر ٤ — سحَّاحة burette .

قلت : سَتَّالة ، من (سَتَل ، سال قَطَراناً أي قطرة قطرة كالدمع واللؤلؤ)

إذ يُسَّل منها المائع (أي يصب قطرة قطرة) على وعاء التفاعل الموضوع فيه الشيء المطلوب عياره . وكذا القطّارة . أما السحاحة فهي لما يقابل (pissette) .

صفحة ٢٦٨ عمود ١ سطر ١٩ — سلسلة مقفلة closed chain .

قلت : سلسلة مغلقة . فالقفـل ، الحديد الذي يغلق به الباب . وليس للسلسلة هنا قفل تقفل به إنما هي رمز لانغلاقها على نفسها ، على خلاف السلسلة الخطية لصيغ الأجسام اللادورية .

صفحة ٢٦٨ عمود ١ سطر ٢٢ — شِبْغَبْراء colloïd .

قلت : غَرَويد ، من الغَرَا موسومةً بالوسمة (يد) .

صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٧ — نقطة الانعقاد congelation .

قلت : نقطة التجمّد أو الجُمُود . وبما أن المصطلح الافرنجي خاص بالماء فالأولى أن يقال (نقطة الجُمُوس) لأن الجموس هو الجمود وأكثر ما يستعمل في الماء . وليلة جُماسية باردة يجمس فيها الماء وكذا (الجَنَس) فهو جمود الماء وغيره .

(يتبع) الكواكبي

تصويب أغلاط مطبعية

وقعت في كلمة الدكتور الكواكبي

(مجلد ٢٩ جزء ٢ صفحة ٣٠٤ سطر ١٠) :

خطأ	صواب
كما هي عليه القواميس	كما هي عليه المقاييس

وفي السطر الأول من حاشية الصفحة نفسها لم تذكر كلمة raffinage فلتضف .

شجرة الدارم ومزيتها

راجعاً إلى ما كتبت في مجلة المجمع العلمي الدمشقي (مج ٢٩ ، ص ٤٧٦ وما بعدها) أخبر أهل العلم بكل سرور أن الأستاذ ليوين (من أبسالا) عثر على نسخة المجلد الثالث من كتاب النبات للدينوري ، في إحدى مكاتب أميركا وسينشره عن قريب إن شاء الله .

وفي هذا المجلد « باب الشجر الذي تتخذ منه المساويك وبعض ما نستحسن وضعه من وصف السياك والاستياك » . فأقتبس منه ما ورد عن الدارم تتميماً لما ذكرتُ قبل هذا وشاكراً للأستاذ الاسوجي الفاضل . وهو كما يلي :

« وأخبرني بعض الأعراب أن الدارِم شجر شبيه بالغَضا ، يستاك منه النساءُ ، فيُحمّر لِثاتهن وشِفاههن حمرة شديدة ، وهو حرّيف . وأنشدني بعضهم :

إنما سلّ فؤادي دارمٌ بالشفتين

ونساؤهم يعجبهم (؟ يعجبهن) ذلك لتُعجب رجالهم . ولذلك يستعملن مضغ الفوفل مع التامول [1] لتحمير لثاتهن وشفاههن ، وإن كان يشدّ اللثة ويطيب النكهة . حتى أن الرجال ليفعلون ذلك » .

(باريس) محمد حميد الله

هدية الى الظاهرية

أهدى الأستاذ رفيق التميمي الى دار الكتب الظاهرية مجموعة من الكتب العربية والأجنبية بلغت (١٦٣) مجلداً ، فله الشكر الجزيل .



(١) والعادة لا تزال في باكستان وفي الهند الى هذا اليوم .

استدراك على (كتاب اللمعة للأنباري)

نشرنا على صفحات هذا الجزء (من ص ٥٩٠ الى ص ٦٠٧) كتاب اللمعة صنعة الشعر للأنباري ، معتمدين صورة مخطوط استانبول . فلما كاد يتم طبع ا الجزء بعث الدكتور صلاح الدين المنجد مشكوراً إلى المجمع العلمي صورة ع رسائل للأنباري مأخوذة عن مخطوط محفوظ في خزانة كتب أحمد الثالث استانبول . وجاءت هذه الرسائل في الصفحات (٨٩ إلى ١٢٠) من هذا المخطوط . ن هذه الرسائل التسع كتاب اللمعة في صنعة الشعر للأنباري . وصورة كتاب هذه أوضح رسماً من صورة المخطوط الذي اعتمدناه في نشر الكتاب كنها تنزل عنها صحة وضبطاً ، على أن الخلاف بين نصيهما يسير في جملته . نحن مثبتون هنا المهم من وجوه الاختلاف :

ة	السطر	النص المنشور في هذا الجزء	نص المخطوط الثاني
	٧	في صنعة الشعر	في صنعة الشعر ومعرفة فنونه
	١٥	وهي أكثر فنون	وهي من أكثر فنون
	٣	البَلا	البِلى
	١٦	سلكها واحد	شكلها واحد
	٤	الكلم متساوية	الكلم متعادلة
	١٣	١٠ –	١٠ – المبالغة :
	١٧	١١ –	١١ – الإيغال :
	١٨	كأن قلوب الطير . . . . . الخ .	كأن فتاتَ العهن في كل منزل تزلن به حبُّ الفنا لم يُحطَّم
	٢٠	بمعنى غير مشروح	بمعنى مشروح
	١٠	ان كنت عاذلتي . . . . . . الخ .	إن كنتِ كارهة لعيشتنا هاتا فحلّي في بني بدر
	١٢	يذكر مثالاً يحترز	يذكر بيتاً لا يحترز
		فنا حسين . . .	فنا حصين . . .

عبد الهادي هاشم

الفهرس العام

لمواد المجلد الثلاثين

منسوقاً على حروف الهجاء

(أ)

آراء وأنباء ١٥٧ ، ٣٢٨ ، ٤٩٠ ، ٦٧١

ابن الرومي (كتاب) ٤٦٧

ابن الطيب محشي القاموس ٨٧

أبو الفتح بن جني ٤٤٠ ، ٦٠٨

أخطاء شائعة (الرماح الردينية) ١٧٢

أساليب تدريس اللغة العربية في الصفوف الابتدائية (كتاب) ١٣١

استدراك على (كتاب اللمعة للأنباري) ٦٩٥

أعضاء المجمع العلمي العربي (١٩٥٥) ١٥٧

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون (١٩٥٥) ١٥٩

أعلام العرب في العلوم والفنون (كتاب) ٦٥٥

انتخاب أعضاء مراسلين ٤٩٠

(ب)

البدو والعشائر في البلاد العربية (كتاب) ٦٢٩

بديع الزمان الهمذاني (كتاب) ٤٦١

بلدان الخلافة الشرقية (كتاب) ٦٦٦

(ت)

تاريخ العراق بين احتلالين (كتاب) ٣٢٣ ، ٤٨٦

تاريخ فكرة إعجاز القرآن ١٠٦ ، ٢٩٩

تاريخ مصر (١٣٨٢—١٤٦٩) (كتاب) ١٥٠

تاريخ الوزارات العراقية (كتاب) ٣٢٦

التبشير والاستعمار في البلاد العربية (كتاب) ١١٩

تحت قناطر أرسطو (كتاب) ٤٧٩

تسمية السيارة بالباص ٦٧٧

تصويب أغلاط مطبعية ٦٩٣

التعريف والنقد ١١٤ ، ٣١٢ ، ٤٥٨ ، ٦٢٣

التفسير القيم لابن القيم (كتاب) ٦٣٨
تقرير عن المؤتمر العلمي العربي الثاني ٦٨١
تلخيص البيان في مجازات القرآن (كتاب) ٤٥٨

(ج)

جرير ١٧٧ ، ٣٥٣ ، ٥٢٩
الجزء الثالث من محاضرات المجمع العلمي (كتاب) ٤٧٠
جوقة أم كورس ؟ ١٧٠
جولة لغوية في كتاب النبات للدينوري ٤٢

(ح)

الحدس والفكر ١٨
حدود العقل عند الغزالي ١٩١
الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية (كتاب) ١٣٢
الحضنة (الجزائر) (كتاب) ٣٢٤

(خ)

الخزانة الشرقية (كتاب) ٣٣٩ ، ٥١٠

(د)

دلائل النبوة (كتاب) ٦٤٠
دهاليز أم كواليس ؟ ٣٤٧
ديوان أبي الأسود الدؤلي (كتاب) ٦٦٣

(ذ)

ذكريات (كتاب) ٣٢٧

(ر)

رأي في منع الصرف ٦٧٣
رسالة حي بن يقظان مع شرحها لابن سينا ٩١ ، ٢٨٨ ، ٤٣٧
رسالة في الهداية والضلالة (كتاب) ٦٤٢
الرماح الردينية ٤٣٨

(ز)

زبدة الحلب من تاريخ حلب (كتاب) ٤٨٥

(ش)

شجرة الدارم ومزيتها ٦٩٤
شرح لزوم ما لا يلزم (كتاب) ٤٩١
الشعر في العصر الأموي ٣

(ص)

الصحافة والأدب في مصر (كتاب) ٦٢٣
الصحافة في العراق (كتاب) ٦٥٦

(ط)

طليعة التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (كتاب) ١٥٦

(ع)
عبد العزيز (كتاب) ٦٣١
عثرات الأقلام والأفهام ٥٠٠
العرب والهندسة المستوية ٢٠٢
علم السموم (كتاب) ٣١٩
العلم يدعو للايمان (كتاب) ١٣٨
عمر بن عبد العزيز ، أبو طالب ، جعفر ابن محمد (كتاب) ١١٤

(غ)
غلط مطبعي في مقالة كتاب الفنون ٥١٩
غيابات (كوالبس) ٥٢٥

(ف)
فقه الإسلام (كتاب) ٤٨٠
فلسطين بين تارين (كتاب) ١٢٢
فهرست مؤلفات ابن عربي ٥١ ، ٢٦٨ ، ٣٩٥
في إعجاز القرآن ٥٦٠
في اللغة أبناء علات ٢٥٣

(ق)
القرآن المجيد (كتاب) ٣١٤

(ك)
كتاب الجليس والأنيس للمعافى بن زكرياء النهرواني ٣٨٠
كتاب الكتّاب وصنعة الدواة والقلم ١٣٦
كتاب اللمعة في صنعة الشعر للأنباري ٥٩٠
كلمة الأمير مصطفى الشهابي في حفلة استقباله في مجمع مصر ٣٢٨
كلمة الأمير مصطفى الشهابي في حفلة افتتاح المؤتمر العلمي العربي الثاني ٦٧٩
كنوز الذهب في تاريخ حلب (كتاب) ٦٦١

(ل)
اللسان الحديث (كتاب) ٦٥٨
اللغة العربية في أفغانستان ٣٦٧
اللهجات وأسلوب دراستها (كتاب) ٦٢٥

(م)
المباحث اللغوية في العراق (كتاب) ٤٧٢
المبادئ الشرعية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية (كتاب) ٦٤٤
مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية (كتاب) ٦٣٦
مجموعة علمية تشتمل على أربع رسائل (كتاب) ١٥٢
محاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي (كتاب) ٦٥١
محاضرات في الميراث عند الجعفرية (كتاب) ٦٤٨

محاضرة الأستاذ الدكتور الفرد غيوم ٦٨٣
محمد كرد علي : حياته وآثاره ٢١١
المدخل الى علم النفس الجماعي (كتاب) ٤٧٦
مذكرات سائح في الشرق العربي (كتاب) ١٢٤
المسوغات العقلية للبلاغة ٣١
مشاركة في دراسة استخراج دهن الكتان (كتاب) ١٣٤
مصادر التشريع الاسلامي فيما لا نص فيه (كتاب) ٦٤٦
المصطلحات العلمية في اللغة العربية (كتاب) ٣١٢
معجم اللسان العربي الفصيح (كتاب) ٤٨٧
المغرب في حلى المغرب (كتاب) ١٦٧
المفردات الأساسية للقراءة الابتدائية (كتاب) ٦٣٣
مقدمة المرزوقي لشرح حماسة أبي تمام ٧١ ، ٢٨١ ، ٤١١ ، ٥٧٢
ملاحظات على ديوان علي بن الجهم المطبوع ١٦١
ملاحظات على ديوان النابغة الشيباني ٦٨٤
ملاحظات على مصطلحات كيمياوية ٥١٩ ، ٦٨٩
منازل القبائل العربية حول دمشق ٦١
موجز أمراض الجملة العصبية (كتاب) ٦٥٤
مي زيادة (كتاب) ٣١٨

(ن)

نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب (كتاب) ٤٦٤

(هـ)

هدية الى الظاهرية ٦٩٤
هدية العارفين (أسماء المؤلفين) (كتاب) ١٢٩

(و)

وصية ابن قتيبة الى ولده ٥٤٤
وفاة الأستاذ محمد البزم ٦٧١

فهرس الأعلام

أي أسماء كتّاب المقالات المنشورة في هذا المجلد

منسوقةً على حروف الهجاء

(أ)

إسحق موسى الحسيني ٥٤٤

أسعد الحكيم ١٣٣ ، ٦٥٤

ألبرت ديتريش ٣٨٠

أنيس المقدسي ٣١

(ب)

بشر فارس ٥٢٥

(ج)

جعفر الحسني ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٦٥٥

جميل صليبا ١٨ ، ١٩١ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ ، ٦٣٣

جورج حداد ١٥٠

(ح)

حسني سبح ٣١٩

حكمة هاشم ١٣٦

(خ)

خالد بن محمد الفرج ١٧٢

خليل مردم بك ٣ ، ١٧٧ ، ٣٥٣ ، ٤٢٩

(س)

سالم الكرنكوي ٦٨٤

سامي الدهان ٢١١ ، ٣٨٧ ، ٦٦١ ، ٦٦٣

(ش)

شفيق جبري ١٣٢ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٦٧

(ص)

صلاح الدين المنجد ٦١

(ع)

عارف النكدي ١١٤ ، ١١٩

عبد القادر المغربي ٤٣ ، ٢٥٣ ، ٥٠٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٣ ، ٦٧٧

عبد الهادي هاشم ٥٩٠ ، ٦٩٥

عبد الوهاب عزام ٤٩١

عز الدين التنوخي ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٦٧ ،
٦٥٦ ، ٦٥٨

(ق)

قدري حافظ طوقان ٢٠٢

(ك)

كارل شتولز ٣٧٦
كوركيس عواد ٥١ ، ٣٦٨ ، ٣٩٥

(م)

محمد أسعد طلس ٤٤٠ ، ٦٠٨ ، ٦٦٦
محمد بهجة البيطار ١٢٤ ، ٣١٤ ، ٤٨٠ ،
٥٦٠ ، ٦٣٦ ، ٦٣٨ ، ٦٤٠ ، ٦٤٢ ،
٦٤٤ ، ٦٤٦ ، ٦٤٨ ، ٦٥١
محمد حميد الله ٦٩٤
محمد صغير حسن المعصومي ٩١ ،
٢٨٨ ، ٤٢٧
محمد صلاح الدين الكواكبي ١٣٨ ،
١٧٠ ، ٣٤٧ ، ٥١٩ ، ٦٨٩
محمد الطاهر ابن عاشور ٧١ ، ٢٨١ ،
٤١١ ، ٥٧٢
محمد العربي العزوزي ٨٧
مرشد خاطر ٣١٢
مصطفى جواد ١٦١ ، ٣٣٩ ، ٥١٩
مصطفى الشهابي ١٣٤ ، ٣١٨ ، ٣٢٨ ،
٤٧٠ ، ٤٧٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥ ،
٦٢٩ ، ٦٣١ ، ٦٧٩ ، ٦٨١

(ن)

نعيم الحمصي ١٠٦ ، ٢٩٩

(و)

وليد عرفات ٢٤٨



فهرس الجزء الرابع من المجلد الثلاثين

صفحة		
٥٢٩	جَرير (٣)	للأستاذ خليل مردم بك . .
٥٤٤	وصية ابن قتيبة الى ولده	للأستاذ اسحق موسى الحسيني .
٥٦٠	في إعجاز القرآن	للأستاذ محمد بهجة البيطار . .
٥٧٢	مقدمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمام (٦) .	للأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور
٥٩٠	كتاب اللمعة في صنعة الشعر	للأستاذ عبد الهادي هاشم . .
٦٠٨	أبو الفتح بن جني (٤)	للدكتور محمد أسعد طلس .

صفحة

التعريف والنقد

صفحة	العنوان	الكاتب
٦٢٣	الصحافة والأدب في مصر	للأمير مصطفى الشهابي . .
٦٢٥	اللهجات وأسلوب دراستها	
٦٢٩	البدو والعشائر في البلاد العربية . .	
٦٣١	عبد العزيز	
٦٣٣	المفردات الأساسية للقراءة الابتدائية . .	للدكتور جميل صليبا . .
٦٣٦	مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية .	للأستاذ محمد بهجة البيطار . .
٦٣٨	التفسير القيّم للامام ابن القيّم . .	
٦٤٠	دلائل النبوّة	
٦٤٢	رسالة في الهداية والضلالة	
٦٤٤	المبادىء الشرعية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية	
٦٤٦	مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نصّ فيه . .	
٦٤٨	محاضرات في الميراث عند الجعفرية . . .	
٦٥١	محاضرات في تاريخ الفقه الإسلامي . . .	
٦٥٤	موجز أمراض الجملة العصبية	للدكتور أسعد الحكيم .
٦٥٥	أعلام العرب في العلوم والفنون . . .	للأمير جعفر الحسني . .
٦٥٦	الصحافة في العراق	للأستاذ عز الدين التنوخي .
٦٥٨	اللسان الحديث	
٦٦١	كنوز الذهب في تاريخ حلب	للدكتور سامي الدهان .
٦٦٣	ديوان أبي الأسود الدؤلي	
٦٦٦	بلدان الخلافة الشرقية	للدكتور محمد اسعد طلس .

آراء وأنبـاء

صفحة	العنوان	الكاتب
٦٧١	وفاة الأستاذ محمد البزم	
٦٧٣	رأي في منع الصرف	للأستاذ عبد القادر المغربي .
٦٧٧	تسمية السيارة بالباص	
٦٧٩	كلمة الأمير الشهابي في حفلة افتتاح المؤتمر العلمي العربي الثاني	للأمير مصطفى الشهابي . . .
٦٨١	تقرير عن المؤتمر	
٦٨٣	محاضرة الأستاذ الدكتور ألفرد غيوم	
٦٨٤	ملاحظات على ديوان النابغة الشيباني (١) .	للأستاذ سالم الكرنكوي .
٦٨٩	ملاحظات على مصطلحات كيماوية (٢) .	للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
٦٩٣	تصويب أغلاط مطبعية	
٦٩٤	شجرة الدارم ومزيتها	للدكتور محمد حميد الله .
٦٩٤	هدية الى الظاهرية	
٦٩٥	استدراك على (كتاب اللمة للأنباري) .	للأستاذ عبد الهادي هاشم .
٦٩٦	الفهرس العام لمواد المجلد الثلاثين	
٧٠٠	فهرس الأعلام	

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٥ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٨ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١١ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٤ — ديوان الوليد بن يزيد: جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف • جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٧ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٨ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش
٢٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٨ — أمراء دمشق في الإسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٩ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين.
٣٠ — تاريخ داريا للقاضي عبدالجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٣١ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
٣٢ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٣ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء الشام، الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل
٣٤ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٣٥ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٦ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣٧ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
(٣٥–٣٧) بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٨ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
٣٩ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
٤٠ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني